

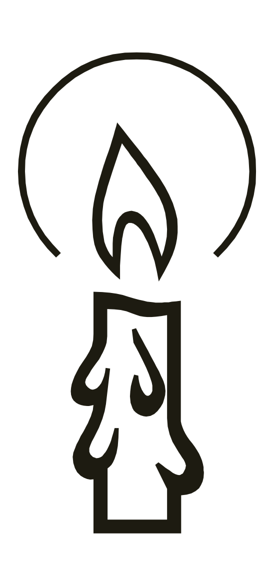
حقيقة التوحيد

يا أمة التوحيد

أبو مريم الجريتلي



بسم الله الرحمن الرحيم



وإن تجد عيبًا فسُدَّ الخللا *** فجلَّ من لا عيب فيه وعلا





مُقَدِّمَة



مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾

[النساء: ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فقد استعنت بالله عز وجل على كتابة مختصر في التوحيد، يجمع ما تفرق في كتب أهل العلم دون التوسع في التفاصيل ليناسب المقام مع الحرص على ذكر الأدلة في كل مسألة ، وفهم السلف لها ،والتنبيه في حال الالتباس على أهم الفروق بين المسائل، والتركيز على واقع الأمة الإسلامية اليوم ،ولفت الانتباه لصور الانحراف عن عقيدة السلف (ولم أسلك فيه طريق التعصب على أحد من الناس، لأن من سلك طريق الأخيار فمن الميل بعيد؛ لأن ما يُتدين به :



شرع مقبول ، وأثر منقول ، أو حكاية عن إمام مقبول ، وإنما الحيف يقع في كلام من تكلف الاختراع ونصر الابتداع)[1] أبتغي به ما عند الله من الأجر والثواب وسميته :

" حقيقة التوحيد .. يا أمة التوحيد "

◈ وضمنته مقدمة و تمهيد و أربعة أبواب وخاتمة :

المقدمـــة :

بينت فيها الغرض من الكتاب وخطة البحث فيه .

التمهيـــد:

في بيان منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال على مسائل التوحيد .

١. اقتصار السلف في مصدر التلقي على الوحي .
٢. حجية السنة في الاستدلال على مسائل العقيدة .
٣. عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة .
٤. الاعتماد على فهم الصحابة والتابعين للعقيدة .
٥. التسليم لما جاء به الوحي مع إعطاء العقل دوره الحقيقي .
٦. عدم تقديم أصول عقلية وجعلها حاكمة على النص .
٧. الجمع بين أطراف الأدلة .
٨. رد المتشابه للمحكم وليس العكس كما هو عادة أهل البدع.

---

(١) [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي: ١/٤٦]. [ط.دار البصيرة] .



الباب الأول: أهمية التوحيد وثمراته :

١. التوحيد من أجله خلق الله الخلق .

٢. وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها.

٣. ومن أجله أخذ الله الميثاق على بني آدم.

٤. و من أجله أرسل الله الرسل .

٥. ومن أجله أنزل الله الكتب .

٦. و هو أول ما ندعو الناس إليه.

٧. و من أجله انقسم الناس إلى مؤمن وكافر وبينهما ولاء وبراء.

٨. و من أجله شرع الله الجهاد.

٩. وهو شرط في النصر والتمكين .

١٠. وهو شرط في الأمن والاهتداء.

١١. و هو الكلمة السواء التي بيننا وبين أهل الكتاب.

١٢. و هو أول المأمورات وضده هو أول المنهيات.

١٣. و هو المعروف الأكبر وضده هو المنكر الأكبر.

١٤. و هو شرط في قبول الأعمال.

١٥. و هو حق الله على العبيد.

١٦. وهو يكفر الذنوب .

١٧. وهو سبب في حلول البركة.

١٨. وهو أول ما يسأل عنه العبد في قبره.





١٩. وهو شرط في الشفاعة.

٢٠. وهو شرط في دخول الجنة والنجاة من الخلود في النار.

الباب الثاني التوحيد معناه وأقسامه :

أولا : معنى التوحيد وموضوعاته :

١. التوحيد لغة وشرعا

٢. بيان معنى كلمة التوحيد وأركانها وشروطها.

٣. التوحيد عند المتكلمين والرد عليهم .

ثانيا : أقسام التوحيد وموضوعاته :

١. حكم التقسيم .

٢. كيف عرف العلماء التقسيم.

٣. الفائدة منه .

٤. لماذا لم يظهر في عهد الصحابة .

٥. بيان أقسام التوحيد إجمالا.

الباب الثالث: أقسام التوحيد تفصيلا :

الفصل الأول : توحيد الربوبية

الفصل الثاني : توحيد الأسماء والصفات .

الفصل الثالث : توحيد الألوهية .

الباب الرابع: نواقض التوحيد وموضوعاته :

١. الفرق بين الكفر والشرك.

٢. بيان أقسام الشرك وأنواعه.

٣. بيان أقسام الكفر وأنواعه.



الخاتمة :

بعض التوصيات والنصائح لطالب العلم.

المصادر والمراجع :

أقصد بالمصدر ما رجعت له من الكتب ونقلت عنه أما المرجع فهو ما رجعت له من الكتب ولم أنقل عنه .

الفهرس : ...

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه وأن يجنبني الخطأ والزلل إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوه إلا بالله .

كتبه ، أبو مريم الجريتلي



تمهيد

في بيان منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال على مسائل التوحيد .

١. اقتصار السلف في مصدر التلقي على الوحي .

٢. عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة .

٣. حجية السنة في الاستدلال على مسائل العقيدة .

٤. الاعتماد على فهم الصحابة والتابعين للعقيدة .

٥. التسليم لما جاء به الوحي مع إعطاء العقل دوره الحقيقي .

٦. عدم تقديم أصول عقلية وجعلها حاكمة على النص .

٧. الجمع بين أطراف الأدلة .

٨. رد المتشابه للمحكم وليس العكس كما هو عادة أهل البدع.



منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال على مسائل التوحيد[1]

القاعدة الأولى: اقتصار السلف في مصدر التلقي على الوحي كتابا وسنة :

فأهل السنة يؤمنون بجميع نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، فالحجة في كلام الله تعالى في إثبات ما أثبته الله ونفي ما نفاه وفيما صح من سنة النبي ﷺ وهما يكفيان لجميع متطلبات الحياة في جميع شئونها وجوانبها إلى قيام الساعة .

وقد تمثلت هذه القاعدة في عدة ركائز :

أ- الاعتقاد الجازم أنه لا يتحقق رضا الله والفوز بجنته والنجاة من عذابه إلا بالإيمان بهما والعمل بما جاءا به وما يترتب على هذا من وجوب أن يعيش المسلم حياته كلها اعتقادا وعملا وسلوكا مستمسكا ومعتصما بهما لا يزيغ عنهما ولا يتعدى حدودهما ، ومن مستلزمات هذا أن يتحاكم إليهما عند التنازع والاختلاف .

فنصوص الكتاب والسنة هي الأصل والميزان والمحك عند النزاع وبها توزن الأقوال والآراء كما قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

[النساء: ٥٩] .

---

(١) انظر [موقف ابن تيمية من الأشاعرة : ١/٥١-٧١] و [المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لإبراهيم البريكان : ٢٣-٣٦]و[العقيدة في الله لعمر سليمان الأشقر: ٥٧-٧٥] و[منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة :أحمد الصويان] .و [أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى لمحمد عبد الهادي المصري : ٧٥-٧٩] و [طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد لمحمد يسري: ٢٧٨-٣١٣]و[الثوابت والمتغيرات لصلاح الصاوي: ٥١-٦٠] و[منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن : ١/٣٤٨].



يقول ابن تيمية :

(فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اتفقت عليه الأمة فهذه الثلاثة هي أصول معصومة) (١)

ب- أن هذا الدين كامل والله تبارك وتعالى يقول :﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾ [المائدة:١٣] .

يقول ابن تيمية :

(ومثل هذا في القرآن كثير مما يبين الله فيه أن كتابه مبين للدين كله موضح لسبيل الهدى كاف لمن اتبعه لا يحتاج معه إلى غيره يجب اتباعه دون اتباع غيره من السبل) (٢)

ج- وجوب تقديم الشرع على العقل عند توهم التعارض وإلا ففي الحقيقة والواقع لا يمكن أن يتعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح .

يقول ابن تيمية :

(أن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه وما يدخل في العقل وليس منه) (٣).

د- الأدب مع نصوص الكتاب والسنة وذلك بأن تُراعى ألفاظها عند بيان العقيدة وأن لا تستخدم الألفاظ والمصطلحات الموهمة غير الشرعية .

---

(١) [مجموع الفتاوى : ١٦٤/٢٠]

(٢) [درء تعارض العقل والنقل : ١٠/ ٣٠٤].

(٣) [درء تعارض العقل والنقل: ١/ ٢٣١-٢٣٢] .



يقول ابن تيمية :

(إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه في الله وصفاته وأفعاله فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول)[١].

ويقول – رحمه الله :

(وما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم)[٢].

---

(١) [مجموع الفتاوى : ٤٣٢/٥] .

(٢) [الإيمان لابن تيمية: ص ٢٧١-٢٧٢] .





القاعدة الثانية : عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة والاقتصار في بيان وفهم العقيدة على ما في الكتاب والسنة :

وقد تجلى هذا في منهج السلف من خلال عدة أمور:

أ- الحرص على العلم النافع مع العمل ، فالعلم علمان : علم نافع يولد عملا وينفع صاحبه في الدنيا والآخرة ، وعلم غير نافع لا ينفع صاحبه في الدنيا ولا ينفع صاحبه في الآخرة.

قال معروف الكرخي:

(إذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شرا أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل) (١)

يقول ابن رجب:

(فالعلم النافع من هذه العلوم كلها : ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولا ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانيا وفي ذلك كفاية لمن عقل ، وشغل لمن بالعلم النافع عني واشتغل) (٢).

---

(١) رواه أبو نعيم الأصفهاني في الحلية : [٣٦١/٨].

(٢) [فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب :ص ١٥٠] .



ب- النهي عن البدع ومن ذلك علم الكلام.

قال الشافعي :

(لأن يلقى اللهَ العبدُ بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إلي من أن يلقاه بشيء من الأهواء) [١] .

ج- الرد على المنحرفين وأصحاب الأهواء بمنهج متميز فالسلف رحمهم الله لما حذروا من المنطق ومن علم الكلام لم يكتفوا بهذا وإنما ردوا وناقشوا أصحاب البدع بالأدلة النقلية والعقلية المبنية على الكتاب والسنة فالسلف لم ينهوا عن جنس النظر والاستدلال ولكن معارضتها تركزت على الأساليب الكلامية المبنية على غير الكتاب والسنة .

(١) رواه البيهقي في مناقب الشافعي: [٤٥٢/١] .

القاعدة الثالثة : حجية السنة في العقيدة ومن ذلك خبر الآحاد:

وهذه من القواعد الكبرى في منهج السلف رحمهم الله تميزوا بها عن كثير من أهل الأهواء والبدع.

يقول ابن تيمية :

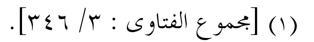
(أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر وليست هذه المترلة لغيره من الأئمة)[١].

وقد كان اعتمادهم على السنة وتعظيمهم لها مبنيا على أمور منها :

أ) أن من مقتضيات شهادة أن محمدا رسول الله التي لا يتم الإيمان إلا بها وجوب تصديقه فيما أخبر سواء كان عن الله أو صفاته أو مخلوقاته أو ما يستقبل من أمور الآخرة وغيرها من المغيبات .

ب) أن أعرف العباد بما يصلح لهم رسول الله ﷺ وأنه أرغب الناس في نشر الخير وتعريف الخلق به ولذلك فما من خير إلا ودل أمته عليه وما من شر إلا وحذرها منه.

ج) أن الرسول بلغ جميع ما أنزل إليه من ربه لم يكتم شيئا من ذلك وأنه عليه الصلاة و السلام قد بلغ ذلك أتم بلاغ وأبينه حتى ترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .



(١) [مجموع الفتاوى : ٣/ ٣٤٦].

وقد تمثلت هذه الأمور السابقة في موقف السلف من السنة وتعظيمهم لها وذلك بكونها وحيا من الله تعالى وبكونه ﷺ لا ينطق عن الهوى وبدا هذا واضحا من خلال :

١- الخضوع لحديث الرسول ﷺ إذا صح وتعظيمه وعدم الاعتراض عليه بأي نوع من أنواع الاعتراض فلا تحل معارضته بذوق أو وجد أو رأي أو قياس ونحوه

يقول الشافعي :

(لم أسمع أحدا نسبته إلى العلم أو نسبته العامة إلى العلم أو نسب نفسه إلى علم يحكي خلافا في أن فرض الله تعالى اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه فإن الله تعالى لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه ، وأنه لا يلزم قول رجل قال إلا بكتاب الله عز وجل أو سنة رسوله ﷺ ، وأن ما سواهما تبع لهما وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا قبول الخبر عن رسول الله ﷺ) [(١)].

٢- اعتمادهم على الأحاديث الصحيحة ونبذ الأحاديث الضعيفة والموضوعة فيجب التحقق من الأحاديث قبل الاحتجاج بها وإلا كانت النتيجة أن ننسب إلى دين الله ما ليس منه ونقرر أموراً اعتقادية باطلة .

٣- حجية خبر الآحاد في العقيدة إذا صح وهذا من المعالم الرئيسة لمنهج السلف والقول بأن أخبار الآحاد لا تفيد العلم ومن ثم فلا يحتج بها في العقيدة بدعة كبرى أحدثها المعتزلة وتلقفها للأسف كثير من العلماء من المنتسبين إلى السنة وخاصة في كتبهم في أصول الفقه وظنوا أنها لا تفيد العلم وإنما تفيد الظن،بينما لو تتبعنا نصوص السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم لوجدنا الإجماع منهم تقريبا على عدم التفريق في أخبار الآحاد بين الأحكام والعقائد .

---

(١) [إيقاظ الهمم: صـ١٠٤].



يقول ابن تيمية:

(فالخبر الذي تلقاه الأئمة بالقبول تصديقا له أو عملا بموجبه يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف وهذا في معنى المتواتر)[١].

يقول ابن أبي العز:

(وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملا به وتصديقا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة وهو أحد قسمي المتواتر و لم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع)[٢]

يقول صديق حسن خان :

(والخلاف في إفادة خبر الآحاد الظن أو العلم تقيد بما إذا لم يضم إليه ما يقويه أما إذا انضم إليه ما يقويه أو كان مشهورا أو مستفيضا فلا يجري فيه الخلاف المذكور ، ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول فكانوا بين عامل به ومتأول له ، ومن هذا القسم أحاديث صحيحي البخاري ومسلم)[٣].

فلم يكن السلف الصالح يفرقون بين خبر عن رسول الله ﷺ وآخر بدعوى أنه أحادي أو متكاثر الورود تفريقا يؤثر في العمل والعلم والاعتقاد واستمر هذا في أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر إلى يومنا هذا وإلى أن يشاء الله ؛ يدل على هذا تخريج أئمة أهل السنة كمالك وأحمد والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي والدارمي وغيرهم للأحاديث المثبتة للعقائد في مدوناهم ، فمتى صح الحديث وتلقي بالقبول وجب العمل والاعتقاد به ولزم .

---

(١) [مجموع الفتاوى : ٤٨/١٨].

(٢) [شرح العقيدة الطحاوية: ص ٣٣٩-٣٤٠].

(٣) [العقيدة في الله لعمر سليمان الأشقر: ص٦٠] .

القاعدة الرابعة : الاعتماد على فهم الصحابة والتابعين للعقيدة :

فالصحابة أعلم الناس بعد الرسول ﷺ بالعقيدة لذلك فأقوالهم وتفاسيرهم للنصوص حجة لأنهم قد اكتمل فيهم الفهم والمعرفة لأصول الدين التي دل عليها كتاب الله المنزل وسنة رسوله ﷺ .

قال أحمد بن حنبل:

(أصول السنة عندنا: التمسك بما عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة) [١].

قال الأوزاعي:

(اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم) [٢].

قال ابن رجب:

(فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدل والخصام والزيادة في البيان على مقدار الحاجة لم يكن عيًّا ولا جهلا ولا قصورا وإنما كان ورعا وخشية لله واشتغالا عما لا ينفع بما ينفع) [٣].

---

(١) [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي: ١/١٥٦] .

(٢) [ذم الكلام للهروي: صـ ٣١٥].

(٣) [فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب :صـ ٥٨].



ولقد تميز الصحابة في العقيدة وفهمها بعدة مميزات أهمها :

أ- أنهم شاهدوا التنزيل وعاشوا مع النبي ﷺ وهو يتلقى هذا الوحي من ربه الذي ينزل عليه مفرقا حسب الوقائع والأحداث .

ب- ومن المعلوم أن حواري الرسل وصحابتهم الذين اتبعوهم هم أكثر الناس فهما لرسالتهم وما يتعلق بها من أحكام سواء في العقيدة أو الشريعة فهم العارفون بدقائقها المدركون لحقائقها وهم أكمل الناس علما وعملا .

ج- لم يكن بين الصحابة خلاف في العقيدة فهم متفقون في أمور العقائد التي تلقوها عن النبي ﷺ بكل وضوح وبيان وهذا بخلاف مسائل الأحكام الفرعية القابلة للاجتهاد والاختلاف والأمور اليسيرة التي اختلفوا فيها كرؤية النبي ﷺ ربه وغيرها لا تؤثر في هذه القاعدة العامة لأن الخلاف فيها كان لأسباب وقد يكون لبعض الصحابة من العلم ما ليس عند الآخر لكنهم رضي الله عنهم إذا جاءهم الدليل خضعوا له بلا تردد.

د- كان الصحابة يسألون عما يشكل عليهم وهذا مشهور عنهم رضي الله عنهم فأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها روي عنها أنها (كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه) [١].

(١) والحديث رواه البخاري: [١٠٣/ كتاب العلم / باب :من سمع شيئا فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه] .

القاعدة الخامسة التسليم لما جاء به الوحي مع إعطاء العقل دوره الحقيقي:

وذلك بعدم الخوض في الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل في معرفتها ، فنحن لا ننكر دور العقل فهو مناط التكليف .

فهو كما قال ابن تيمية:

(شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل لكنه ليس مستقلا بذلك لكنه غريزة في النفس وقوة فيها بمترلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورا حيوانية قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما قد يحصل للبهيمة فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقول عن دركه لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه) [(١)].

---

(١) [مجموع الفتاوى:٣/٣٣٨ – ٣٣٩].

القاعدة السادسة عدم تقديم أصول عقلية وجعلها حاكمة على النص:

لم يكن السلف يتلقون النصوص ومعهم أصول عقلية يحاكمون النصوص إليها كما فعل المعتزلة وغيرهم الذين وضعوا أصولا عقلية ثم جاءوا إلى القرآن والسنة وما فيهما من دلالات في الاعتقاد فما وجدوه مخالفا لشيء منها أولوه أو أنكروا الاحتجاج به .

يقول ابن تيمية واصفا أهل السنة والجماعة :

(هم أهل الكتاب والسنة لأنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد ويتبعون آثاره ﷺ باطنا وظاهرا)[١].

ويقول – رحمه الله :

(ولا ينصرون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول ﷺ بل يجعلون ما بعث به الرسول ﷺ من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه)[٢].

ويقول– رحمه الله :

(معارضة أقوال الأنبياء بأقوال الرجال وتقديم ذلك عليها هو من فعل المكذبين للرسل بل هو جماع كل كفر كما قال الشهرستاني في أول كتابه المعروف بالملل والنحل ما معناه: أصل كل شر هو معارضة النص بالرأي وتقديم الهوى على الشرع، وهو كما قال)[٣].

---

(١) [مجموع الفتاوى : ١٥٧/٣].

(٢) [مجموع الفتاوى : ٣٤٧/٣].

(٣) [درء تعارض العقل والنقل: ٢٠٤/٥].



القاعدة السابعة الجمع بين أطراف الأدلة :

فلابد من الرجوع إلى النصوص الواردة في مسألة معينة وعدم الاقتصار على بعضها دون البعض الآخر وهذا ناشئ من أنهم لا يفرقون بين النصوص وليس لديهم أصول عقلية مقررة سلفا عندهم ليأخذوا من النصوص ما وافقها ويدعوا ما خالفها كما وقع فيه أهل الأهواء كلهم .

قال أحمد بن حنبل:

(الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه ، والحديث يفسر بعضه بعضا) [١].

يقول الشاطبي :

(ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد وهو الجهل بمقاصد الشرع وعدم ضم أطرافها بعضها لبعض فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها)[٢]

(١) [الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي: ٢/٢١٢].

(٢) [الموافقات: ١/٢٤٥-٢٤٦].



القاعدة الثامنة رد المتشابه للمحكم وليس العكس كما هو عادة أهل البدع :

فلقد اتفق أهل السنة والجماعة على (موافقة طريقة السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الحديث والفقه كالإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والبخاري وإسحاق وغيرهم ؛ وهي رد المتشابه إلى المحكم وأنهم يأخذون من المحكم ما يفسر لهم المتشابه ويبينه لهم فتتفق دلالتهم مع دلالة المحكم وتوافق النصوص بعضها بعضا ويصدق بعضها بعضا فإنها كلها من عند الله ؛وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره) [1].

يقول ابن كثير:

(يخبر تعالى أن في القرآن آياتٍ محكمات، هن أم الكتاب، أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم. فمَن ردّ ما اشتبه إلى الواضح منه وحَكّم محكمَه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالى:﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي أصله الذي يُرجع إليه عند الاشتباه ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم ، وقد تحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد ...

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ أي إنما يَأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينـــزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه. فأما المحكم فلا نصيبَ لهم فيه لأنه دافعٌ لهم وحجة عليهم. ولهذا قال الله تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ أي الإضلال لأتْباعهم إيهاما لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو حجة عليهم لا لهم، كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ [الزخرف: ٥٩] وبقوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ

---

(١) [إعلام الموقعين :٢/٢٩٤].



عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خَلْقٌ من مخلوقات الله وعبدٌ ورسولٌ من رسل الله.

وقولُه تعالى: ﴿**وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ** ﴾أي تحريفه على ما يريدون... وقد قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله ﷺ:

﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ** – إلى قوله – **أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾ [آل عمران: ٧] فقال: « **فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم**»[1])[2]

(1) رواه البخاري: [٤٥٤٧/ كتاب تفسيرالقرآن/ باب ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾] ، ورواه مسلم: [٢٦٦٥/كتابالعلم/ باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن] .

(2) تفسير ابن كثير: [آل عمران:٧] باختصار .





البَابُ الأَوَّلُ

أهمية التوحيد وثمراته



أهمية التوحيد وثمراته

إن من تدبر نصوص القرآن والسنة يعلم أهمية التوحيد الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، ولا يستطيع أحد أن يحصر أهمية التوحيد ولو في أسفار ومجلدات غير أني أذكر طرفا منها لتكون بمثابة المنارات التي يهتدي بها السالك لأنفع المسالك، وهي:

١- التوحيد من أجله خلق الله الخلق:

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها ، وبعث جميع الرسل يدعون إليها ، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته ، والإنابة إليه ، والإقبال عليه ، والإعراض عما سواه . وذلك متوقف على معرفة الله تعالى ، فإن تمام العبادة ، متوقف على المعرفة بالله ، بل كلما ازداد العبد معرفة بربه ، كانت عبادته أكمل ، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله ، فما خلقهم لحاجة منه إليهم) [١]

(فمعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء،ومن عصاه عذبه أشد العذاب. وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم. فهو خالقهم ورازقهم). [٢]

---

(١) تفسير السعدي: [الذاريات: ٥٦].

(٢) تفسير ابن كثير: [الذاريات: ٥٦].



(فبين سبحانه الحكمة في خلقهم، وهي أن يعبدوا الله وحده، وأنهم لم يُخلقوا عبثاً ولا سدىً، بل خُلقوا لهذا الأمر العظيم: وهو أن يعبدوا الله جل وعلا، ولا يشركوا به شيئا، ويخصوه بدعائهم وخوفهم ورجائهم وصلاتهم وصومهم، وذبحهم ونذرهم وغير ذلك)[١].

(فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تُسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة)[٢].

(١) [بيان معنى كلمة لا إله إلا الله للشيخ ابن باز : صـ٤٥-٤٦].[ط.مكتبة الصفا] .

(٢) [متون العقيدة / رسالة القواعد الأربعة للشيخ محمد بن عبد الوهاب: ص٨٥] .[ط: دار الآثار].



٢- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها :

قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ [الروم: ٣٠]

(﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾ أي : انصبه ووجهه ﴿ لِلدِّينِ ﴾ الذي هو الإسلام والإيمان ، والإحسان، بأن تتوجه بقلبك ، وقصدك ، وبدنك إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة ، كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ونحوها . وشرائعه الباطنة ، كالمحبة ، والخوف ، والرجاء ، والإنابة . والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة ، بأن تعبد الله فيها كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك . وخص الله إقامة الوجه ، لأن إقبال الوجه ، تبع لإقبال القلب ، ويترتب على الأمرين ، سعي البدن ، ولهذا قال :

﴿ حَنِيفًا ۚ ﴾ أي : مقبلا على الله في ذلك ، معرضا عما سواه .

وهذا الأمر الذي أمرناك به ، هو ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ ووضع في عقولهم حسنها ، واستقباح غيرها.

فإن جميع أحكام الشرع ، الظاهرة والباطنة ، قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها . فوضع في قلوبهم ، محبة الحق ، وإيثار الحق ، وهذا حقيقة الفطر . ومن خرج عن هذا الأصل ، فلعارض عرض لفطرته ، أفسدها ، كما قال النبي ﷺ: « **كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** » .

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي : لا أحد يبدل خلق الله ، فيجعل المخلوق على غير الوضع ، الذي وضعه الله . ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الذي أمرناك به ﴿ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ **أي** : الطريق المستقيم الموصل إلى الله ، وإلى دار كرامته ، فإن من أقام وجهه للدين حنيفا فإنه سالك الصراط المستقيم ، في جميع شرائعه وطرقه . ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فلا يتعرفون الدين القيم ، وإن عرفوه لم يسلكوه) [١]

(١) تفسير السعدي: [الروم: ٣٠] .



(والنفس بفطرتها إذا تركت؛ كانت مقرة لله بالإلهية، مُحبَّةً لله، تعبدُه لا تُشرك به شيئًا، ولكن يفسدها وينحرف بها عن ذلك ما يُزيِّنُ لها شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، فالتوحيد مركوز في الفطر والشرك طارئ ودخيل عليها) [(١)].

(فإن الله فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة به، والسكون إليه ومحبته، وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه والريبة به وعدم السكون إليه، ولو بقيت الفطر على حالها لما آثرت على الحق سواه ولما سكنت إلا إليه ولا اطمأنت إلا به ولا أحبت غيره) [(٢)].

(قال ابن عطية: والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به؛ فكأنه تعالى قال: أقم وجهك للدين الذي هو الحنيف، وهو فطرة الله الذي على الإعداد له فطر البشر، لكن تعرضهم العوارض؛ ومنه قول النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه** » فذكر الأبوين إنما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة.

وقال شيخنا أبو العباس في عبارته: إن الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام وهو الدين الحق. وقد دل على صحة هذا المعنى قوله ﷺ : « **كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء** » يعني أن البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة سليما من الآفات، فلو ترك على أصل تلك الخلقة لبقي كاملا بريئا من العيوب، لكن يتصرف فيه فيجدع أذنه ويوسم

---

(١) انظر: [مجموعة رسائل في التوحيد: صـ٢١٧] . [ط.دار العقيدة] .

(٢) [مدارج السالكين: ٤٧١/٣] .

وجهه فتطرأ عليه الآفات والنقائص فيخرج عن الأصل؛ وكذلك الإنسان، وهو تشبيه واقع ووجهه واضح.) [١]

(فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم،الذي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال،وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها،فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره،كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿ **وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ** ﴾. وفي الحديث « **إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم** » وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام،ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية والنصرانية والمجوسية.

وقوله تعالى: ﴿ **لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ** ﴾ قال بعضهم: معناه لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها،فيكون خبراً بمعنى الطلب،كقوله تعالى: ﴿ **وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ** ﴾ وهو معنى حسن صحيح، وقال آخرون: هو خبر على بابه ومعناه أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة،لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك. ولهذا قال ابن عباس وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابن زيد في قوله ﴿ **لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ** ﴾ أي لدين الله، وقال البخاري: قوله ﴿ **لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ** ﴾ لدين الله، خلق الأولين دين الأولين،الدين والفطرة الإسلام ...

---

(١) تفسير القرطبي: [الروم: ٣٠] .





وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ أي التمسك بالشريعة والفطرة السليمة هو الدين القيم المستقيم ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي فلهذا لا يعرفه أكثر الناس ، فهم عنه ناكبون ،كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية) .[(١)]

(فأخبر أنه فطر عباده على إقامة الوجه حنيفًا، وهو عبادة اللّه وحده لا شريك له، فهذه من الحركة الفطرية الطبيعية المستقيمة المعتدلة للقلب، وتركها ظلم عظيم اتبع أهله أهواءهم بغير علم، ولابد لهذه الفطرة والخلقة ــ وهي صحة الخلقة ــ من قوت وغذاء يمدها بنظير ما فيها مما فطرت عليه علمًا وعملًا؛ ولهذا كان تمام الدين بالفطرة المكملة بالشريعة المترلة، وهي مأدبة اللّه كما قال النبي ﷺ في حديث ابن مسعود: « **إن كل آدب يحب أن تؤتي مأدبته، وإن مأدبة اللّه هي القرآن** »، ومثله كماء أنزله اللّه من السماء، كما جرى تمثيله بذلك في الكتاب والسنة. والمحرفون للفطرة المغيرون للقلب عن استقامته، هم ممرضون القلوب مسقمون لها، وقد أنزل اللّه كتابه شفاء لما في الصدور).[(٢)].

(ولهذا كان بطلان الشرك وقبحه معلوماً بالفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، والعلم بقبحه أظهر من العلم بقبح سائر القبائح)[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير: [الروم: ٣٠] .

(٢) [مجموع الفتاوى : ١٠ \ ١٤٦].

(٣) [إغاثة اللهفان لابن القيم:٢/٢٧١]. [ط.دار إحياء الكتب العربية].



(ولكن لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا، وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل، ألا ترى أنه يقول: فأبواه يهودانه؟ فهو مع وجود الإيمان الفطري فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين، وهذا معنى قوله ﷺ يقول الله تعالى: « **إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**». ويحكى معنى هذا عن الأوزاعي، وحماد بن سلمة.

وحكي عن عبد الله بن المبارك أنه قال: معنى الحديث إن كل مولود يولد على فطرته، أي: على خلقته التي جبل عليها في علم الله تعالى من السعادة أو الشقاوة، فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليها، وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها، فمن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين، فيحملانه –لشقائه– على اعتقاد دينهما.

وقيل: معناه أن كل مولود يولد في مبدأ الخلقة على الفطرة أي على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، لأن هذا الدين موجود حسنه في العقول، وإنما يعدل عنه من يعدل إلى غيره لآفة من آفات النشوء والتقليد، فلو سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره.) [(١)].

---

(١) تفسير البغوي: [الروم: ٣٠].

٣- التوحيد من أجله أخذ الله الميثاق على بني آدم:

قال تعالى:﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

(يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله رهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه قال تعالى :﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ** ﴾

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة** [وفي رواية « **على هذه الملة**»] **فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد هيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**» وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله: « **إني خلقت عبادي حنفاء فجاءهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم**» .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني السري بن يحيى أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الأسود بن سريع من بني سعد قال غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه ثم قال «**ما بال أقوام يتناولون الذرية**» فقال رجل يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين ؟ فقال «**إن خياركم أبناء المشركين ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها**» .

قال الحسن والله لقد قال الله في كتابه :﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ﴾ الآية ...

وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال،وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله رهم.



قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :«**يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به قال: فيقول: نعم فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي**» أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به.

[حديث آخر] قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعني ابن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «**أخذ الله الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ۝١٧٢﴾** أَوْ تَقُولُوا - إلى قوله - **الْمُبْطِلُون﴾** ...

وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن أبي هلال عن أبي حمزة الضبعي عن ابن عباس قال: أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في أذى من الماء. وقال أيضاً : حدثنا علي بن سهل حدثنا ضمرة بن ربيعة حدثنا أبو مسعود عن جرير قال مات ابن الضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام قال: فقال: يا جابر إذا أنت وضعت ابني في لحده فأبرز وجهه وحل عنه عقده فإن ابني مجلس ومسؤول ففعلت به الذي أمر فلما فرغت قلت يرحمك الله عما يسأل ابنك من يسأله إياه قال: يسأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قلت: يا أبا القاسم وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قال: حدثني ابن عباس: إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خلقها إلى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة فهذه الطرق كلها مما تقوي وقف هذا على ابن عباس والله أعلم.



... فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة وأهل النار،وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفي حديث عبد الله بن عمرو وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان كما تقدم .

ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك قالوا:

ولهذا قال: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ** ﴾ و لم يقل من آدم ﴿**مِن ظُهُورِهِمْ**﴾ و لم يقل من ظهره ﴿**ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ أي جعل نسلهم جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن كقوله تعالى ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ** ﴾ وقال ﴿ **وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ** ﴾ وقال ﴿ **كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ** ﴾ ثم قال ﴿ **وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ** ﴾ أي أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالاً وقالاً والشهادة تارة تكون بالقول كقوله ﴿ **قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا** ﴾ الآية وتارة تكون حالاً كقوله تعالى:﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ** ﴾ أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك وكذا قوله تعالى:﴿ **وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ** ﴾ كما أن السؤال تارة يكون بالقال وتارة يكون بالحال كقوله ﴿ **وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ قالوا ومما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه فإن قيل إخبار الرسول ﷺ به كاف في وجوده فالجواب :



أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءهم به الرسل من هذا وغيره،وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد ولهذا قال ﴿ **أَن تَقُولُواْ** ﴾ أي لئلا تقولوا يوم القيامة ﴿ **إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا** ﴾ أي التوحيد ﴿ **غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا** ﴾ الآية) [(١)].

(﴿ **وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** ﴾ أي : قررهم ، بإثبات ربوبيته ، بما أودعه في فطرهم ، من الإقرار ، بأنه ربهم وخالقهم ، ومليكهم . قالوا : ﴿ **بَلَىٰ** ﴾ قد أقررنا بذلك ، فإن الله تعالى ، فطر عباده على الدين الحنيف القيم . فكل أحد ، فهو مفطور على ذلك ، ولكن الفطرة قد تغير ، وتبدل ، بما يطرأ على العقول من العقائد الفاسدة ، ولهذا ﴿ **قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ** ﴾. أي : إنما امتحناكم ، حتى أقررتم ، بما تقرر عندكم، من أن الله تعالى ، ربكم ، خشية أن تنكروا يوم القيامة ، فلا تقروا بشيء من ذلك ، وتزعمون أن حجة الله ، ما قامت عليكم ، ولا عندكم بها علم ، بل أنتم غافلون عنها لاهون . فاليوم ، قد انقطعت حجتكم ، وثبتت الحجة البالغة لله ، عليكم ، أو تحتجون أيضا بحجة أخرى، فتقولون:

﴿ **إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ** ﴾ فحذونا حذوهم ، وتبعناهم في باطلهم . ﴿ **أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ** ﴾، فقد أودع الله في فطركم ، ما يدلكم على أن ما مع آبائكم ، باطل ، وأن الحق ما جاءت به الرسل ، وهذا يقاوم ما وجدتم عليه آباءكم ، ويعلو عليه .

(١) تفسير ابن كثير باختصار: [الأعراف: ١٧٢] .



نعم قد يعرض للعبد من أقوال آبائه الضالين ، ومذاهبهم الفاسدة ، ما يظنه هو الحق ، وما ذاك إلا لإعراضه ، عن حجج الله وبيناته ، وآياته الأفقية ، والنفسية ، فإعراضه ذلك ، وإقباله على ما قاله المبطلون ، ربما صيره بحالة يفضل بها الباطل على الحق ، هذا هو الصواب في تفسير هذه الآيات . وقد قيل : إن هذا يوم أخذ الله الميثاق على ذرية آدم ، حين استخرجهم من ظهره ، وأشهدهم على أنفسهم ، فشهدوا بذلك ، فاحتج عليهم بما أمرهم به في ذلك الوقت ، على ظلمهم ، في كفرهم ، وعنادهم في الدنيا والآخرة ، ولكن ليس في الآية ما يدل على هذا ، ولا له مناسبة ، ولا تقتضيه حكمة الله تعالى ، والواقع شاهد بذلك .

فإن هذا العهد والميثاق ، الذي ذكروا ، أنه حين أخرج الله ذرية آدم من ظهره ، حين كانوا في عالم الذر ، لا يذكره أحد ، ولا يخطر ببال آدمي . فكيف يحتج الله عليهم بأمر ، ليس عندهم به خبر ، ولا له عين ولا أثر ؟ ولهذا لما كان هذا أمرا واضحا جليا ، قال تعالى : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ** ﴾أي: نبينها ونوضحها ، ﴿ **وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ إلى ما أودع الله في فطرهم ، وإلى ما عاهدوا الله عليه ، فيرتدعوا عن القبائح.) [(١)].

(وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا ، أي : لئلا يقولوا أو كراهية أن يقولوا ، ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام : أخاطبكم : ألست بربكم لئلا تقولوا ، ﴿ **يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ** ﴾ ، أي : عن هذا الميثاق والإقرار ، فإن قيل : كيف تلزم الحجة على أحد لا يذكر الميثاق؟ قيل : قد أوضح الله الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمته الحجة ، وبنسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق صاحب المعجزة .

(١) تفسير السعدي: [الأعراف: ١٧٢] .

قوله تعالى : ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ يقول : إنما أخذ الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون : إنما أشرك آباؤنا من قبل ونقضوا العهد وكنا ذرية من بعدهم ، أي كنا أتباعاً لهم فاقتدينا بهم ، فتجعلوا هذا عذراً لأنفسكم وتقولوا : ﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ أفتعذبنا بجناية آبائنا المبطلين ، فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد . ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ أي : نبين الآيات ليتدبرها العباد ، ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ من الكفر إلى التوحيد) . [1]

(فهذه الآية تدل على أن الإنسان مجبول بفطرته على شهادته بوجود الله وربوبيته، وسواء أقلنا: إن الله استخرجهم من ظهر آدم واستشهدهم، أو قلنا: إن هذا هو ما ركب الله تعالى في فطرهم من الإقرار به؛ فإن الآية تدل على أن الإنسان يعرف ربه بفطرته) [2].

---

(١) تفسير البغوي: [الأعراف: ١٧٢] .

(٢) [شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين:صـــ٣٥] .[ط.مكتبة الإيمان] .



٤- التوحيد من أجله أرسل الله الرسل:

(وأوضح هذا المعنى كثيراً في القرآن عن طريق العموم والخصوص ، فمن النصوص الدالة عليه مع عمومها :

قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء:٢٥]

وقوله: ﴿ **وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴾ [الزخرف:٤٥] ونحو ذلك من الآيات.

ومن النصوص الدالة عليه مع الخصوص في أفراد الأنبياء وأممهم :

قولـــه تعـــالى:﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ** ﴾. وقوله تعالى: ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ** ﴾. وقوله: ﴿ **وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.) (١).

(فأدلة العقل شاهدة أنه لا شريك له، والنقل عن جميع الأنبياء موجود، والدليل إما معقول وإما منقول وقال قتادة: لم يرسل نبي إلا بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن، وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد) (٢).

---

(١) تفسير الشنقيطي: [النحل: ٣٦].

(٢) تفسير القرطبي: [الأنبياء: ٢٥] .

(فإن قيل : إذا كان الدليل العقلي ، والدليل النقلي ، قد دلا على بطلان الشرك ، فما الذي حمل المشركين على الشرك ، وفيهم ذوو العقول والذكاء والفطنة ؟ أجاب تعالى بقوله : ﴿ **بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا** ﴾ أي : ذلك الذي مشوا عليه ، ليس لهم فيه حجة ، وإنما ذلك ، توصية بعضهم لبعض به ، وتزيين بعضهم لبعض واقتداء المتأخر بالمتقدم الضال ، وأماني مناها الشياطين ، وزينت لهم سوء أعمالهم . فنشأت في قلوبهم ، وصارت صفة من صفاتها ، فعسر زوالها ، وتعسر انفصالها ، فحصل ما حصل ، من الإقامة على الكفر ، والشرك الباطل المضمحل) [١].

(فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له،والفطرة شاهدة بذلك أيضاً،والمشركون لا برهان لهم،وحجتهم داحضة عند ربهم،وعليهم غضب،ولهم عذاب شديد) [٢].

وقال سبحانه:﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ** ﴾.[النحل:٣٦]

(يخبر تعالى ، أن حجته قامت على جميع الأمم ، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة ، إلا وبعث الله فيها رسولا وكلهم متفقون على دعوة واحدة ، ودين واحد ، وهو : عبادة الله وحده لا شريك له ﴿ **أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ** ﴾، فانقسمت الأمم ، بحسب استجابتها لدعوة الرسل وعدمها ، قسمين ، ﴿ **فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ** ﴾ فاتبعوا المرسلين ، علما ، وعملا ، ﴿ **وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ** ﴾ فاتبع سبيل الغي) [٣].

---

(١) تفسير السعدي: [الأنبياء: ٢٥] .

(٢) تفسير ابن كثير: [الأنبياء: ٢٥] .

(٣) السعدي: [النحل: ٣٦].



(﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي بأن اعبدوا الله ووحدوه. ﴿ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ أي اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم، وكل من دعا إلى الضلال. ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ أي أرشده إلى دينه وعبادته. ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ أي بالقضاء السابق عليه حتى مات على كفره) [١]

(فدلت الآية على أن الحكمة في إرسال الرسل هو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، وأن أصل دين الأنبياء واحد وهو الإخلاص في العبادة لله وإن اختلفت شرائعهم) [٢].

(يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا ﴾ أيها الناس ﴿ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ سلفت قبلكم ﴿ رَّسُولاً ﴾ كما بعثنا فيكم بأن ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ وحده لا شريك له وأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة، ﴿ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم ويصدّكم عن سبيل الله فتضلوا. ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ يقول: فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله، فوفّقه لتصديق رسله والقبول منها والإيمان بالله والعمل بطاعته، ففاز وأفلح ونجا من عذاب الله .

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ يقول: وممن بعثنا رسلنا إليه من الأمم آخرون حقّت عليهم الضلالة، فجاروا عن قصد السبيل، فكفروا بالله وكذّبوا رسله واتبعوا الطاغوت، فأهلكهم الله بعقابه وأنزل عليهم بأسه الذي لا يردّ عن القوم المجرمين.) [٣].

---

(١) تفسير القرطبي: [النحل: ٣٦] .

(٢) [تيسير العزيز الحميد:ص٥١].

(٣) تفسير الطبري: [النحل: ٣٦].

(فيكف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول:﴿ **لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ** ﴾ فمشيئته تعالى الشرعية عنهم منتفية،لأنه نهاهم عن ذلك على ألسنة رسله،وأما مشيئته الكونية وهي تمكينهم من ذلك قدراً،فلا حجة لهم فيها ، لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة ، وهو لا يرضى لعباده الكفر ، وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة.)[١].

(فالقرآن صريح في أن أساس دعوة جميع الرسل: التوحيد وإفراد الله بالعبادة) [٢].

(وهذا الأصل هو أصل الدين، وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ، وإليه دعا الرسول وعليه جاهد وبه أمر وفيه رغب ، وهو قطب الدين الذي تدور عليه رحاه)[٣]

---

(١) تفسير ابن كثير: [النحل: ٣٦].

(٢) قاله الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لكتاب [إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: ص١٥٥].

(٣)[الفتاوى: ٢١٤/١٠]





٥- التوحيد من أجله أنزل الله الكتب :

قال تعالى:

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴾ [هود: ١-٢].

(يقول تعالى: هذا ﴿كِتَٰبٌ﴾ عظيم، ونزل كريم ،﴿ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ أي : أتقنت وأحسنت ، صادقة أخبارها ، عادلة أوامرها ونواهيها ، فصيحة ألفاظه بهية معانيه .

﴿ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ﴾ أي : ميزت ، بينت بيانا في أعلى أنواع البيان ،﴿ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ ﴾ يضع الأشياء مواضعها ، وينزلها منازلها ، لا يأمر ، ولا ينهى ، إلا بما تقتضيه حكمته ، ﴿ خَبِيرٍ ﴾ مطلع على الظواهر والبواطن . فإذا كان إحكامه وتفصيله من عند الله الحكيم الخبير ، فلا تسأل بعد هذا عن عظمته وجلالته واشتماله على كمال الحكمة ، وسعة الرحمة . وإنما أنزل الله كتابه لأجل ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ أي : لأجل إخلاص الدين كله لله ، وأن لا يشرك به أحد من خلقه .﴿ إِنَّنِي لَكُم ﴾ أيها الناس ﴿ مِّنۡهُ ﴾ أي : من الله ربكم ﴿ نَذِيرٞ ﴾ لمن تجرأ على المعاصي ، بعقاب الدنيا والآخرة ، ﴿وَبَشِيرٞ﴾ للمطيعين لله ، بثواب الدنيا والآخرة)[١].

(فهذه الآية الكريمة فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أُنزل القرآن من أجلها هي: أن يُعبد الله وحده، ولا يُشرك به في عبادته شيء؛ لأن قوله:﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ ﴾ صريح في أن آيات هذا الكتاب فصلت من عند الحكيم الخبير لأجل أن يُعبد الله وحده)[٢]

(١) تفسير السعدي : [هود: ١-٢] .

(٢) تفسير أضواء البيان للشنقيطي : [هود :١-٢].



(أي نزل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة الله وحده لا شريك له كقوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُون ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦])[١]

(وعبادة الله وحده هي أصل الدين، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب)[٢]

(١) تفسير ابن كثير: [هود :١-٢].

(٢) [مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٣/٣٩٧].





٦- التوحيد هو أول ما ندعو الناس إليه :

قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه:

« **إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى** ... » [١] وفي رواية « **ستأتي قوما أهل كتاب** ... ».

(قوله: « **ستأتي قوما أهل كتاب** » هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان وليس فيه أن جميع من يقدم عليهم من أهل الكتاب بل يجوز أن يكون فيهم من غيرهم وإنما خصهم بالذكر تفضيلا لهم على غيرهم قوله فإذا جئتهم قيل عبر بلفظ إذا تفاؤلا بحصول الوصول إليهم قوله :

« **فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله** » كذا للأكثر وقد تقدم في أول الزكاة بلفظ « **وأنى رسول الله** »كذا في رواية زكريا بن إسحاق لم يختلف عليه فيها وأما إسماعيل بن أمية ففي رواية روح بن القاسم عنه « **فأول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله** » وفي رواية الفضل بن العلاء عنه « **إلى أن يوحدوا الله فإذا عرفوا ذلك** » .

ويجمع بينها بأن المراد بعبادة الله توحيده وبتوحيده الشهادة له بذلك ولنبيه بالرسالة ووقعت البداءة بهما لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما إلا بهما فمن كان منهم غير موحد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين ومن كان موحدا فالمطالبة له بالجمع بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة وإن كانوا يعتقدون ما يقتضي الإشراك أو يستلزمه كمن يقول ببنوة عزير أو يعتقد التشبيه فتكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم) [٢].

---

(١) رواه البخاري: [٧٣٧٢/كتاب التوحيد/باب: ما جاء في دعاء النبيﷺأمته إلى توحيد الله].

(٢) [فتح الباري لابن حجر : ٣/ ٣٥٨] .



(وإذا أراد الدعوة إلى ذلك، فليبدأ بالدعوة إلى التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، إذ لا تصح الأعمال إلا به فهو أصلها الذي تبنى عليه، ومتى لم يوجد لم ينفع العمل، بل هو حابط، إذ لا تصح العبادة مع الشرك كما قال تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴾ [التوبة: ١٧]، ولأن معرفة معنى هذه الشهادة هو أول واجب على العباد، فكان أول ما يبدأ به في الدعوة) [١].

فالتوحيد هو أول شيء أمر النبي ﷺ بالدعوة إليه وهذا ليس خاص بمعاذ رضي الله عنه ،بل هو عام لكل من يدعو إلى الله عز وجل أن يبدأ بهذا الأصل فإن هم أطاعوه لذلك وشهدوا أن لا إله إلا الله واعترفوا بعقيدة التوحيد حينئذٍ فمرهم بالصلاة والزكاة أما بدون ذلك فلا تأمرهم بالصلاة لأنه لا فائدة للصلاة والزكاة ولسائر الأعمال ولو كثرت بدون توحيد.

(١) [تيسير العزيز الحميد: ص١٢٢،١٢٣] .



٧- التوحيد من أجله انقسم الناس إلى مؤمن وكافر وبينهما ولاء وبراء:

قال تعالى:﴿ **لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾.[المجادلة: ٢٢]

يقول تعالى : ﴿ **لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ** ﴾، أي : لا يجتمع هذا وهذا ، فلا يكون العبد مؤمنا بالله واليوم الآخر حقيقة ، إلا كان عاملا على مقتضى إيمانه ولوازمه ، من محبة من قام بالإيمان وموالاته ، وبغض من لم يقم به ومعاداته ، ولو كان أقرب الناس إليه . وهذا هو الإيمان على الحقيقة ، الذي وجدت ثمرته ، والمقصود منه . وأهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان ، أي : رسمه وثبته ، وغرسه غرسا ، لا يتزلزل ، ولا تؤثر فيه الشبه والشكوك . وهم الذين قواهم الله بروح منه ، أي : بوحيه ومعرفته ومدده الإلهي ، وإحسانه الرباني .

وهم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار ، ولهم جنات النعيم في دار القرار ، التي فيها كل ما تشتهيه الأنفس ، وتلذ الأعين ، وتختار ، ولهم أفضل النعيم وأكبره ، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا ، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات ، ووافر المثوبات ، وجزيل الهبات ، ورفيع الدرجات بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية ، ولا وراءه نهاية .

وأما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الأخر ، وهو مع ذلك مواد لأعداء الله ، محب لمن نبذ الإيمان وراء ظهره ، فإن هذا إيمان زعمي ، لا حقيقة له ، فإن كان أمر لا بد له من برهان يصدقه ، فمجرد الدعوى لا تفيد شيئا ، ولا يصدق صاحبها) [١].

---

(١) تفسير السعدي : [المجادلة: ٢٢] .

﴿ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ ﴾ قال السدي: نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي، جلس إلى النبي ﷺ فشرب النبي ﷺ ماء، فقال له: بالله يا رسول الله ما أبقيت من شرابك فضلة أسقيها أبي، لعل الله يطهر بها قلبه ؟ فأفضل له فأتاه بها .

فقال له عبد الله: ما هذا ؟ فقال: هي فضلة من شراب النبي ﷺ جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها. فقال له أبوه: فهلا جئتني ببول أمك فإنه أطهر منها. فغضب وجاء إلى النبي ﷺ، وقال: يا رسول الله! أما أذنت لي في قتل أبي؟ فقال النبي ﷺ: « **بل ترفق به وتحسن إليه** ».

وقال ابن جريج: حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ فصكه أبو بكر ابنه صكة فسقط منها على وجهه، ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: « **أو فعلته، لا تعد إليه** » فقال: والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته.

وقال ابن مسعود: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد وقيل: يوم بدر. وكان الجراح يتصدى لأبي عبيدة وأبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله حين قتل أباه: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ الآية.

قال الواقدي: كذلك يقول أهل الشام. ولقد سألت رجالا من بني الحرث بن فهر فقالوا: توفي أبوه من قبل الإسلام. ﴿ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾ يعني أبا بكر دعا ابنه عبد الله إلى البراز يوم بدر، فقال النبي ﷺ : « **متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندي بمترلة السمع والبصر** ». ﴿ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ ﴾ يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم بدر. ﴿ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ ﴾ يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعلي وحمزة قتلا عتبة وشيبة والوليد يوم بدر. وقيل: إن الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، لما كتب إلى أهل مكة بمسير النبي ﷺ عام الفتح، على ما يأتي بيانه أول





سورة [الممتحنة] إن شاء الله تعالى. بين أن الإيمان يفسد بموالاة الكفار وإن كانوا أقارب) [(١)].

(﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَـٰنَ ﴾، أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصة، وقيل: حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنها موضعه ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ ﴾ قواهم بنصر منه. قال الحسن: سمى نصره إياهم روحاً لأن أمرهم يحيا به. وقال السدي: يعني بالإيمان. وقال الربيع: يعني بالقرآن وحجته، كما قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾ [الشورى: ٥٢] وقيل برحمة منه. وقيل أمدهم بجبريل عليه السلام.) [(٢)]

وقال سبحانه: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.[آل عمران: ٢٨]

(ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرا وأنصارا ، توالونهم على دينهم ، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين ، وتدلونهم على عوراتهم ، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء يعني بذلك ، فقد بريء من الله ، وبريء الله منه بارتداده عن دينه ، ودخوله في الكفر إلا أن تتقوا منهم تقاة ، إلا أن تكونوا في سلطانهم ، فتخافوهم على أنفسكم ، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم ، وتضمروا لهم العداوة ، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ، ولا تعينوهم على مسلم بفعل) [(٣)].

---

(١) تفسير القرطبي: [المجادلة: ٢٢].

(٢) تفسير البغوي: [المجادلة: ٢٢].

(٣) انظر تفسير الطبري: [آل عمران: ٢٨] .



(فهذا نهي من الله وتحذير للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين فإن المؤمنين بعضهم أولياء بعض والله وليهم ومن يفعل ذلك التولي فليس من الله في شيء أي فهو بريء من الله والله بريء منه كقوله تعالى :﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ وقوله: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ أي إلا أن تخافوا على أنفسكم في إبداء العداوة للكافرين فلكم في هذه الحال الرخصة في المسالمة والمهادنة لا في التولي الذي هو محبة القلب الذي تتبعه النصرة .﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ أي فخافوه واخشوه وقدموا خشيته على خشية الناس فإنه هو الذي يتولى شؤون العباد وقد أخذ بنواصيهم وإليه يرجعون وسيصيرون إليه فيجازي من قدم حقوقه ورجاءه على غيره بالثواب الجزيل ويعاقب الكافرين ومن تولاهم بالعذاب الوبيل)[١]

---

(١) تفسير السعدي : [آل عمران: ٢٨].

٨- التوحيد من أجله شرع الله الجهاد:

قال تعالى:﴿ **وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ** ﴾

[الأنفال: ٣٩].

(﴿ **وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ** ﴾أي : شرك ، وصد عن سبيل الله ويذعنوا لأحكام الإسلام ، ﴿ **وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ** ﴾ . فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين ، أن يدفع شرهم عن الدين ، وأن يذب عن دين الله ، الذي خلق الخلق له ، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان .

﴿ **فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ** ﴾ عن ما هم عليه من الظلم ﴿ **فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ** ﴾ لاتخفى عليه منهم خافية . ﴿ **وَإِن تَوَلَّوۡاْ** ﴾عن الطاعة و أوضعوا في الإضاعة ﴿ **فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ** ﴾الذي يتولى عباده المؤمنين ، ويوصل إليهم مصالحهم ، وييسر لهم منافعهم الدينية والدنيوية ،﴿ **وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ** ﴾ الذي ينصرهم ، فيدفع عنهم كيد الفجار ، وتكالب الأشرار . ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه ومن كان الله عليه ، فلا عز له ، ولا قائمة تقوم له)[١].

(قال ابن جريج: ﴿ **وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ** ﴾: أي لا يفتَن مؤمن عن دينه،ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك،ويخلع ما دونه من الأنداد.)[٢]

(فدل على أنه إذا وُجد الشرك فالقتال باق بحاله، كما قال تعالى:﴿ **وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ** ﴾،[التوبة:٣٦] وقال تعالى:﴿ **فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴾ [التوبة:٥] ،

---

(١) تفسير السعدي: [الأنفال: ٣٩].

(٢) تفسير الطبري: [الأنفال: ٣٩] .



فأمر بقتالهم على فعل التوحيد وترك الشرك وإقامة شعائر الدين الظاهرة، فإذا فعلوها خلي سبيلهم ومتى أبوا عن فعلها أو فعل شيء منها فالقتال باق بحاله إجماعا) [(١)].

وعن ابن عمر–رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ أنه قال: « **أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله –عز وجل–** » [(٢)].

(قوله: « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله** » كذا ساقه الأكثر، وفي رواية طارق عند مسلم: « **من وحد الله وكفر بما يعبد من دونه حرم دمه وماله** » وأخرجه الطبراني من حديثه كرواية الجمهور، وفي حديث ابن عمر « **حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة** » ونحوه في حديث أبي العنبس وفي حديث أنس، عند أبي داود « **حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن يستقبلوا قبلتنا، ويأكلوا ذبيحتنا، ويصلوا صلاتنا** » وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن « **حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، ويؤمنوا بي وبما جئت به** ») [(٣)].

(وقد وردت الأحاديث بذلك زائدا بعضها على بعض، ففي حديث أبي هريرة الاقتصار على قول لا إله إلا الله، وفي حديثه من وجه آخر عند مسلم: « **حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا سول الله** » وفي حديث ابن عمر ما ذكرت، وفي حديث أنس الماضي في أبواب القبلة « **فإذا صلوا واستقبلوا وأكلوا ذبيحتنا** » قال الطبري وغيره: أما الأول فقاله في حالة قتاله لأهل الأوثان الذين لا يقرون بالتوحيد، وأما الثاني فقاله في حالة قتال أهل الكتاب الذين يعترفون بالتوحيد

---

(١) [تيسير العزيز الحميد:ص١٤٧].

(٢) رواه مسلم: [٢٢/ كتاب الإيمان/ باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام] .

(٣) [فتح الباري لابن حجر :٢٧٧/١٢] .



ويجحدون نبوته عموما أو خصوصا وأما الثالث ففيه الإشارة إلى أن من دخل في الإسلام وشهد بالتوحيد وبالنبوة ولم يعمل بالطاعات أن حكمهم أن يقاتلوا حتى يذعنوا إلى ذلك) [١]

(فالمقصود بالجهاد أن لا يعبد غير الله، فلا يدعو غيره، ولا يُصلى لغيره، ولا يسجد لغيره، ولا يعتمر ولا يحج إلا إلى بيته، ولا يذبح القرابين إلا له، ولا ينذر إلا له، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا إياه ...) [٢].

---

(١) [فتح الباري لابن حجر : ١١٢/٦] .

(٢) [مجموع الفتاوى: ٣٦٨/٣٥].

٩- التوحيد شرط في النصر والتمكين :

قال تعالى: ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ** ﴾.[النور:٥٥]

(ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذه الأُمّة ﴿ **لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ** ﴾ أي: ليجعلنهم خلفاء الأرض، الذين لهم السيطرة فيها، ونفوذ الكلمة، والآيات تدلّ على أن طاعة اللَّه بالإيمان به، والعلم الصالح سبب للقوّة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة؛ كقوله تعالى: ﴿ **وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة :﴿ **كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ** ﴾ أي : كبني إسرائيل. ومن الآيات الموضحة لذلك ، قوله تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ** ﴾ وقوله تعالى عن موسى عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسّلام : ﴿ **عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات..) [١].

---

(١) تفسير الشنقيطي: [النور: ٥٥].



(هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض،أي أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد،وتخضع لهم العباد. وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم ، وقد فعله تبارك وتعالى،وله الحمد والمنة ، فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها ، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر وإسكندرية وهو المقوقس ، وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه.

ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة،قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق،فلمّ شعث ما وهى بعد موته ﷺ ، وأَطّدَ جزيرة العرب ومهدها، وبعث الجيوش الإسلامية إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رضي الله عنه ،ففتحوا طرفاً منها،وقتلوا خلقاً من أهلها. وجيشاً آخر صحبة أبي عبيدة رضي الله عنه ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام،وثالثاً صحبة عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر،ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة.

ومنّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق، فقام بالأمر بعده قياماً تاماً،لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله. وتمّ في أيامه فتح البلاد الشامية بكاملها وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس. وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته،وقصر قيصر ، وانتزع يده عن بلاد الشام ، وانحدر إلى القسطنطينية ، وأنفق أموالهما في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة.

ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص ، وبلاد القيروان ، وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط،ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين



، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية ، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز ، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً ، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان ، وجبى الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن ، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها،ويبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها** » فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله فنسأل الله الإيمان به وبرسوله،والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا.) (١).

(وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ** ﴾ [غافر:٥١]، فهم منصورون والعاقبة لهم ولكن لابد قبل النصر من معاناة وتعب وجهاد؛ لأن النصر يقتضي منصوراً ومنصوراً عليه؛ إذاً فلابد من مغالبة ولابد من محنة، ولكن كما قال ابن القيم :

والحق منصور وممتحن فلا * تعجب فهذي سنة الرحمن**

فلا يلحقك العجز والكسل إذا رأيت أن الأمور لم تتم لك بأول مرة بل اصبر وكرر مرة بعد أخرى، واصبر على ما يقال فيك من استهزاء وسخرية ، لأن أعداء الدين كثيرون.

ولا يثني عزمك أن ترى نفسك وحيداً في الميدان ، فأنت الجماعة وإن كنت واحداً، ما دمت على الحق ، ولهذا ثق بأنك منصور إما في الدنيا وإما في الآخرة) (٢).

---

(١) تفسير ابن كثير : [النور: ٥٥].

(٢) [شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين: صـ٥٣٧].





١٠- التوحيد شرط في الأمن والاهتداء:

قال تعالى:﴿ **سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ** ﴾.[آل عمران: ١٥١]

(بشرهم بأنه سيلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم بسبب كفرهم وشركهم،مع ما ادخره لهم في الدار الآخرة من العذاب والنكال...وقد ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن رسول الله قال: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر،وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً،وأحلت لي الغنائم،وأعطيت الشفاعة،وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»)[1].

(﴿ **بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ** ﴾ يعني بشركهم بالله وعبادتهم الأصنام،وطاعتهم الشيطان التي لم أجعل لهم بها حجة،وهي السلطان التي أخبر عزّ وجلّ أنه لم يتزله بكفرهم وشركهم،وهذا وعد من الله جلّ ثناؤه أصحاب رسول الله ﷺ بالنصر على أعدائهم... ما استقاموا على عهده،وتمسكوا بطاعته)[2].

(﴿ **بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا** ﴾ أي: ذلك بسبب ما اتخذوا من دونه من الأنداد والأصنام التي اتخذوها على حسب أهوائهم وإرادهم الفاسدة من غير حجة ولا برهان وانقطعوا من ولاية الواحد الرحمن فمن ثم كان المشرك مرعوبا من المؤمنين لا يعتمد على ركن وثيق وليس له ملجأ عند كل شدة وضيق هذا حاله في الدنيا وأما في الآخرة فأشد وأعظم ولهذا قال :

---

(١) تفسير ابن كثير: [آل عمران: ١٥١] .

(٢) تفسير الطبري: [آل عمران: ١٥١] .





﴿ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ أي : مستقرهم الذي يأوون إليه وليس لهم عنها خروج ﴿ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ بسبب ظلمهم وعدوانهم صارت النار مثواهم) (١)

وقال سبحانه:﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.[الأنعام: ٨١-٨٢]

(﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ يعني صدقوا ووحدوا ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ أي شرك ، إذ هو الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل .

و في الصحيح(٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « لما نزلت ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ .....الآية﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ :أينا لم يظلم نفسه؟ فأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣] ») (٣).

---

(١) تفسير الطبري: [آل عمران: ١٥١] .

(٢) رواه البخاري: [٣١٧٤/ حديث الأنبياء/باب: قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾]

(٣) [معارج القبول:١/٢٩١].



11- التوحيد هو الكلمة السواء التي بيننا وبين أهل الكتاب :

قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ . [آل عمران: ٦٤]

(هذه الآية الكريمة كان النبي ﷺ يكتب بها إلى ملوك أهل الكتاب وكان يقرأ أحيانا في الركعة الأولى من سنة الفجر ﴿ **قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ** ﴾ [البقرة:١٣٦]الآية ويقرأ بها في الركعة الآخرة من سنة الصبح لاشتمالها على الدعوة إلى دين واحد قد اتفق عليه الأنبياء والمرسلون واحتوت على توحيد الإلهية المبني على عبادة الله وحده لا شريك له وأن يعتقد أن البشر وجميع الخلق كلهم في طور البشرية لا يستحق منهم أحد شيئا من خصائص الربوبية ولا من نعوت الإلهية فإن انقاد أهل الكتاب وغيرهم إلى هذا فقد اهتدوا) (١)

(﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟** ﴾ فقولوا أنتم لهم ﴿ **ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ مخلصون بالتوحيد) (٢)

(أي متصفون بدين الإسلام منقادون لأحكامه معترفون بما لله علينا في ذلك من المنن والإنعام، غير متخذين أحدا ربا لا عيسى ولا عزيزا ولا الملائكة؛ لأنهم بشر مثلنا محدث كحدوثنا، ولا نقبل من الرهبان شيئا بتحريمهم علينا ما لم يحرمه الله علينا، فنكون قد اتخذناهم أربابا) (٣)

---

(١) تفسير السعدي: [آل عمران: ٦٤].

(٢) تفسير البغوي: [آل عمران: ٦٤].

(٣) تفسير القرطبي: [آل عمران: ٦٤].

١٢-التوحيد هو أول المأمورات وضده هو أول المنهيات:

قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الإسراء:٢٣]

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾.[الأنعام:١٥١]

(والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به، ولهذا كان أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله -عز وجل- ونفي الشرك، فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد، ولم ينهوا عن شيء قبل الشرك كما قدمنا بسط ذلك.

وما ذكر الله تعالى التوحيد مع شيء من الأوامر إلا جعله أولها، ولا ذكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جعله أولها، كما في آية النساء:﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ...﴾ ، وكما في آية الأنعام التي طلب النبي البيعة عليها، وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ ِحْسَٰنًا.... ﴾ ، وكما في آيات الإسراء: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا... ﴾ فابتدأ تلك الأوامر والنواهي بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها بذلك) [١].

(١) [معارج القبول: ٣٥٣/١].





١٣- التوحيد هو المعروف الأكبر وضده هو المنكر الأكبر:

وقد سئل النبي ﷺ : أي العمل أفضل؟ فقال ﷺ: « **إيمان بالله ورسوله** » (١).

وسئل النبي ﷺ : أي الذنب أعظم عند الله ؟ فقال ﷺ: « **أن تجعل لله نداً، وهو خلقك** » (٢).

(وإنما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب للأمر بالمعروف الذي رأسه وأصله التوحيد، والنهي عن المنكر الذي رأسه وأصله الشرك) (٣).

(وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، فأعظمه الشرك بالله، وهو أن يدعو مع الله إلها آخر؛ إما الشمس وإما القمر أو الكواكب، أو ملكًا من الملائكة، أو نبيًا من الأنبياء، أو رجلًا من الصالحين، أو أحدًا من الجن، أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم، أو غير ذلك مما يدعى من دون الله تعالى، أو يستغاث به أو يسجد له، فكل هذا وأشباهه من الشرك الذي حرمه الله على لسان جميع رسله) (٤).

---

(١) رواه البخاري: [٢٥/ كتاب الإيمان/ باب:من قال إن الإيمان هو العمل].

(٢) رواه البخاري: [٤٣٨٩/ كتاب تفسير القرآن/ باب:قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾].

ورواه مسلم: [٨٦/ كتاب الإيمان/ باب: كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده]، واللفظ له.

(٣) [مجموعة الرسائل والمسائل النجدية : صـ٥٥٥-٥٥٦].

(٤) [مجموع الفتاوى : ٣/٤٢٤].



14- التوحيد شرط في قبول الأعمال:

قال تعالى : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا** ﴾ [الكهف: ١١٠]..

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك** » (١).

وعن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً قال : قال الله تعالى: « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه** » (٢) ، وفي رواية: « **فأنا منه برىء، وهو للذي أشرك** » (٣).

(فعبادة المشركين وإن جعلوا بعضها لله لا يقبل منها شيئًا، بل كلها لمن أشركوه، فلا يكونون قد عبدوا الله سبحانه) . (٤)

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي:[٣١٥٤/كتاب تفسير القرآن/باب: ومن سورة الكهف]، وحسنه الشيخ الألباني في [صحيح الجامع برقم: ٤٩٦].

(٢) رواه مسلم: [٢٩٨٥/ كتاب الزهد والرقائق/ باب: من أشرك في عمله غير الله].

(٣) حسن : رواه ابن ماجة [٤٢٠٢] وقال البوصيري: إسناده صحيح رجاله ثقات، وصححه الألباني في [صحيح سنن ابن ماجة: ٤٠٩/٢].

(٤) [مجموع الفتاوى : ٥٠/٨].





١٥-التوحيد هو حق الله على العبيد:

سائر الطاعات حق لله عز وجل وخص سبحانه التوحيد – والطاعات تبع له – لبيان شرف التوحيد وخطورة الشرك .

قال رسول الله ﷺ :

« **يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟**

قال: قلتُ: الله ورسوله أعلم .

قال: « **فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا** » [١].

يقول ابن تيمية :

(فحق الرب حمده وعبادته وحده، وهذان [حمد الرب وتوحيده] يدور عليهما جميع الدين) [٢].

ويقول – رحمه الله :

(وهذا هو التوحيد الذي هو أصل الإسلام ، وهو دين الله الذي بعث به جميع رسله، وله خلق الخلق، وهو حقه على عباده: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) [٣].

---

(١) رواه البخاري: [٥٥١٠/ كتاب اللباس/ باب:إرداف الرجل خلف الرجل] ورواه مسلم: [٣٠/ كتاب الإيمان/ باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا]، واللفظ له.

(٢) [مجموع الفتاوى : ٢٥٩/٦] .

(٣) [الاستقامة لابن تيمية:صـــ٣٦٧]. [ط.دار الحديث] .



١٦-التوحيد يكفر الذنوب:

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: « **يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة** » [(١)].

يقول ابن رجب :

(من جاء مع التوحيد بقراب الأرض وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة، .... فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية) [(٢)].

يقول ابن القيم :

(ولهذا من رجحت حسناته على سيئاته أفلح و لم يعذب ووهبت له سيئاته لأجل حسناته ولأجل هذا يغفر لصاحب التوحيد ما لا يغفر لصاحب الإشراك؛ لأنه قد قام به مما يحبه الله ما اقتضى أن يغفر له ويسامحه ما لا يسامح به المشرك، وكلما كان توحيد العبد أعظم كانت مغفرة الله له أتم فمن لقيه لا يشرك به شيئا ألبتة غفر له ذنوبه كلها كائنة ما كانت و لم يعذب بها) [(٣)].

---

(١) حسن: رواه الترمذي: [٣٥٤٠/ كتاب الدعوات/ باب: خلق الله مائة رحمة]، وحسنه الألباني في [صـحيح الجامع : ٤٣٣٨].

(٢) [جامع العلوم والحكم: ص٤٨٣].

(٣) [تهذيب مدارج السالكين لابن القيم: ص ١٣٢]. [ط.المكتبة التوفيقية] .



١٧-التوحيد سبب في حلول البركة:

قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾.[الأعراف:٩٦]

(لما ذكر تعالى أن المكذبين للرسل يبتلون بالضراء موعظة وإنذارا، وبالسراء استدراجا ومكرا، ذكر أن أهل القرى لو آمنوا بقلوبهم إيمانا صادقا صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى اللّه تعالى ظاهرا وباطنا بترك جميع ما حرم اللّه، لفتح عليهم بركات السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدرارا، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمهم، في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ولا كد ولا نصب، ولكنهم لم يؤمنوا ويتقوا ﴿ **فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ** ﴾ بالعقوبات والبلايا ونزع البركات، وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم، وإلا فلو آخذهم بجميع ما كسبوا، ما ترك عليها من دابة. ﴿ **ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [الروم:٤١]) [١] .

---

(١) [تفسير السعدي: ص ٢٩٨] .



١٨-التوحيد أول ما يسأل عنه العبد في قبره :

أول ما يسأل عنه العبد في قبره هو : من ربك ؟

قبل السؤال عن الرسول والرسالة وفي ذلك بيان أن ذلك هو فسطاط الأمر فإن زال لم ينفع صاحبه شيئا بعده .

قال تعالى :

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

(وهذه الآية نصها في عذاب القبر بصريح الأحاديث الآتية وباتفاق أئمة التفسير من الصحابة فالتابعين فمن بعدهم وأن المراد بالتثبيت هو عند السؤال في القبر حقيقة)[١]

(والقول الثابت: هو التوحيد، كما قال الله تعـــالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم:٢٤])[٢].

---

(١) [معارج القبول: ٢/١١٥].

(٢) [شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين: صـــ٣٦٩].





١٩- التوحيد شرط في الشفاعة[١]:

(قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩] والله لا يرتضي إلا التوحيد كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران: ٨٥] ، وقال النبي ﷺ: « **أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه**».) [٢].

(فأخبر سبحانه أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن الله تعالى أن يشفع له فيه، ورضي قوله وعمله. وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، فإنه سبحانه وتعالى يأذن في الشفاعة فيهم لمن يشاء، حيث لم يتخذوهم شفعاء من دونه، فيكون أسعد الناس بشفاعته من يأذن الله تعالى له، صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله. والشفاعة التي أثبتها الله تعالى ورسوله ﷺ هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده) [٣].

---

(١) فائدة لغوية: [أصل الشفاعة والشُّفعة ونحوها من الشفع وهو: الزوج في العدد، ومنه الشفيع لأنه يصير مع صاحب الحاجة شفعا، ومنه ناقة شفوع: إذا جمعت بين محلبين في حلبة واحدة ... والشفع: ضم واحد إلى واحد، والشفعة: ضم مِلك الشريك إلى مِلكك، فالشفاعة إذاً: ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك، فهي على التحقيق: إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وإيصال المنفعة إلى المشفوع له]. [تفسير القرطبي:٥/٢٥٨]. [ط. دار الحديث] .

(٢) [تيسير العزيز الحميد: صـــ٢٨٠].

(٣) [تيسير العزيز الحميد: صـــ٢٨٦-٢٨٧].



20- التوحيد شرط في دخول الجنة والنجاة من الخلود في النار:

قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة: ٧٢] .

قال رسول الله ﷺ:« **من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار** » [١].

(كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه، الذي لا يقبل الله عملاً إلا به، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه) .

(فاعلموا -رحمكم الله- أنه لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ولا سعادة في الدارين ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بمعرفة أول مفروض عليهم والعمل به؛ وهو الأمر الذي خلقهم الله -عز وجل- له، وأخذ عليهم الميثاق به، وأرسل به رسله إليهم، وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خلقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار، وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف وفيه تكون الشقاوة والسعادة، وعلى حسب ذلك تقسم الأنوار ﴿ **وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ** ﴾ [النور:٤٠]، وذلك الأمر هو معرفة الله - عز وجل- بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وتوحيده بذلك ...) [٢].

---

(١) رواه مسلم: [١٩٣/كتاب الإيمان/باب: اختباء النبي دعوة الشفاعة لأمته].

(٢) [معارج القبول: ١/١٢-١٣].



البَابُ الثَّانِي

التوحيد معناه وأقسامه

أولا : معنـــى التوحيـــد عند أهل السنة وعند المتكلمين

١.التوحيد عند أهل السنة :

لغة وشرعا وبيان معنى كلمة التوحيد وأركانها وشروطها.

٢. التوحيد عند المتكلمين والرد عليهم :

لغة وشرعا وبيان معنى كلمة التوحيد وأركانها وشروطها.

ثانيا : أقسام التوحيد .

- ما حكم التقسيم؟
- كيف عرف العلماء هذا التقسيم؟
- ما الفائدة منه ؟
- لماذا لم يظهر هذا التقسيم في عهد الصحابة؟
- ما هي أقسام التوحيد ؟



أولا: معنـــــى التوحيـــــد عند أهل السنة وعند المتكلمين:

١. التوحيد عند أهل السنة والجماعة :

معنى التوحيد لغة :

مصدر من الفعل وحَّد، يوحد، ووحد الشيء جعله واحدا[(١)]، والتوحيد هو الإفراد، والمُتَوَحِّدُ: المنفرد .

يقول ابن فارس :

(الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك: الوحدة؛ وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله) [(٢)].

و شرعا :

هو إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وقيل: إفراد الله بالعبادة مع اعتقاد وحدانيته ذاتاً وصفة وفعلاً.

وقيل: هو اعتقاد تفرد الله بالربوبية، وإخلاص العبادة له، وإثبات ما له من الأسماء والصفات.

يقول ابن جرير الطبري:

(والذي يستـــحقّ علـــيكم أيها الناس الطاعة له،ويستوجب منكم العبـــادة معبود واحد وربّ واحد،فلا تعبدوا غيره ولا تشركوا معه سواه، فإن من تشركونه معه فـــي عبـــادتكم إياه هو خـــلق من خـــلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثل له ولا نظير)[(٣)]

---

(١) انظر [القاموس المحيط: ص٤١٤]. يقول السفاريني: (فمعنى وحَّدت الله أي نسبت إليه الوحدانية لا جعلتـــه واحدا، فإن وحدانية الله تعالى ذاتية ليست بجعل جاعل). [لوامع الأنوار البهية: ٥٧/١].

(٢) [مقاييس اللغة: ٩٠/٦]، وانظر [المفردات:ص٥١٤-٥١٥].

(٣) [تفسير الطبري: ٦٤/١].



والله هو الواحد الذي لا مثيل له .

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] .

وهو الواحد الذي لا سميَّ له .

قال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥] .

وهو الواحد الذي لا ند له .

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢]

وهو الواحد الذي لا شريك له .

قال تعالى:﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ [الإسراء:١١١]

وهو الواحد الذي لا ظهير له .

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢]

وهو الواحد الذي لا نظير له .

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل:٧٤]

وهو الواحد الذي لا كفء له .

قال تعالى:﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ الإخلاص:٤]

فهو المنفرد سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى المستحق للعبادة وحده .

يقول الشيخ ناصر السعدي: (الواحد الأحد : وهو الذي توحد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك، ويجب على العبيد توحيده عقلاً (•) وقولاً وعملاً بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة) [1].

(•) هكذا بالأصل، ولعل الصواب: عقداً؛ أي اعتقاداً.



معنى كلمة التوحيد وأركانها وشروطها عند أهل السنة والجماعة :

كلمة التوحيد هي كلمة الإخلاص، وكلمة التقوى، والكلمة الطيبة، والكلمة السواء، والكلمة الباقية، والعروة الوثقى.

وهذه الكلمة العظيمة؛ وهي لا إله إلا الله أي: لا معبود بحق إلا الله ، **ولها أركان وشروط:**

١. أركان لا إله إلا الله :

لها ركنان :

أ. النفي ب. الإثبات .

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر :

(قد حقق شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أئمة السلف أن [لا إله إلا الله] مركبة من نفي وإثبات:

تنفي عن القلب تأليه الآلهة الباطلة لتقيه من أدران تقديس وتأليه وعبادة من اتخذ الناس من آلهة عبدوها وقدسوها وأعطوها بغيا وظلماً حق الإلهية لله رب العالمين، والجملة الثانية: إثبات حق الإلهية لله رب العالمين) (٢).

يقول ابن عثيمين :

(فلابد من النفي والإثبات لتحقيق التوحيد؛ لأن التوحيد جعل الشيء واحداً بالعقيدة والعمل، وهذا لابد فيه من النفي والإثبات) (٣).

---

(١) [تفسير السعدي: ص٩٤٥].

(٢) تعليق الشيخ أحمد محمد شاكر على كتاب [إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: ص١٥١]. [ط. مكتبة السنة].

(٣) [القول المفيد: ١/٩٩].



(فنفيها هو خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، وإثباتها هو إفراده جل وعلا بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم صلوات الله وسلامه)(١)

وهي تنفي أربعة أشياء وتثبت أربعة أشياء:

تنفـــي:

١. **الأرباب** ، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران:٨٠].

٢. **الآلهة** ، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾ [المؤمنون:١١٧]

٣. **الأنداد** ، قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة:١٦٥]

٤. **الطواغيت** ، قال تعالى: ﴿ **فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾.[البقرة:٢٥٦]

وتثبــت:

١.**الربوبية لله** ، قال تعالى: ﴿ **فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ** ﴾ [يونس:٣٢]

٢.**الألوهية لله** ، قال تعالى:﴿ **وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة:١٦٣]

---

(١) تفسير الشنقيطي : [النحل: ٣٦].

٣.**المحبة الخالصة لله** ، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:١٤] .

٤.**الطاعة المطلقة لله** ، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١]

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢]

وذلك لأن النفي المحض تعطيل محض، والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم، فمن قال: [لا إله] فهو تعطيل محض وهو باطل. ومن قال: [الله إله] فهو إثبات محض لا يمنع مشاركة غير الله في الألوهية، فلذلك جاءت [لا إله إلا الله] متضمنة للنفي والإثبات ؛ وهو كمال الوحدانية لله.



شروط لا إله إلا الله :

(شروط [لا إله إلا الله] التي لا ينتفع قائلها إلا باستكمالها :

١-العلم : بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك .

قال الله عز وجل : ﴿ **فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ [محمد:١٩]

وقال تعالى : ﴿ **إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ** ﴾ [الزخرف:٨٦]

أي : من شهد بلا إله إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم .

وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة** » (١).

٢-اليقين : المنافي للشك وذلك بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً .

قال الله عز وجل : ﴿ **إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥** ﴾ [الحجرات:١٥]

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي لم يشكّوا ، فأما المرتاب فهو من المنافقين – والعياذ بالله .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه من حديث طويل أن النبي ﷺ بعثه بنعليه فقال : « **من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة** .. » (٢).فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها.

---

(١) رواه مسلم: [٢٦/ كتاب الإيمان / باب: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا] .

(٢) رواه مسلم: [٣١/ كتاب الإيمان/ باب: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا] .



٣-القبول : - المنافي للرد- لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه .

فالمشركون لم ينفوا ما نفته هذه الكلمة ولم يثبتوا ما أثبتته بل قالوا إنكاراً واستكباراً ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، وقال فيهم : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦]

٤-الانقياد : - لما دلت عليه هذه الكلمة – المنافي للترك .

قال الله عز وجل : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر:٥٤]

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء:١٢٥]

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ ﴾ - أي بلا إله إلا الله – ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢] ومعنى يسلم وجهه إلى الله وهو محسن ينقاد وهو محسن موحد .

وتمام الانقياد وغايته ومعناه تقديم محاب الله وإن خالفت الهوى وبغض ما يبغضه الله وإن مال إليه الهوى .

٥-الصدق:فيها المنافي للكذب وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطيء قلبه لسانه

قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:١-٣]

وقال تعالى في شأن المنافقين الذين قالوها كذباً :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة:٨-١٠]





وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ : « **ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار** » (1).
فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقاً من قلبه فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطأة القلب.

٦-الإخلاص : وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، ولا يكون له من وراء الشهادتين غرض آخر غير قصده لربه ، فتارك الإخلاص لم يستكمل شروط لا إله إلا الله ولو كان منقاداً صادقاً مستيقناً .

قال تعالى : ﴿ **أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ** ﴾ [الزمر:٣]

وقال تعالى : ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ** ﴾ . [البينة:٥]

وفي الصحيح عن عتبان بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل** » (2) .

٧-المحبة : لهذه الكلمة ، ولما اقتضته ودلت عليه ، ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك . قال الله عز وجل : ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة:١٦٥] فأخبر الله أن عباده المؤمنين أشد حباً له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحداً كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونهم كحبه)(3)

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري: [١٢٨/ كتاب العلم/ باب: من خص بالعلم قوما] ورواه مسلم: [٣٦/ كتاب الإيمان/ باب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك] .

(٢) رواه البخاري: [٤٢٥/ كتاب الصلاة/ باب:صلاة النوافل جماعة] ورواه مسلم: [٣٣/كتاب الإيمان/باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة مطلقا] .

(٣) [مختصر معارج القبول لأبي عاصم هشام آل عقدة: ٩٣-٩٦]. [ط.دار الصفوة] ، وانظر [فتح المجيد: صـ٨٧-٨٨].



وقد جمعها الشيخ حافظ الحكمي :

وبشروطٍ سبعةٍ قد قُيّدتْ	وفي نصوصِ الوحيِ حقًا وَرَدَتْ
فإنــه لم ينتــفعْ قائلُها	بالنطق إلا حيثُ يستكملُها
العــلم واليــقين والقبول	والانقيــاد فاذْرِ ما أقــول
والصدق والإخلاص والمحبةْ	وفَّقــك اللــهُ لمــا أحبَّهْ

وقال شارحا : (ومعنى [استكمالها] اجتماعُها في العبد والتزامُه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها، وليس المراد من ذلك عدُّ ألفاظها وحفظُها؛ فكم من عامي اجتمعتْ فيه والتزمها ولو قيل له اعدُدْها لم يُحسن ذلك ، وكم من حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراهُ يقعُ كثيرا فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله) [١]

وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال:

(بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك) [٢].

يقول ابن القيم في نونيته:

هذا وفتح الباب ليس بممكن * إلا بمفتاح له أسنــان**

(١) [معارج القبول: ٢/٤١٨].

(٢) رواه البخاري تعليقاً: [١٠٩/٣/كتاب الجنائز/باب: من كان آخر كلامه لا إله إلا الله] ، وذكره [الإمــام النووي في شرحه على صحيح مسلم: ٢١٨/١،٢١٩] .



ويقول رحمه الله في بيان عظم هذه الكلمة وأن المراد منها تحقيق العبودية الحق لله:

(ونزيد ههنا إيضاحا لعظم هذا المقام من شدة الحاجة إليه: اعلم أن أشعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور قوة وضعفا لا يحصيه إلا الله تعالى؛ فمن الناس من نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري، ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف. ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأَيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة علما وعملا ومعرفة وحالا.

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة ولا ذنبا إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده الذي لم يشرك بالله شيئا، فأي ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها. فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق لحسناته، فلا ينال منها السارق إلا على غرة وغفلة لا بد منها للبشر، فإذا استيقظ وعَلِم ما سرق منه استنقذه من سارقه أو حصل أضعافه بكسبه. فهو هكذا أبدا مع لصوص الجن والإنس؛ ليس كمن فتح لهم خزانته وولى الباب ظهره.

وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله وأن الله رب كل شيء ومليكه كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون؛ بل التوحيد يتضمن من: محبة الله والخضوع له والذل وكمال الانقياد لطاعته وإخلاص العبادة له وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال والمنع والعطاء والحب والبغض – ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها.

ومن عرف هذا عرف قول النبي: «**إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**» ، وقوله: «**لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله**» ، وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم



منسوخة، وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود وقال: المعنى لا يدخلها خالدا - ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة.

والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار.

فلابد من قول القلب وقول اللسان. وقول القلب يتضمن من: معرفتها والتصديق بها ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله المختصة به التي يستحيل ثبوتها لغيره وقيام هذا المعنى بالقلب علما ومعرفة ويقينا وحالا - ما يوجب تحريم قائلها على النار.

وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب فإنما هو القول التام كقوله: **«من قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة حُطت عنه خطاياه - أو غفرت ذنوبه - ولو كانت مثل زبد البحر»** ، وليس هذا مُرتبا على مجرد قول اللسان. نعم، من قالها بلسانه غافلا عن معناها معْرِضا عن تدبرها ولم يواطئ قلبُه لسانَه ولا عَرَفَ قَدْرَها وحقيقتها راجيًا مع ذلك ثوابها حَطَّتْ من خطاياه بحسب ما في قلبه، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورةُ العملين واحدة وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض. والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات فلا يعذب، ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل وطاشت لأجله السجلات لما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات انفردت بطاقته بالثقل والرزانة.





وإذا أردت زيادة الإيضاح لهذا المعنى فانظر إلى ذكر من قلبه ملآن بمحبتك وذكر من هو معرض عنك غافل ساه مشغول بغيرك قد انجذبت دواعي قلبه إلى محبة غيرك وإيثاره عليك؛ هل يكون ذكرهما واحدا؟ أم هل يكون ولداك اللذان هما بهذه المثابة أو عبداك أو زوجتاك عندك سواء؟

وتأمل ما قام بقلب قاتل المائةمن حقائق الإيمان التي لم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية، وحملته وهو في تلك الحال على أن جعل ينوء بصدره ويعالج سكرات الموت ؛ فهذا أمر آخر وإيمان آخر، ولا جرم أن ألحق بالقرية الصالحة وجعل من أهلها.

وقريب من هذا ما قام بقلب البغي التي رأت ذلك الكلب وقد اشتد به العطش يأكل الثرى ، فقام بقلبها ذلك الوقت مع عدم الآلة وعدم المعين وعدم من ترائيه بعملها ما حملها على أن غررت بنفسها في نزول البئر وملء الماء في خفها، ولم تعبأ بتعرضها للتلف وحملها خفها بفيها وهو ملآن حتى أمكنها الرقي من البئر، ثم تواضعها لهذا المخلوق الذي جرت عادة الناس بضربه فأمسكت له الخف بيدها حتى شرب من غير أن ترجو منه جزاء ولا شكورا، فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد ما تقدم منها من البغاء فغفر لها.

فهكذا الأعمال والعمال عند الله، والغافل في غفلة من هذا الإكسير الكيماوي الذي إذا وضع منه مثقال ذرة على قناطير من نحاس الأعمال قلبها ذهبا، والله المستعان)[1]

ومن تدبر هذه الشروط وفهم كلام العلماء في بيانها يعلم أن هذه الشروط ترجع لمعاني حقيقة الإيمان : القول والعمل .. الظاهر والباطن . وحقيقة التوحيد : القولي والعملي.

---

[1] [مدارج السالكين: ١/٣٥٨-٣٦١].



٢. التوحيد عند المتكلمين والرد عليهم (١).

لم يختلف قول المتكلمين عن قول أهل السنة في المعنى اللغوي للتوحيد وهو الإفراد ، ولكنهم اختلفوا في معنى كلمة التوحيد [لا إله إلا الله] كما اختلفوا في المعنى الشرعي للتوحيد .

يقول ابن تيمية :

(فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا: لا إله إلا الله حتى يجعلوا معنى الإلهية القدرة على الاختراع) (٢).

ويقول – رحمه الله :

(وهم إذا ادعو التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد الذي جاءت به الرسل لابد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه، والتوحيد الذي يدعونه إنما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات، وفيه من الكفر والضلال ما هو من أعظم أسباب الإشراك، فلو كانوا موحدين بالقول والكلام، وهو أن يصفوا الله بما وصفته به رسله لكان معهم التوحيد دون العمل، وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة، بل لابد أن يعبدوا الله

---

(١) قال الشافعي : (حُكْمِي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام).نقلا عن [شرح الطحاوية: صـــ٧٢].

(٢) [مجموع الفتاوى: ٩٨/٣].



وحده، ويتخذوه إلها دون ما سواه وهذا هو معنى قول: لا إله إلا الله، فكيف وهم في القول والكلام معطلون جاحدون لا موحدون ولا مخلصون؟)[١].

ويقول – رحمه الله:

(فأكثر هؤلاء المتكلمين لا يجعلون التوحيد إلا ما يتعلق بالقول والرأي واعتقاد ذلك دون ما يتعلق بالعمل والإرادة واعتقاد ذلك؛ بل التوحيد الذي لا بد منه لا يكون إلا بتوحيد الإرادة والقصد؛ وهو توحيد العبادة)[٢].

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب :

(فإن قيل قد تبين معنى الإله والإلهية، فما الجواب عن قول من قال بأن معنى الإله: القادر على الاختراع ونحو هذه العبارة؟ قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة، وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم فيكون هذا القول باطلا.

الثاني: على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم للإله الحق؛ فإن اللازم له أن يكون خالقا قادرا على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك فليس بإله حق وإن سمي إلها، وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر على الاختراع، فقد دخل في الإسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام فإن هذا لا يقوله أحد لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين، ولو قدر أن بعض المتأخرين أرادوا ذلك فهو مخطيء يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية)[٣].

فتوحيد الألوهية لا ذكر له عندهم ألبتة رغم أنه زبدة دعوة الرسل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]

---

(١) انظر [مجموع الفتاوى: ٣٥/٩]و [١٨/٥٧-٥٨].

(٢) [الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ٢٤٨/٥].

(٣) [تيسير العزيز الحميد: ص٨١] .

(فإنهم يقولون: إن معنى إله: آله، والآله: القادر على الاختراع؛ فيكون معنى لا إله إلا الله: لا قادر على الاختراع إلا الله.

والتوحيد عندهم: أن توحد الله، فتقول: هو واحد في ذاته، لا قسيم له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وواحد في صفاته لا شبيه له، ولو كان هذا معنى لا إله إلا الله؛ لما أنكرت قريش على النبي ﷺ دعوته ولآمنت به وصدقت؛ لأن قريشاً تقول: لا خالق إلا الله، ولا خالق أبلغ من كلمة لا قادر، لأن القادر قد يفعل وقد لا يفعل، أما الخالق؛ فقد فعل وحقق بقدرة منه، فصار فهم المشركين خيراً من فهم هؤلاء المتكلمين والمنتسبين للإسلام؛ فالتوحيد الذي جاءت به الرسل في قوله تعالى:﴿ **مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ** ﴾[الأعراف:٥٩] ؛ أي من إله حقيقي يستحق أن يعبد، وهو الله.

ومن المؤسف أنه يوجد كثير من الكُتَّاب الآن الذين يكتبون في هذه الأبواب تجدهم عندما يتكلمون على التوحيد لا يقررون أكثر من توحيد الربوبية، وهذا غلط ونقص عظيم)[1].

(١) [القول المفيد لابن عثيمين: ٣٧/١]. [ط. مكتبة العلم]. وانظر :كلام ابن تيمية في [مجموع الفتاوى:١٠١/٣] .



ثانيا : أقسام التوحيد.

أولا ما حكم تقسيم التوحيد ؟

اعلم – رحمك الله – أن تقسيم التوحيد تقسيما اصطلاحيا الهدف منه تقريب القضية وتنظيم دراستها كما اصطلح أهل العلم على أسماء اصطلاحية للعلوم، فمن ذلك:

- تقسيم علم الحديث: إلى علم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية.
- وتقسيم الفقه: إلى عبادات، ومعاملات
- وتقسيم البلاغة: إلى بيان، وبديع، ومعاني.

بل وتقسيم المسائل داخل كل علم مثل:

- تقسيم الحديث: إلى متواتر، وآحاد.
- والأحكام الشرعية: إلى أحكام تكليفية، وأحكام وضعية.
- والكلمة: إلى اسم وفعل وحرف وهكذا .

يقول الشيخ ابن عثيمين:

(وقد قال بعض الناس: إن تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام بدعة، لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ وما كان من أمور الدين لم يرد عن النبي ﷺ فإنه بدعة، ولكننا نجيب عن هذا فنقول:

إن أشياء كثيرة رتبها العلماء لم تكن مرتبة في عهد الرسول ﷺ وهذا لا يعدو أن يكون بياناً وتوضيحاً.

فالذين قسموه إلى ثلاثة أقسام لم يأتوا بزائد، و لم ينكروا ثابتاً، بل أتوا بما جاء به الكتاب والسنة ولكن قسموه، وتقسيمهم باعتبار اختلاف الناس فيه.



ولو أننا سلكنا هذا المسلك الذي سلكه هذا الشاذ لقلنا أيضاً: إن عد شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، وأركان الحج وواجباته ومحظوراته وما أشبه ذلك يُعد من البدع، ونحن لا نذكر هذا متعبدين لله به، ولكننا نذكر هذا مقربين العلم إلى طلابه، فهو إذن وسيلة وليس قصداً.

فالصواب بلا شك: أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وذكر الشروط والأركان والواجبات والمفسدات في العبادات كل هذا جائز لأنه من باب الوسائل والتقريب وحصر الأشياء لطالب العلم) [١].

فالتقسيم جائز ودليل جوازه :

١. استخدام علماء أهل السنة له دون إنكار معاصريهم.

٢. أنه لا مشاحة في الاصطلاح.

وغلت طائفتان في حكم تقسيم التوحيد بين إفراط وتفريط:

فقالت الأولى:

هذا التقسيم واجب.

والرد عليها :

١. أنه لا دليل من الكتاب والسنة على وجوبها والوجوب حكم شرعي فليس لأحد أن يوجب إلا ما أوجبه الله ورسوله.

٢. أن هذا التقسيم لم يكن معروفاً في عصر الصحابة والتابعين ولو كان واجبا لكانوا أعلم به من غيرهم ولبلغنا ذلك كما بلغنا ما هو أقل من ذلك بكثير.

---

(١) [شرح عقيدة أهل السنة والجماعة: صـــ٨]. [ط. دار القدس] .



وقالت الثانية :

هذا التقسيم بدعة محدثة لأنه لم يكن معروفا في عهد رسول الله ﷺ ولا الصحابة – رضوان الله عليهم .

والرد عليها :

أنه يلزم من قولكم نفي جميع تقسيمات العلوم الشرعية لأنها لم تكن معروفة على عهد رسول الله ﷺ ولا الصحابة –رضوان الله عليهم–، وأنتم لا تلتزمون بذلك فبطل قولكم.

ثانياً: كيف عرف العلماء هذا التقسيم؟

عرف العلماء هذا التقسيم عن طريق التتبع والاستقراء لدلالات الكتاب والسنة.

فمن القرآن:

قال تعالى : ﴿ **رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا** ﴾ [مريم:٦٥] .

- ﴿ **رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا** ﴾ الربوبية .
- ﴿ **فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ** ﴾ الألوهية.
- ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا** ﴾ الأسماء والصفات.

وفى السنة:

« **اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك** ... » [(١)].

- «**اللهم**» الأسماء والصفات .
- « **أنت ربي** » « **خلقتني** » ربوبية .
- « **لا إله إلا أنت** » « **وأنا عبدك** » ألوهية.

يقول الشيخ ابن عثيمين:

(اعلم أن العلماء –رحمهم الله– قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فقد قسموه هذا التقسيم بناءً على التتبع والاستقراء، واستئناساً بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا** ﴾ [مريم:٦٥]) [(٢)].

(١) رواه البخاري: [٧٣٠٠/كتاب الدعوات/ باب: أفضل الاستغفار].

(٢) [شرح عقيدة أهل السنة والجماعة: صـ٧].





يقول ابن القيم في قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[الشعراء:٩٧-٩٨]:

(ومعلوم أنهم ما سووهم به في الذات والصفات والأفعال، ولا قالوا إن آلهتهم خلقت السماوات والأرض وأنها تحي وتميت و إنما سووها به سبحانه في محبتهم لها وتعظيمهم لها وعبادتهم إياها) [١].

(١) [إغاثة اللهفان: ١/٨٣].



ثالثا: ما الفائدة من هذا التقسيم؟

١. **معرفة حقيقة دعوة الرسل:**

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]

قال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]

فإن المقصود من هذا التقسيم بيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل أقوامهم، وكانت فيه الخصومة معهم؛ وهو توحيد الألوهية.

يقول ابن القيم :

(وأما توحيد الربوبية الذي أقر به المسلم والكافر وقرره أهل الكلام في كتبهم، فلا يكفي وحده بل هو الحجة عليهم كما بين سبحانه في كتابه الكريم في عدة مواضع، ولهذا كان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا)[1].

٢. **معرفة أن الشرك له صور مختلفة:**

فليس الشرك هو مجرد عبادة الأوثان والأصنام على عادة مشركي العرب فحسب بل للشرك صور كثيرة سنذكر إن شاء الله طرفاً منها في الباب الرابع [نواقض التوحيد]

٣. **معرفة التوحيد الذي عليه مدار النجاة يوم القيامة:**

فمن الناس من ظن التوحيد الذي عليه مدار النجاة هو التصديق بالله أو اعتقاد وحدانيته، أو هو اعتقاد وحدانية الله والإقرار بذلك وهذا ما يمليه علماء الكلام كما

(١) [إغاثة اللهفان: ٤٦/١].





يقول ابن تيمية :

(وهم إذا ادعو التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد الذي جاءت به الرسل لابد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه، والتوحيد الذي يدعونه إنما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات، وفيه من الكفر والضلال ما هو من أعظم أسباب الإشراك، فلو كانوا موحدين بالقول والكلام، وهو أن يصفوا الله بما وصفته به رسله لكان معهم التوحيد دون العمل، وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة، بل لابد أن يعبدوا الله وحده، ويتخذوه إلها دون ما سواه وهذا هو معنى قول: لا إله إلا الله، فكيف وهم في القول والكلام معطلون جاحدون لا موحدون ولا مخلصون؟) [(١)].

ويقول – رحمه الله:

(حتى إن كثيرًا منهم يظنون أن التوحيد المفروض: هو الإقرار والتصديق بأن اللّه خالق كل شيء وربه، ولا يميزون بين الإقرار بتوحيد الربوبية، الذي أقر به مشركو العرب، وبين توحيد الإلهية، الذي دعاهم إليه رسول اللّه ﷺ، ولا يجمعون بين التوحيد القولي والعملي) [(٢)].

ويقول – رحمه الله:

(فأكثر هؤلاء المتكلمين لا يجعلون التوحيد إلا ما يتعلق بالقول والرأي واعتقاد ذلك دون ما يتعلق بالعمل والإرادة واعتقاد ذلك؛ بل التوحيد الذي لا بد منه لا يكون إلا بتوحيد الإرادة والقصد؛ وهو توحيد العبادة) [(٣)].

(١) انظر [مجموع الفتاوى: ٣٥/٩]و [٥٧/١٨-٥٨].

(٢) [الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ٢٩٦/٢].

(٣) [الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ٢٤٨/٥].



٤. **التمييز بين منهج أهل السنة والجماعة وأهل البدع والضلالة:**

فأهل السنة و الجماعة وسط بين الإفراط والتفريط، بين قول المرجئة(١)والخوارج(٢)، وبين قول المشبهة والمعطلة(٣)، وبين نفاة الشفاعة(٤)ومثبتي الوسائط(٥).

(١) **المرجئة** : لقبوا بذلك لأنهم يرجئون العمل عن النية؛ أي يؤخرونه في الرتبة عنها وعن الاعتقاد. من كتاب [كيد الشيطان لابن الجوزي: ص١٦٤] [ط. مكتبة ابن تيمية]، وانظر [مقالات الإسلاميين: ١/٢١٣]، و[الملل والنحل: ١/١٣٩]، و[مجموع الفتاوى: ٧/ ١٩٥].

(٢) يقول ابن تيمية: (وهؤلاء الخوارج لهم أسماء، يقال لهم: الحرورية، لأنهم خرجوا بمكان يقال له: [حروراء]، ويقال لهم: [أهل النهروان] لأن عليا قاتلهم هناك، ... وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك، فكانوا كما نعتهم النبي ﷺ: « يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان »).[الإيمان الأوسط:ص٢٣]. [ط. ابن حزم]، وانظر [مقالات الإسلاميين: ١/٦٦٧] .

(٣) سيأتي ذكرهم - إن شاء الله - في بيان أهم الفرق في الأسماء والصفات.

(٤) من المعتزلة والخوارج الذين أنكروا شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر .

(٥) من النصارى والقبوريين الذين يجعلون شفاعة من يعظمونه كشفاعة ذوي الوجاهات عند صاحب السلطان.





رابعا: لماذا لم يظهر التقسيم في جيل الصحابة؟

لم يهتم الصحابة بالتقسيمات عموما لعدة أسباب وأهمها:

١. علم الصحابة ﷺ بلغة العرب وفصاحة لسانهم وقد جاء القرآن بلسان عربي مبين.

قال الشاطبي:

(ولهذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه) [١].

٢. **تلقي الصحابة الدين من مشكاة النبوة غضا طريا لم يصبه تحريف المبطلين ولا أباطيل المتكلمين.**

قال ابن تيمية :

(فإن الرسول ﷺ لما خاطبهم بالكتاب والسنة عَرَّفهم ما أراد بتلك الألفاظ. وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بَلَّغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه) [٢].

و يقول- رحمه الله :

(والصحابة لما استغنوا عن النحو واحتاج إليه من بعدهم صار لهم من الكلام في قوانين العربية ما لا يوجد مثله للصحابة، لنقصهم وكمال الصحابة) [٣].

---

(١) [الموافقات للشاطبي:٧٩/٢].

(٢) [مجموع الفتاوى: ٣٥٣/١٧].

(٣) [منهاج السنة النبوية: ١٠٩/٨]. [ط.دار الحديث] .



٣. **لأن الصحابة لم يقع بينهم الخلاف في مسائل التوحيد حتى يحتاجوا إلى التقسيمات والتفريعات لبيان الحق وأهله.**

يقول الإمام محمد بن خفيف الشيرازي في كتابه [اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات]:

(فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد اللّه عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولا واحدًا وشرعًا ظاهرًا ... فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف – وهم الذين أُمرنا بالأخذ عنهم؛ إذ لم يختلفوا بحمد اللّه تعالى في أحكام التوحيد، وأصول الدين من الأسماء والصفات، كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنقل إلينا، كما نقل سائر الاختلاف)[1].

٤. **انشغالهم رضي الله عنهم بالعمل والدعوة والجهاد في سبيل الله** :

لقد كان انشغالهم رضي الله عنهم بالعمل والدعوة والجهاد في سبيل الله لتثبيت دعائم الدولة الإسلامية الناشئة شاغلا لهم عن تصنيف العلوم ووضع التقسيمات.

(١) نقلاً عن [مجموع الفتاوى: ٥/٧١].



خامسا: ما هي أقسام التوحيد؟

أولا: بيان أشهر التقسيمات إجمالاً

- **التقسيمة الثلاثية للتوحيد ولها صور، منها:**

١. توحيد الربوبية .

٢. توحيد الألوهية .

٣. توحيد الأسماء والصفات .

أو

١. توحيد الله بأسمائه وصفاته .

٢. توحيد الله بأفعاله .

٣. توحيد الله بأفعال عباده .

- **التقسيمة الثنائية للتوحيد ولها صور منها:**

١. التوحيد القولي .

٢. التوحيد العملي .

أو

١. توحيد المعرفة والإثبات .

٢. توحيد القصد والطلب .

أو

١. التوحيد العلمي الخبري .

٢. التوحيد الإرادي الطلبي .



يقول الشيخ ناصر السعدي :

(... وسمي دين الإسلام توحيدا؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله، وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها و لم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب. وإن شئت قلت:

التوحيد نوعان:

توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات .

وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية والعبادة .

ذكره شيخ الإسلام وابن القيم وذكر معناه غيرهما) [1].

(١) [تيسير العزيز الحميد: ص٣٢،٣٣]. [ط. المكتب الإسلامي] .



أ – ما الفائدة من التقسيم الثلاثي ؟

قال ابن الأثير :

(والتقسيم لا يصح لشيء من الأشياء إلا إذا اختص كل قسم من الأقسام بصفة لا يختص بها غيره، وإلا كان التقسيم لغواً لا فائدة فيه) [١].

فقصدُ العلماء من هذا التقسيم هو فصل [الأسماء والصفات] عن باقي التوحيد لبيان ما دخل في هذا الباب من التأويلات والتحريفات ما أفسد على المسلمين عقائدهم، وبيان أن الخلاف في هذا الباب دائر في الغالب بين أهل السنة والفرق الإسلامية التي تزعم أنها تريد التنزيه والتعظيم؛ وهو أصل توحيد الأسماء والصفات، فمن عطل الصفات زعم زورا وبهتانا أنه تنزيه لله عن مشابهة المخلوقات ومن حرَّفها زعم أيضا زورا أن هذا مراد الله منها لأن ظاهر النصوص يقتضي التمثيل، وهكذا.

يقول ابن تيمية :

(لكن نحن نعلم أن كل مسلم فهو ينزه الله تعالى عن النقص والعيب بل العقلاء كلهم متفقون على ذلك، فإنه ما من أحد يعظم الصانع سبحانه وتعالى وصف الله بصفة وهو يعتقد أنها آفة وعيب ونقص في حقه... ولهذا كان نفاة الصفات نفوها وهم يعتقدون أن إثباتها يقتضي النقص كالحدوث والإمكان ومشابهة الأحياء، ومثبتوها إنما أثبتوها لاعتقادهم أن إثباتها يوجب الكمال وعدمها يستلزم النقص والعدم ومشابهة الجمادات) [٢].

وفصل [الألوهية] عن [الربوبية] لبيان أن مشركي العرب كانوا مقرين بربوبية الله في الجملة ، منكرين لألوهيته سبحانه متخذين له أندادا وشركاء ، فلم ينفعهم إقرارهم بربوبية الله مع شركهم بل كان إقرارهم هذا حجة عليهم.

---

(١) [المثل السائر: ٢/٨٦–٨٧].

(٢) [منهاج السنة لابن تيمية: ٢/١٧٣] .



ب – ما الفائدة من التقسيم الثنائي ؟

الفائدة : بيان أن التوحيد قول وعمل، يقابل الإيمان: قول وعمل، وبيان ذلك:

- أن التوحيد القولي يقابل الإيمان القولي .
- والتوحيد العملي يقابل الإيمان العملي.
- والتوحيد القولي والإيمان القولي يكونان: بقول القلب وقول اللسان.
- والتوحيد العملي والإيمان العملي يكونان: بعمل القلب والجوارح.
- والتوحيد القولي: هو المعرفة والإثبات ، والإيمان القولي: قول القلب واللسان.
- والتوحيد العملي: هو القصد والطلب ، والإيمان العملي: عمل القلب و عمل الجوارح.

١ – فقول القلب هو المعرفة. ٢ – وقول اللسان هو الإثبات.

٣ – وعمل القلب هو القصد. ٤ – وعمل الجوارح هو الطلب.

- فالتوحيد القولي: [المعرفة والإثبات] ، [قول القلب وقول اللسان] متعلق [بربوبية الله وأسمائه وصفاته].
- والتوحيد العملي: [القصد والطلب] ، [عمل القلب وعمل الجوارح] متعلق [بألوهية الله].

يقول ابن القيم:

(وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه فوراء ذلك كله، وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في المطلب والقصد)[1].

---

(١) [مدارج السالكين: ٣/٣٢٥]. [ط. دار التراث العربي].





يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

(لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما)[1].

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن :

(وقوله سبحانه: ﴿ **إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزخرف:٨٦] ، أما النطق بها من غير معرفة بمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك، وإخلاص القول والعمل؛ قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع)[2].

(١) [شرح كشف الشبهات لابن عثيمين: صـ٧٩].

(٢) [فتح المجيد: صـ٤٤].



** **فاعلم -رحمك الله – أن التوحيد قول وعمل كما أن الإيمان قول وعمل.**

يقول ابن تيمية :

(وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع، قد بين فيه التوحيد الذي بعث الله به رسوله قولاً وعملاً، فالتوحيد القولي مثل سورة الإخلاص: ﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ﴾[الإخلاص:٤] ، والتوحيد العملي:﴿ **قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ** ﴾[الكافرون:١] ،ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغير ذلك ، وقد كان أيضا يقرأ في ركعتي الفجر وركعتي الطواف: ﴿ **قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا**....الآية ﴾. [البقرة:١٣٦] وفى الركعة الثانية بقوله تعالى:﴿ **قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ**...الآية ﴾ [آل عمران:٦٤] . فإن هاتين الآيتين فيهما دين الإسلام، وفيهما الإيمان القولي والعملي) [١].

(فقد تقرر لديهم – أي السلف – أن الإيمان والتوحيد: قول وعمل، ومن ثم فمن أتى بالقول في أي واحد منهما دون العمل فلا يكون مسلما ولا مؤمنا) [٢]

- فمن أخرج العمل من الإيمان هم المرجئة من الفقهاء.
- ومن أخرج العمل من التوحيد هم المرجئة من المتكلمين.
- وأهل السنة يجعلون التوحيد والإيمان: قولاً وعملاً.

(١) [قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية:صـ١٠٧].

(٢) [فتاوى الأئمة النجدية:٣/٢١].





الباب الثالث

أقسام التوحيد تفصيلا

- الفصل الأول : توحيد الربوبية .
- الفصل الثاني : توحيد الأسماء والصفات .
- الفصل الثالث : توحيد الألوهية .



الفصل الأول

توحيد الربوبية

موضوعات هذا الفصل:

١. ما معنى توحيد الربوبية؟

٢. ما هي أدلة توحيد الربوبية؟

٣. ما هي أقسام توحيد الربوبية؟

٤. ما هي علاقة توحيد الربوبية بتوحيد الألوهية؟



أولاً: ما معنى توحيد الربوبية؟

التوحيد : هو الإفراد كما بينا من قبل ، والربوبية : مشتقة من [الرب] وكلمة الرب في اللغة مصدر: ربَّ يربُّ ، يُقال: ربَّه وربَّاه وربَّبه ، فلفظ [الرب] مصدر مستعار للفاعل ويدور حول أربعة مَعان هي :

السيد – المالك – الجامع – المربي .

١ – الرب بمعنى السيد:

يقول أبو هلال العسكري صاحب كتاب الفروق اللغوية:

(ويجوز رب بمعنى: سيد في الإضافة. كما قال تعالى: ﴿ فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ . [يوسف:٤١]) [١]

وقوله تعالى:﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف:٤٢]

وفي الحديث الصحيح: « .....**إذا ولدت الأمة ربها** » [٢] ؛ أي: سيدها .

٢ – الرب بمعنى المالك:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ [قريش:٣]

وكما في الحديث الصحيح ، وقد سئل رسول الله ﷺ عن ضالة الإبل ، فقال:

« **ما لك ولها، معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء، وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها** » [٣] ؛ أي: صاحبها.

ومثاله قول عبد المطلب: (أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه) ؛ أي: صاحبها.

---

(١) [الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري : صـ ١٩٦] . [ط .المكتبة التوفيقية] .

(٢) رواه البخاري: [٤٨/ كتاب الإيمان/باب: سؤال جبريل...].

(٣) رواه البخاري: [٢٢٥١/ كتاب اللقطة/باب: إذا لم يوجد صاحب اللقطة...] .

يقول الفيروز أبادي :

(رب كل شيء: مالكه ومستحقه وصاحبه) [١].

يقول الإمام البغوي :

(فالرب: يكون بمعنى المالك، كما يقال لمالك الدار: رب الدار) [٢]

٣ – الجامع الحاشر:

فتقول العرب: ربَّهُم في مكان واحد إذا جمعهم ويسمون مكان اجتماعهم بالمريب.

يقول الفيروز أبادي:

(ربَّ : جمع) [٣] .

يقول ابن فارس:

(يقال: السحاب يرب المطر؛ أي يجمعه، وفيه الرَّبب وهو الماء الكثير سُمي بذلك لاجتماعه) [٤].

ومن هذا المعنى [الربيون] في قوله تعالى:﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران:١٦٤]

قال ابن القيم:

(فالربيون هنا الجماعات بإجماع المفسرين، قيل: إنه من الربة بكسر الراء؛ وهي الجماعة، قال الجوهري: الربي واحد الربيين وهم الألوف من الناس) [١].

---

(١) [القاموس المحيط: ٩٢/١]. [ط. دار المعرفة بيروت] .

(٢) [تفسير البغوي: ١٣/١].

(٣) [القاموس المحيط: ٩٢/١].

(٤) [مقاييس اللغة لابن فارس: ٣٨١/٢].



ويشير إلى ذلك قوله سبحانه:﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران:9] وقوله تعالى:﴿ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود:34] .

٤– المنشئ والمربى:

يقول ابن فارس:

(والرب: المصلح للشيء، والله جل ثناؤه- الرب لأنه مصلح أحوال خلقه) (٢).

يقول الإمام البغوي:

(ويكون [أي الرب] بمعنى التربية والإصلاح، يقال: ربَّ فلان الضيعة إذا أتمها وأصلحها) (٣).

يقول الشيخ ناصر السعدي :

(والرب: هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم و أرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل، لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة) (٤).

يقول ابن أبي العز :

(والرب يقتضي معاني كثيرة، وهي: الملك والحفظ والتدبير والتربية؛ وهي تبليغ الشيء كماله بالتدريج) (٥).

---

(١) [مفتاح دار السعادة لابن القيم: صـــ١٥٣].

(٢) [مقاييس اللغة لابن فارس: ٣٨١/٢].

(٣) [تفسير البغوي: ١٣/١].

(٤) [تفسير السعدي: صـــ٩٤٥].

(٥) [شرح الطحاوية: صـــ١٣٦].



ومن ذلك قوله سبحانه:﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ [الأعلى: 1- ٥]

وما ورد على لسان يوسف عليه السلام:﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾ [يوسف:٢٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩]

قال ابن القيم:

(وقال المبرد : [الرباني الذي يرُب العلم ويرب الناس به؛ أي يعلمهم ويصلحهم] وعلى قوله : فالرباني من رب يرب ربا ؛ أي : يربيه ، فهو منسوب إلى التربية .

ويربي علمه ليكمل ويتم بقيامه عليه وتعاهده إياه : كما يربي صاحب المال ماله ، ويربي الناس به : كما يربي الأطفالَ أولياؤهم) [١].

وقال – رحمه الله :

(وفيه أيضا تنبيه لأهل العلم على تربية الأمة كما يربي الوالد ولده فيربوهم بالتدريج والترقي من صغار العلم إلى كباره، وتحميلهم منه ما يطيقون كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصال الغذاء إليه) [٢].

ولم تجتمع الصفات الأربعة إلا لله عز وجل

(فلذلك لا يطلق اسم الرب بغير إضافة إلا له سبحانه، فيقال:الرب هو الله) [٣].

---

(١) [مفتاح دار السعادة لابن القيم: صـ١٥٣].

(٢) [مفتاح دار السعادة لابن القيم: صـ٨٣].

(٣) [القاموس المحيط: ٩٢/١].





يقول الإمام البغوي:

(ولا يُقال للمخلوق: هو الرب معرفاً، إنما يُقال: رب كذا مضافاً؛ لأن الألف واللام للتعميم، وهو لا يملك الكل) [(١)].

يقول الإمام النووي:

(قال العلماء: [الرب] بالألف واللام لا يُطلق إلا على الله تعالى بخلاف [رب] فإنه يُضاف إلى المخلوق، فيُقال: رب المال ورب الدار ورب الماشية) [(٢)].

كما في الحديث الصحيح، وفيه: « ...**فأما الركوع فعظموا فيه الرب** » [(٣)].

(قال ابن بطال : لا يجوز أن يُقال لأحد غير الله رب، كما لا يجوز أن يُقال له إله [وتعقبه الحافظ ابن حجر بقوله:] والذي يختص بالله تعالى إطلاق الرب بلا إضافة أما مع الإضافة فيجوز إطلاقه كما في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف:٤٢]) [(٤)]

يقول ابن تيمية :

(فما من مخلوق إلا له شريك وند، والرب وحده سبحانه هو الذي لا شريك له ولا ند ولا مثيل له بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولهذا لا يستحق غيره أن يُسمى خالقا ولا رباً مطلقاً) [(٥)].

---

(١) [تفسير البغوي: ١/١٣].

(٢) [المجموع للنووي: ١/٣٣٤].

(٣) رواه مسلم: [٤٧٩/ كتاب الصلاة/ باب: النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود].

(٤) [فتح الباري لابن حجر: ٥/١٧٩].

(٥) [مجموع الفتاوى: ٢٠/ ١٨٢].



ولقد جاء القرآن بهذه المعاني الأربعة:

ومثال ذلك: قوله تعالى:

﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء:١٦-٢٩]

وقوله تعالى:

﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:٤٦-٥١]





فمن تدبر هذه الآيات استطاع أن يلحظ معنى الربوبية:

فالسيادة والملك في قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾

﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾

والتربية والرعاية في قوله: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾

والجمع والحشر في قوله:﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ و ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ ﴾

وقد تجتمع المعاني الأربعة في سياق واحد كما في قوله تعالى:

﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٤٦-٤٧] .



توحيد الربوبية اصطلاحا :

قال الشيخ ابن عثيمين :

(هو إفراد الله سبحانه وتعالى في أمور ثلاثة ؛ في الخلق والملك والتدبير)[1].

وقال أيضاً:

(فأما توحيد الربوبية ؛ فهو إفراد الله بالخلق والأمر ، كما قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾)[2] .

وقيل:

([الرب] الذي له الحكم القدري والحكم الشرعي والحكم الجزائي ،

و[الإله] هو الذي يؤله ويعبد وحده لا شريك له ويطاع طاعة مطلقة فلا يعصى ...)[3] ولا مشاحة في الاصطلاح.

---

(١) [شرح العقيدة الواسطية: صـ١٠].

(٢) [فتاوى العقيدة : صـ١٤] .

(٣) انظر : [القول السديد : صـ١٠٢]. بتصرف .



ثانيا: ما هي أدلة توحيد الربوبية؟

أدلة توحيد الربوبية :

١ - الفطرة ٢ - والعقل ٣ - والشرع ٤- والحس .

ولهذه الأدلة شواهد على ربوبية الله أعظمها :

١- شاهد الإبداع ٢- شاهد الافتقار ٣- شاهد القهر

أولا : شاهد الإبداع .

وشاهد الإبداع يتمثل في هذا الكون الواسع المحكم الذي يبهر العقول صنعه، وتحتار الألباب في كنهه، فأصغر المخلوقات وأعظمها شواهد بينات، ودلائل وآيات، تشهد لله بالوحدانية إذا تدبرها عاقل خر لله ساجداً قال تعالى: (﴿ **فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ**..... ﴾ [عبس:٢٤] فلينظر وليتأمل ما فيه من عجائب، وكم من الأمور المعقدة التي ترتب بعضها على بعض كي يصل إليه هذا الطعام .

ولينظر إلى جسده وما فيه من إبداع ... لينظر إلى القلب وكيف يضخ الدم المحمل بالأكسجين إلى جميع أنحاء الجسم لتستمر الخلايا في أداء وظيفتها، ولو توقف عن الضخ لتوقفت الحياة.

ولينظر إلى العقل وما فيه من مراكز الإدراك والتفكير واتخاذ القرار ...

ولينظر إلى العين وما فيها من دلائل الإبداع، وليسأل نفسه: كيف ينظر؟ كيف يسمع؟ كيف يتكلم؟ بل كيف يشم الروائح ويميز بينها؟

لينظر إلى جهاز المناعة وكيف يحميه من الأمراض، وليتفكر في سائر لأجهزة الجسم التي خلقها الله بهذه الدقة وهذا الإبداع.

لينظر إلى هذا كله ﴿ **وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ [الذاريات:٢١] .

ولينظر إلى الكون حوله ... إلى الماء الذي يتزل من السماء، ولولا وجوده ما استمرت الحياة على ظهر الأرض﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ** ﴾ .[الأنبياء:٣٠]

لينظر الإنسان إلى الشمس والقمر ودقة دورانهما ﴿ **ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ** ﴾ [الرحمن:٥] الكل يسير وفق نظام محدد ﴿ **لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾[يس:٤٠] لم تتأخر الشمس يوما عن الإشراق، و لم يأت صيف قبل شتاء، و لم يستمر ليل ويحتجب نهار .

لينظر الواحد منا إلى هذا كله وغيره من النعم التي لا تُعدُّ ولا تُحصى ثم ليُجب على هذا السؤال ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** ﴾ فالله هو الخالق وهو الرزاق ﴿ **هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ [لقمان:١١]) (١)

---

(١) [كتاب الإيمان أولا: مجدي الهلالي صـــ ٧٠- ٧١].



أدلة من القرآن على شاهد الإبداع:

قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:١٠-١٨].

وقال سبحانه:

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٦٥-٦٩]



وقال تعالى:

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل:٦٠-٦١] .

وقال تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم:٢٠-٢٥]

وقال سبحانه:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [لقمان:٢٩-٣١] .



وقال تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٢-١٤] .

وقال سبحانه:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر:٢٧-٢٨]

وقال سبحانه:

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ



﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس:٣٣-٤٦] .

وقال سبحانه:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر:٧٩-٨١] .

والقرآن مليء بلفت الانتباه إلى شواهد الإبداع، والأمر بالنظر والتفكر والتدبر فيها وذم المعرضين والغافلين عنها.

يقول ابن القيم بعد ذكر العديد من الآيات:

(فنوع سبحانه الآيات في هذه السور؛ فجعل خلق السماوات والأرض واختلاف لغات الأمم وألوانهم آيات للعالمين كلهم لاشتراكهم في العلم بذلك وظهوره ووضوح دلالته، وجعل خلق الأزواج التي تسكن إليها الرجال وإلقاء المودة والرحمة بينهم آيات لقوم يتفكرون؛ فإن سكون الرجل إلى امرأته وما يكون بينهما من المودة والتعاطف والتراحم أمر باطن مشهود بعين الفكرة والبصيرة، فمتى نظر بهذه العين إلى الحكمة والرحمة والقدرة التي صدر عنها ذلك دله فكره على أنه الإله الحق المبين الذي أقرت الفطر بربوبيته وإلاهيته وحكمته ورحمته) (١).

---

(١) [مفتاح دار السعادة لابن القيم: صـــ٢٢١].





يقول ابن جرير الطبري عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣]:

(أيها المشركون إن جهلتم أو شككتم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر من أن إلهكم إله واحد دون ما تدّعون ألوهيته من الأنداد والأوثان ، فتدبروا حججي وفكروا فيها ، فإن من حججي: خلق السمَوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها ، وما بثثت فيها من كل دابة،والسحاب الذي سخرته بين السماء والأرض.

فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به إذا اجتمع جميعه فتظاهر أو انفرد بعضه دون بعض يقدر على أن يخلق نظير شيء من خلقي الذي سميت لكم ، فلكم بعبادتكم ما تعبدون من دوني حينئذ عذر، وإلا فلا عذر لكم في اتخاذ إله سواي، ولا إله لكم ولما تعبدون غيري

فليتدبر أولو الألباب إيجاز الله احتجاجه على جميع أهل الكفر به والملحدين في توحيده في هذه الآية وفي التي بعدها بأوجز كلام وأبلغ حجة وألطف معنى)[١].

(إن هذا الكون العجيب الغريب المتناسق المنظم يقول بلسان الحال: إن له خالقا عظيماً هو الله تعالى ، وإن العقل السليم لا يمكنه أصلاً أن يتصور أن هذا الكون وُجد بلا موجد، وحدث بلا محدث)[٢].

(١) [تفسير الطبري: ١/٦٥].

(٢) [أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان: صـ٢٠] .



تأمل في رياض الأرض وانظر *** إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصـــــات *** بأحداق هي الذهب السبيك

على قصب الزبرجد شاهــدات *** بأن الله ليس له شريـــــك





ثانيا : شاهد الافتقار.

فالإنسان لضعفه وعجزه مفتقر في كل لحظة إلى ربه ومولاه، وفقر الإنسان صفة لازمة له كما أن غنى الله صفة ثابتة له، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [فاطر:١٥] (١).

وفى الحديث القدسى:

« يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم إنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئا » (٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

والفقر لي وصف ذات لازم أبدا * كما أن الغنى أبداً وصف له ذاتي**(٣)

(فالله تعالى هو المتفرد بالعطاء والمنع، والنفع والضر، وكل ما عدا الله فإنه فقير محتاج إليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [فاطر:١٥] فالفقر وصف ذاتي لكل مخلوق، كما أن الغنى وصف ذاتي لله رب العالمين) (٤).

(ففقرنا إلى الله فقر ذاتي لا تغيره العوارض، وهو يشمل جميع جوانب الحياة، ومهما ادعى المدعون بقدرتهم على الاستغناء عنه سبحانه إلا وتأتي عليهم لحظات يشعرون فيها بمدى ضعفهم، وفقرهم إليه) (٥).

(١) يقول ابن منظور في [لسان العرب: ١٣٥/١٥]: (الغني من أسماء الله تعالى: قال ابن الأثير:هو الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء، وكل أحد محتاج إليه، وهذا هو الغنى المطلق، ولا يشارك الله تعالى فيه غيره) .

(٢) رواه مسلم: [٢٥٧٧/ كتاب البر والصلة/ باب: تحريم الظلم].

(٣) [تهذيب مدارج السالكين: صـــ١٨٨].

(٤) [أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان: صـــ٢٠].

(٥) [الإيمان أولا: مجدي الهلالي صـــ٢٧١].



الافتقار نوعان :

١- افتقار حسي:

وهو افتقار العبد لله في حاجات البدن كتحصيل رزق أو طلب الولد أو دفع مكروه أو كشف كربة.

قال الله تعالى:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل:٦٢-٦٤] .

٢- افتقار معنوي:

وهو افتقار القلوب إلى المحبوب الأعظم، وافتقارها إلى ربها أعظم من افتقار الأبدان إلى الطعام والشراب، فإنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا لذة ولا سرور، ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون أحب إليها مما سواه ويكون سعيها في ما يقربها إليه، ويدنيها من مرضاته.

يقول ابن تيمية:

(واعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبده، لا يشرك به شيئا، ليس له نظير فيقاس به؛ لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروق كثيرة. فإن حقيقة العبد قلبه، وروحه، وهى لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره)[١].

---

(١) [مجموع الفتاوى: ١/٢٤].





ويقول – رحمه الله :

(فالقلب لا يصلح، ولا يفلح، ولا ينعم ولا يُسر ولا يلتذ، ولا يطيب، ولا يسكن، ولا يطمئن، إلا بعبادة ربه، وحبه والإنابة إليه. ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن، ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة) [١].

(١) [رسالة العبودية لابن تيمية نقلا عن مجموعة التوحيد: صـــ ٤٦٢-٤٦٣]. [ط. المكتبة القيمة] .



ثالثاً : شاهد القهر.

فإن العباد مع افتقارهم إلى ربهم هم مقهورون تحت سلطانه سبحانه، قال تعالى:

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾[الرحمن:٣٣] وسلطان الله نافذ في عباده مؤمنهم وكافرهم، فكلهم تحت عبودية القهر فلا يخرج أحد من سلطانه، ولا يستطيع أحد أن يدفع عن نفسه : الموت أو المرض أو الجوع أو العطش أو حتى مجرد النوم، وإن مَلَكَ من خزائن الأرض ما ملك وإن ملك من جنود الأرض ما ملك، وقد جعل سبحانه ذلك آية على وحدانيته سبحانه: قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

ومن لا تحركه الآيات البينات تزلزله النوائب والنكبات فيذل صاغراً .

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

[يونس:٩٠-٩١] وكذلك مشركي العرب مع استكبارهم يذلون ويخضعون في الشدائد.

كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥] .

(وقال سبحانه:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل:٦٢]

يقرر تعالى أنه الإله الواحد الذي لا شريك له ولا معبود سواه مما يشترك في معرفته المؤمن والكافر لأن القلوب مفطورة على ذلك، فمتى جاء الاضطرار رجعت القلوب إلى الفطرة وزال ما ينازعها فالتجأت إليه وأنابت إليه وحده لا شريك له،





كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ۝٥٤ ﴾ [النحل:٥٣-٥٤] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:٨]

ومثل هذا كثير في القرآن يبين تعالى أنه المدعو عند الشدائد الكاشف للسوء وحده فيكون هو المعبود وحده، وكذا قال في هذه الآية: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النحل:٦٢] ؛ أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه والذي لا يكشف ضر المضطرين سواه؟ ومن المعلوم أن المشركين كانوا يعلمون أنه لا يقدر على هذه الأمور إلا الله وحده، وإذا جاءهم الشدائد أخلصوا الدعاء لله، كما قال تعالى:

﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥] فتبين أن من اعتقد في غير الله أنه يكشف السوء أو يجيب دعوة المضطر أو دعاه لذلك فقد أشرك شركا أكبر من شرك العرب كما هو الواقع من عباد القبور)(١)

(١) [تيسير العزيز الحميد: صـ٢٤٠-٢٤١].



فاعلم – رحمك الله– أن توحيد الربوبية مركوز في الفطر، مستقر في القلوب، نطق به الشرع، وأقر به العقل، ولم ينكره إلا معاند مستكبر

يقول ابن أبي العز الحنفي:

(ولا شك أن الإقرار بالربوبية أمر فطري، والشرك حادث طارئ، والأبناء تقلدوه عن الآباء، فإذا احتجوا يوم القيامة بأن الآباء أشركوا ونحن جرينا على عادتهم كما يجري الناس على عادة آبائهم في المطاعم والملابس والمساكن، يقال لهم : أنتم كنتم معترفين بالصانع، مقرين بأن الله ربكم لا شريك له، وقد شهدتم بذلك على أنفسكم، فإن شهادة المرء على نفسه هي إقراره بالشيء ليس إلا ، قال الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [النساء:١٣٥].

وليس المراد أن يقول: أشهد على نفسي بكذا، بل من أقر بشيء فقد شهد على نفسه به .

فلم عدلتم عن هذه المعرفة والإقرار الذي شهدتم به على أنفسكم إلى الشرك؟ بل عدلتم عن المعلوم المتيقن إلى ما لا يعلم له حقيقة، تقليداً لمن لا حجة معه، بخلاف اتباعهم في العادات الدنيوية، فإن تلك لم يكن عندكم ما يعلم به فسادها، وفيه مصلحة لكم، بخلاف الشرك، فإنه كان عندكم من المعرفة والشهادة على أنفسكم ما يبين فساده وعدولكم فيه عن الصواب) [١].

---

(١) [شرح الطحاوية: صـــ٢٤٥-٢٤٦]..وانظر معناه أيضا للنسفي في تفسيره:[٥٨٨/١].



ويقول – رحمه الله :

(فإن توحيد الربوبية لا يحتاج إلى دليل ، فإنه مركوز في الفطر. وأقرب ما ينظر فيه المرء أمر نفسه لما كان نطفة، وقد خرج من بين الصلب والترائب [والترائب: عظام الصدر]، ثم صارت تلك النطفة في قرار مكين، في ظلمات ثلاث، وانقطع عنها تدبير الأبوين وسائر الخلائق، ولو كانت موضوعة على لوح أو طبق، واجتمع حكماء العالم على أن يصوروا منها شيئاً لم يقدروا. ومحال توهم عمل الطبائع فيها، لأنها موات عاجزة، ولا توصف بحياة، ولن يتأتى من الموات فعل وتدبير، فإذا تفكر في ذلك وانتقال هذه النطفة من حال إلى حال، علم بذلك توحيد الربوبية، فانتقل منه إلى توحيد الإلهية. فإنه إذا علم بالعقل أن له ربا أوجده، كيف يليق به أن يعبد غيره؟ وكلما تفكر وتدبر ازداد يقيناً وتوحيداً ، والله الموفق، لا رب غيره، ولا إله سواه) (١)

يقول ابن القيم :

(لقد قامت أدلة ربوبيته وبراهين إلهيته وشواهد حكمته وآيات قدرته فلا يستطيع العقل لها جحودا إن هي إلا مكابرة باللسان من كل جحود كفور ﴿ **أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ [إبراهيم:١٠]، وإنما يكون الشك فيما تخفي أدلته وتشكل براهينه، فأما من له في كل شيء محسوس أو معقول آية بل آيات مؤدية عنه شاهدة له بأنه الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، فكيف يكون فيه شك؟) (٢).

---

(١) [شرح الطحاوية: صـ٢٤٧].

(٢) [مفتاح دار السعادة لابن القيم: صـ٢٧٤].



ويقول – رحمه الله :

(فتظاهرت أدلة ربوبيته وتوحيده في الأرض وتنوعت وقامت من كل جانب فعرفه الموفقون من عباده وأقروا بتوحيده إيمانا وإذعانا وجحده المخذولون على* خليقته وأشركوا به ظلما وكفرانا، فهلك من هلك عن بينة وحيي من حي عن بينة، والله سميع عليم) (١).

فيا عجبا كيف يُعصى الإلـــه * أم كيف يجحده الجاحـــد**

ولله في كل تحريكـــــــة * وفي كل تسكينة شاهـــد**

وفي كل شيء له آيـــــة * تدل على أنه واحـــد**

---

* هكذا بالأصل ، ولعل الصواب: [من] خليقته.

(١) [مفتاح دار السعادة لابن القيم: صـــ٢٠]. [ط. دار الحديث] .



ثالثا: ما هي أقسام توحيد الربوبية؟

قسم العلماء توحيد الربوبية إلى: إفراد الله بالخلق والملك والتدبير، أو بالخلق والملك والأمر، أو بالخلق والأمر، ولا مشاحة في الاصطلاح ولكن الأخير أقرب للفظ الآية،قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤].

فالخلق والأمر هما ركنا توحيد الربوبية، وإليك بيان ذلك :

أولاً: إفراد الله بالخلق:

والمقصود بالخلق هو الإيجاد من العدم، فلو اجتمع الإنس والجن وجميع الخلائق على أن يخلقوا كائنا حيا ولو من خلية واحدة لعجزوا عن ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

والأدلة على انفراد الله ﷻ بذلك:

قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ [الأنعام:١٠٢] .

﴿ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد:١٦] .

﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:١٧]

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ [النحل:٢٠] .

﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور:٣٥-٣٦] .

﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤] .



﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون:٩١] .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾ [الفرقان:١-٢] .

﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس:٧٧-٧٩] .





وهذا الركن يتضمن ثلاثة عناصر:

١. إثبات وجود الصانع، وهذا أمر لا يخالف فيه إلا مستكبر معاند.

٢. إثبات كونه سبحانه متصفا بالخلق الأول؛ أي خلق السماوات والأرض ومن فيهن.

٣. إثبات البعث بعد الممات، وهو الخلق الثاني .

وقد أنكر بعض المشركين البعث بعد الموت، كما حكى الله تعالى عنهم في قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴾ [الإسراء:٤٩-٥١]

وقوله :**﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾** [التغابن:٧] . وإن أقر بذلك بعض المشركين كقول زهير بن أبي سلمى :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر * ليوم الحساب أو يعجل فينقم(١)**

---

(١) المعنى :يؤخر: أي يؤخر عقابه، فيوضع في كتاب: أي يكتب على العبد، فيدخر ليوم الحساب: أي عقابه ليوم القيامة، أو يعجل: أي العقاب في الدنيا ، فينقم: أي فينتقم الله من صاحبه، والشاهد: [ليوم الحساب] .



ثانياً : إفراد الله بالأمر:

والأمر على نوعين: أمر كوني، وأمر شرعي.

١. إفراد الله بالأمر الكوني:

وهو تدبير أمر السماء والأرض وأمر جميع الخلق على أعظم وأنفع ما تقوم به مصالحهم، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه[1].

والأدلة على ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٣] .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس:٣١-٣٢]

---

(١) (والمدبر : معناه: مصرف الأمور على ما يوجب حسن عواقبها، واشتقاقه من الدبر، فكأن المدبر هو الذي ينظر إلى دُبر الأمور فيدخل فيه على علم به، والله جل جلاله عالم بكل ما هو كائن قبل أن يكون فلا يخفى عليه عواقب الأمور). [الأسماء والصفات للبيهقي: صـ ٦٢] [ط.دار الحديث] .



يقول ابن القيم :

(فلا خالق ولا رازق، ولا معطي ولا مانع، ولا مميت ولا محيي، ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرا وباطنا غيره، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته) (١).

وإفراد الله بالأمر الكوني يتضمن عدة عناصر:

١.**علم الله الأسبق:** فهو سبحانه يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه سبحانه أحاط بكل شيء علماً جملة وتفصيلاً أزلاً وأبداً، قال تعالى:

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٥٩-٦٠] .

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد:٨-١٠]

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ:٢].

---

(١) [تهذيب مدارج السالكين لابن القيم: صـــ ٦٢٥] .



(فمن ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل –غير ما استثناه الله من رسله ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ [الجن:٢٦-٢٧] فيظهره على ما يشاء سبحانه من غيبه لتأيده بالمعجزات– فهو كاذب كافر سواء ادعى ذلك بواسطة قراءة الكف أو الفنجان أو الكهانة أو السحر أو التنجيم أو غير ذلك). (١)

٢.عدل الله المطلق:

فهو سبحانه متره عن الظلم في حكمه وقسمه وقضائه وقدره دقه وجله.

كما قال سبحانه:﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦]

وقال سبحانه:﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:١٠٨]

وفي الحديث القدسي: « **يا عبادي إني حرَّمتُ الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا...** » (٢).

٣. حكمة الله الباهرة:

فله سبحانه في كل مخلوق حكمة باهرة وآية ظاهرة، وبرهان قاطع يدل على أنه رب كل شيء ومليكه، لا يخلو تدبيره وتصرفه وقضائه وقدره من الحكم الجليلة، كما قال سبحانه:

﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [يس:٣٧-٤٠]

---

(١) انظر معناه:[مجموعة رسائل في التوحيد للشيخ صالح الفوزان: صـــ٢٤٧].

(٢) رواه مسلم: [٢٥٧٧/كتاب البر والصلة/ باب: تحريم الظلم] .





٤.مشيئة الله النافذة:

فكل ما يحدث في الكون فإنما هو بمشيئته الكونية سبحانه، لا يخرج شيء عن مشيئته، كما قال سبحانه:﴿ **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [التكوير:٢٩]،لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، كما قال سبحانه:﴿ **وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ** ﴾ [الرعد:٤١] .

٥.قدرة الله البالغة:

لا يعجزه شيء سبحانه، بل هو المتفرد سبحانه بالنفع والضر، كما قال تعالى حكاية عن قول لقمان لابنه:﴿ **يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان:١٦] .

يقول القرطبي:

(وهذا القول من لقمان إنما قصد به إعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى) (١)

وقال سبحانه:

﴿ **وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا** ﴾ [الكهف:٤٥] .

﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا** ﴾[فاطر:٤٤] .

(١) [تفسير القرطبي: ٤/٦٦١].



٦.رحمة الله الواسعة:

فهو سبحانه البر الرحيم، الجواد الكريم، وسعت رحمته جميع الموجودات بما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر والحظ الأكمل ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ** ﴾.[الأعراف:١٥٦]

والنعم والإحسان، بل وكل خيرات الدنيا والآخرة من آثار رحمته وجوده وكرمه سبحانه.

كما قال سبحانه:﴿ **فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [الأنعام:١٤٧]

وقال سبحانه:

﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ [غافر:٧] .

وفي الحديث الصحيح: قال النبيﷺ لَمَّا جاءت امرأة في السبي تطلب ولدها فلما رأته ألصقته بصدرها وألقمته ثديها، فقال : « **أترون هذه طارحة ولدها في النار؟** » قالوا: لا والله يا رسول الله، قالﷺ: « **لله أرحم بعباده من هذه بولدها**» [(١)].

وفي الحديث الصحيح: « **إن رحمتي غلبت غضبي** » ، وفي رواية: « **أن رحمتي سبقت غضبي** » [(١)].

---

(١) رواه البخاري: [٥٥٤٠/ كتاب الأدب/ باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته] ، ورواه مسلم: [٢٧٥٤/كتاب التوبة/باب: في سعة رحمة الله] .





وقد أفرد مشركو العرب ربهم بالخلق أي الإيجاد من العدم [وهو الخلق الأول] ، وأقر بعضهم بالبعث [وهو الخلق الثاني] ، والتدبير [أي الأمر الكوني] ، كما أخبر سبحانه عن ذلك في كتابه العزيز.

قال تعالى:

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس:٣١-٣٢]

ولكنهم أشركوا بالله في الأمر الشرعي كما سنبين – إن شاء الله .

(١) رواه البخاري: [٢٩٥٥/كتاب بدء الخلق/باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾]، ورواه مسلم: [٢٧٥١/كتاب التوبة/باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه] .



٢. إفراد الله بالأمر الشرعي:

ومعناه أن لا يملك حق التشريع إلا الله.

قال تعالى:

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١]

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١٤٨-١٥٠] .

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١].

﴿ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام:١٣٨-١٤٠]



وإفراد الله بالأمر الشرعي يتضمن ثلاثة عناصر:

١. **التحليل والتحريم:**

وهو حق خالص لله بل هو أخص خصائص الربوبية.

يقول الشيخ الشنقيطي :

(ولما كان التشريع وجميع الأحكام، شرعية كانت أو كونية قدرية، من خصائص الربوبية كما دلت عليه الآيات المذكورة كان كل من اتبع تشريعاً غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع ربا، وأشركه مع الله) [١].

يقول الشيخ الفوزان :

(تشريع الأحكام التي يسير عليها العباد في عبادهم ومعاملاهم وسائر شئوهم والتي تفصل النزاع بينهم، وتنهي الخصومات حق لله تعالى رب الناس وخالق الخلق :﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦] وهو الذي يعلم ما يصلح عباده فيشرعه لهم فبحكم ربوبيته لهم يشرع لهم ، وبحكم عبوديتهم له يقبلون أحكامه ...) [٢].

وسنذكر – إن شاء الله– قضية التشريع تفصيلاً عند ذكر قضية توحيد الطاعة.

(١) [تفسير أضواء البيان للشنقيطي:١٦٩/٧].

(٢) [مجموعة رسائل في التوحيد: صــ٢٨٣].



٢. الأمر والنهي المطلق:

لأن ترك الإنسان بلا أمر ولا نهي عبث نزه الله نفسه عنه كما قال سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥] .

(أي: أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا حكمة لنا فيكم) (١).

وقال سبحانه:﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة:٣٦]؛ أي لا يؤمر ولا يُنهى ، وقال سبحانه:﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص:٢٧].

٣. الحساب والجزاء:

قال ابن القيم :

(فإن الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم، وجزاء محسنهم بإحسانه ومسيئهم بإساءته) (٢).

فمن له حق التحليل والتحريم والأمر والنهي له سبحانه حق الحساب والجزاء في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا فكقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ [الفجر:٦]، وأما في الآخرة فكقوله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾ [ق:٢٤-٢٦] ، وهذا كمال عدله وحكمته ورحمته.

كما قال سبحانه:﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[القلم:٣٥-٣٦]

وقال سبحانه: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص:٢٨].

---

(١) [تفسير ابن كثير:٣/٢٥٩].

(٢) [مدارج السالكين: ١/٨].





وقال سبحانه:﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية:٢١] .

فمن أنكر الحساب والجزاء أو كذب به فقد كذب بربوبية الله –عز وجل–، كما قال تعالى حكاية عن صاحب الجنتين :

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٣٥-٣٨] .



رابعا : ما هي علاقة توحيد الربوبية بتوحيد الألوهية؟

توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية ولا محالة ، فإن من أقر أن الله خالقه ورازقه وصاحب النعم البالغة عليه، وأن ما به من نعمة فمن الله، وأنه مفتقر إليه لا يستغني عنه طرفة عين لا في حاجات بدنه ولا في حاجة قلبه إليه، وعلم من نفسه أنه مفطور على محبته لم يستطع إلا أن يتوجه له وحده بالعبادة والمحبة.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾ [البقرة:٢١].

وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ [آل عمران: ٥١] .

وقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ [الأنعام:١٠٢]

وقال سبحانه:﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم:٦٥].

يقول ابن تيمية :

(وإن كانت الإلهية تتضمن الربوبية، والربوبية تستلزم الإلهية، فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد، لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:١-٣]، وفي قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الفاتحة:٢]، فجمع بين الاسمين: اسم الإله واسم الرب. فإن الإله هو المعبود الذي يستحق أن يعبد، والرب هو الذي يرب عبده فيدبره)[1].

---

(١) [مجموع الفتاوى: ١٠/٢٨٤].



ويقول – رحمه الله :

(وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين، فإن اللّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. أما توحيد الربوبية، فقد أقر به المشركون، وكانوا يعبدون مع اللّه غيره، ويحبونهم كما يحبونه، فكان ذلك التوحيد – الذي هو توحيد الربوبية – حجة عليهم) (١).

ويقول – رحمه الله :

(فالتوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه هو أن يُعبد الله وحده لا شريك له، فهو توحيد الألوهية وهو مستلزم لتوحيد الربوبية؛ وهو أن يعبد الحق رب كل شيء، فأما مجرد توحيد الربوبية؛ وهو شهود ربوبية الحق لكل شيء فهذا التوحيد كان في المشركين، كما قال تعالى:﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾ [يوسف:١٠٦]) (٢).

يقول ابن القيم:

(والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العبادة والتأليه، ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فاحتج الله عليهم به، فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية) (٣).

---

(١) [مجموع الفتاوى: ١٤/٣٨٠].

(٢) [الاستقامة لابن تيمية:صـــ٢٨٤].

(٣) [إغاثة اللهفان لابن القيم: ٢/١٢٦].



ويقول – رحمه الله :

(فإن أول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية، كما يدعو الله سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر، ويحتج عليهم به، ويقررهم به، ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية) (١).

ويقول – رحمه الله :

(فتوحيد الربوبية أعظم دليل على توحيد الإلهية، ولذلك وقع الاحتجاج به في القرآن أكثر مما وقع بغيره، لصحة دلالته وظهورها وقبول العقول والفطر لها، ولاعتراف أهل الأرض بتوحيد الربوبية، وكذلك كان عباد الأصنام يقرون به وينكرون توحيد الإلهية ويقولون: ﴿ **أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا** ﴾[ص: ٥]، مع اعترافهم بأن الله وحده هو الخالق لهم وللسماوات والأرض وما بينهما، وأنه المنفرد بملك ذلك كله) (٢)

يقول الشيخ ابن أبي العز :

(وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلها قال تعالى: ﴿ **أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ [الأعراف:١٩١]) (٣).

---

(١) [تهذيب مدارج السالكين لابن القيم: صـ ١٦٨] .

(٢) [طريق الهجرتين: صـ٤٥-٤٦]. [ط. دار الحديث] .

(٣) [شرح الطحاوية: صـ٨٨].





يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

(فاعلم أن الربوبية، والألوهية : يجتمعان، ويفترقان، كما في قوله تعالى:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:١-٣] وكما يقال رب العالمين، وإله المرسلين؛ وعند الإفراد يجتمعان، كما في قول القائل من ربك ؟

مثاله : [الفقير والمسكين]، نوعان في قوله :﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾[التوبة:٦٠] ونوع واحد في قوله ﷺ : « **افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم، فترد إلى فقرائهم** » .

إذا ثبت هذا، فقول الملكين للرجل في القبر: من ربك ؟ معناه من إلهك؛ لأن الربوبية التي أقر بها المشركون، ما يمتحن أحد بها .

وكذلك قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾[الحج:٤٠] وقوله : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾[الأنعام: ١٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾[ص:١٠٧] فالربوبية في هذا هي: الألوهية، ليست قسيمة لها، كما تكون قسيمة لها عند الاقتران ؛ فينبغي : التفطن لهذه المسألة)(١).

يقول الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي :

(يحتج تعالى عليهم بما أقروا به وعلموه من توحيد الربوبية على ما جحدوا به وأنكروه من توحيد الألوهية، فإنه تعالى كثيرا ما يُقرر في كتابه توحيد ألوهيته بتوحيد ربوبيته، فإن توحيد الربوبية هو الدليل الأوضح والبرهان الأعظم على توحيد الألوهية)(٢)

(١) [تاريخ نجد: صـ٢٥٩].

(٢) [حاشية الأصول الثلاثة لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم:صـ٣٦].





يقول صاحب المعارج حافظ بن أحمد حكمي :

(فإن توحيد الإثبات هو أعظم حجة على توحيد الطلب و القصد الذي هو توحيد الإلهية، و به احتج الله تعالى في كتابه في غير موضع على وجوب إفراده تعالى بالإلهية لتلازم التوحيدين، فإنه لا يكون إلها مستحقا للعبادة إلا من كان خالقا رازقا مالكا متصرفا مدبرا لجميع الأمور، حيا قيوما سميعا بصيرا عليما حكيما موصوفا بكل كمال متزها عن كل نقص غنيا عما سواه، مفتقرا إليه كل ما عداه)[١]

يقول الشيخ ابن باز :

(أما توحيد الربوبية فهو الإقرار بأفعال الرب من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة إلى غير ذلك من أفعاله سبحانه، فإن المشركين قد أقروا بذلك واحتج الله عليهم به، لأنه يستلزم توحيد العبادة ويقتضيه) [٢].

(١) [معارج القبول: ١/٢٨٢]. [ط. المكتبة التوفيقية] .

(٢) عن مجلة التوحيد [العدد ٣ السنة الخامسة والعشرون : صـــ٢٣] .



الفَصْلُ الثَّانِي

توحيد الأسماء والصفات

موضوعات هذا البحث :

١- أهمية دراسة الأسماء والصفات.

٢- قواعد الأسماء والصفات.

٣- مجمل اعتقاد السلف في الأسماء والصفات.

٤- ذكر أهم الفرق في الأسماء والصفات.

أولاً: بيان أهمية دراسة الأسماء والصفات :

١- الأسماء والصفات عليها مدار الإيمان:

لأنه لا يستقيم إيمان بالله ورسوله وكتابه إلا بالإيمان بالأسماء والصفات.

أ- الإيمان بالله:

يقول ابن القيم :

(لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه،فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان) (١).

يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي:

(إن معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته، وخوفه، ورجائه، وإخلاص العمل له وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته والتفقه في فهم معانيها... بل حقيقة الإيمان أن يعرف الرب الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته حتى يبلغ درجة اليقين وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك تدبر صفاته وأسمائه من القرآن) (٢).

---

(١) [مدارج السالكين: ٣/٣٤٧].

(٢) [تفسير السعدي: صـ٣٥] باختصار.





ب- الإيمان برسوله:

يقول ابن تيمية:

(إذا تبين هذا فقد وجب علي كل مسلم تصديقه ﷺفيما أخبر به عن الله تعالى من أسماء الله وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه كما كان عليه السابقون الأولون)[١].

ج- الإيمان بكتابه:

يقول ابن القيم :

(لأن القرآن المجيد عمدته ومقصوده الإخبار عن صفات الرب سبحانه وأسمائه وأفعاله وأنواع حمده والثناء عليه)[٢].

٢- الأسماء والصفات ركن من أركان التوحيد:

فكما ذكرنا من قبل أن التوحيد هو: إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات،فتوحيد الأسماء والصفات ركن من أركان التوحيد.

وقد سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن أنواع التوحيد ، فأجاب:

١- (توحيد الربوبية: وهو الذي أقر به الكفار...

٢- توحيد الألوهية: وهو إخلاص العبادة لله وحده من جميع الخلق...

٣- توحيد الأسماء والصفات: ولا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات)[٣].

---

(١) [الفتاوى لابن تيمية: ٥/١٥٦].

(٢) [طريق الهجرتين لابن القيم: صـــ ٢٣٣].

(٣) [دلائل التوحيد: سؤال رقم ٤٠] باختصار ، وانظر [تاريخ نجد: صـــ ٤٣٢].



٣- الأسماء والصفات ذروة سنام العبودية:

يقول ابن القيم :

(فإنه لا حياة للقلوب ولا لذة ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله ويكون أحب إليها مما سواه ويكون سعيها في ما يقربها إليه ويدنيها من مرضاته) [١].

ويقول - رحمه الله :

(وأكمل الناس عبودية : المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر) [٢].

---

(١) [الصواعق المرسلة لابن القيم:١/١٤٧].

(٢) [مدارج السالكين لابن القيم:١/٤٢٠].



ثانياً: بيان قواعد الأسماء والصفات .

أولاً: قواعد الأسماء :

١- أسماء الله كلها حسنى.

٢- أسماء الله غير محصورة بعدد.

٣- أسماء الله توقيفية.

٤- اتفاق الأسماء لا يقتضي تماثل المسميات.

٥- أسماء الله بين التباين والترادف.

٦- أسماء الله بين الإفراد والاقتران.

٧- أسماء الله بين الحقيقة والمجاز.

٨- قاعدة في بيان دلالات الأسماء.

٩- قاعدة في أنواع الإخبار عن الله.

١٠- الفرق بين الأسماء والصفات.



شـــــرح القواعـــــد :

١- أسمـــاء اللــــه كلهـــا حسنـــى:

أولا: معني الأسماء الحسنى باعتبار الإفراد:

أ- الأسماء: جمع اسم، والاسم في اللغة: مشتق من السمو وهو العلو كما قال النحاة البصريون، وقال النحاة الكوفيون هو مشتق من السمة وهي العلامة، والمعنى الأول أولى فإنهم يقولون في تصريفه: سميت ولا يقولون وسمت، وفي جمعه: أسماء لا أوسام، وفي تصغيره: سُمَيّ لا وُسَيم. ويقال لصاحبه: مسمى لا يقال: موسوم.

فالاسم من السمو لأنه به يظهر المسمى ويعلو(١).

ب-الحسنى: (حسن الشيء تحسينا: زينه وأحسن إليه وبه، وهو يحسن الشيء أي يعلمه ويستحسنه أي يعده حسنا، والحسنة ضد السيئة والمحاسن ضد المساوئ.والحسنى: ضد السوءى) (٢)

ثانيا: معنى الأسماء الحسنى باعتبار الإضافة:

(هي الأسماء التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له عبده ورسوله محمد ﷺ وآمن بها جميع المؤمنين)(٣) وسميت بالحسنى لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول.

والدليل عليها قوله تعالي:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠]

وقوله سبحانه:﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الإسراء:١١٠] وقوله سبحانه:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[طه:٨]

وقوله :﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحشر:٢٤] .

---

(١) مختصرا من كلام ابن تيمية [مجموع الفتاوى:٦/٢٠٧،٢٠٨].وتفصيل المسألة في [الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ٦/١] ، و [لسان العرب لابن منظور: مادة : س م و] .

(٢) [مختار الصحاح: باب الحاء : صـ١١٩] .

(٣) [معارج القبول:٦١/١].



وللاسم أقسام أربعة باعتبار حسنه وهي:

١. **الاسم الحسن:**

وللحُسن درجات ولله عز وجل كمال الحسن ومنتهاه ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٠] والاسم الحسن يُدعى الله به، ويُخبر به عنه، ولا مجال لمعرفته إلا عن طريق الشرع.

٢. **الاسم القبيح:**

والله سبحانه وتعالى متره عن كل نقص، سالم من كل عيب، فهو سبحانه﴿ **ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ** ﴾ فلا يُدعى به الله ولا يُخبر به عنه.

٣. **الاسم الذي يحتمل الحُسن والقُبح في ذاته:**

مثل الماكر والمخادع.

قال تعالى: ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ** ﴾ [الأنفال:٣٠] .

وقوله تعالى:﴿ **إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ** ﴾[النساء:١٤٢] فلا يُدعي الله به ولكن يُخبر به عن الله ولكن بقيد،فلا يقال: إن الله ماكر ولا مخادع لا على سبيل التسمية، ولا على سبيل الخبر بغير قيد لأن هذا المعنى يكون مدحا في حال ويكون ذما في حال ، فلا يمكن أن نصف الله به على سبيل الإطلاق، بل نقول: يمكر بالماكرين ويخادع المخادعين.

٤. **الاسم الحسن في ذاته المُحتمل النقص لُمتعَلقة:**

مثل: [المريد] و [المتكلم] فسلب الإرادة عجز ونقص، والإرادة حسنة في ذاها ولكن لو تعلقت الإرادة بالظلم مثلا تكون صفة نقص وعيب، وكذلك الكلام صفة مدح في ذاته والعجز عن الكلام صفة نقص، ولكن لو تعلق الكلام بالكذب مثلا فهو نقص وعيب:



ولذلك الاسم الحسن في ذاته المحتمل النقص لمتعلقة مثل: المريد والمتكلم والصانع. لا يُدعى الله بها لما فيها من احتمال ولكن يجوز أن يُخبر بها عن الله إخباراً مطلقاً فنقول:إن الله مُتكلم بما يشاء، مُريد لما يشاء.

٢- أسماء الله غير محصورة بعدد:

اعلم أن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر، ولا تُحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مُقرب، ولا نبي مُرسل .

لقوله ﷺ: « **ما أصاب أحداً همٌّ ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدل مكانه فرحاً** » (١).

يقول ابن القيم: (**فجعل أسماءه سبحانه ثلاثة أقسام:**

١- قسم سمي به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم و لم يترل به كتابه.

٢- وقسم أنزل به كتابه وتعرف به إلي عباده.

٣- وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يُطلع عليه أحداً من خلقه.

وأما قوله ﷺ:« **لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة** » (٢).

« **من أحصاها دخل الجنة** » صفة لا خبر مستقبل والمعني له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا كقولك: لفلان ألف شاة أعدها للأضياف فلا يدل على أنه لا يملك غيرها) (٣).

---

(١) رواه أحمد [المسند: ١/٣٩١]، والحاكم [المستدرك: ١/٥٠٩]. وقال الشيخ أحمد شاكر: [إسناده صحيح]

(٢) رواه البخاري: [٥٩٣١/كتاب الدعوات/باب: لله مائة اسم غير واحد] ، ورواه مسلم: [٢٦٧٧/كتاب الذكر والدعاء] .

(٣) نقلا عن [تيسير العزيز الحميد: صـ ٦٤٥].

يقول ابن تيمية:

(قال الخطابي وغيره: فهذا يدل على أن له أسماء استأثر بها، وذلك يدل على أن قوله: « **إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة** » ، أن في أسمائه تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل: إن لي ألف درهم أعددتها للصدقة، وإن كان ماله أكثر من ذلك) (١)

يقول ابن عثيمين:

(معنى إحصاء هذه التسعة والتسعين الذي يترتب عليه دخول الجنة ليس معنى ذلك أن تكتب في رقاع ثم تكرر حتى تحفظ فقط ، ولكن معني ذلك:

أولاً : الإحاطة بها لفظاً .

ثانياً : فهمها معنى .

ثالثاً : التعبد لله بمقتضاها ، ولذلك وجهان :

الوجه الأول : أن تدعو الله بها ، لقوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا** ﴾

الوجه الثاني : أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هذه الأسماء ، فمقتضى الرحيم الرحمة ، فاعمل العمل الصالح الذي يكون جالباً لرحمة الله ، ومقتضى الغفور المغفرة ، إذاً افعل ما يكون سبباً في مغفرة ذنوبك ، هذا هو معني إحصائها) (٢).

(١) [مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٤٨٦/٢٢].

(٢) [القول المفيد: ١٢٧/٢].





الحكمة من عدم تعيين هذه الأسماء:

يقول ابن عثيمين:

(إن هذه التسعة والتسعين غير معينة، بل موكولة لنا لنبحث حتى نحصل على التسعة والتسعين، وهذا من حكمة إبهامها لأجل البحث حتى نصل إلى هذه الغاية، ولهذا نظائر، منها: أن الله أخفى ليلة القدر، وساعة الإجابة يوم الجمعة، وساعة الإجابة في الليل، ليجتهد الناس في الطلب) (١).

(١) [القول المفيد: ١٢٧/٢].وانظر أيضا:[١٦١/٢] .





٣- أسماء الله توقيفية:

قال أبو القاسم القشيري:

(الأسماء تؤخذ توقيفيا من الكتاب والسنة والإجماع)[١]

قال السفاريني في نظمه[٢]:

لكنها في الحق توقيفية لنا بذا أدلة وفية

يقول الشيخ ابن باز:

(وأسماء الله توقيفية لا يجوز إثبات شيء منها إلا بالنص من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة ولا يجوز إثبات شيء منها بالرأي كما نص على ذلك أئمة السلف الصالح)[٣].

يقول الشيخ ابن عثيمين:

(ولكن إذا قال قائل: هل الصفات توقيفية كالأسماء أو هي اجتهادية، بمعنى أنه يصح لنا أن نصف الله تعالى بشيء لم يصف به نفسه؟

فالجواب أن نقول: إن الصفات توقيفية على المشهور عند أهل العلم، كالأسماء، فلا نصف الله إلا بما وصف به نفسه)[٤].

---

(١) [فتح الباري لابن حجر: ٢١٧/١١].

(٢) [انظر لوامع الأنوار البهية: ١٢٤/١].

(٣) [التعليق على متن الطحاوية لابن باز: صـ٦].

(٤) [شرح العقيدة الواسطية: صـ٩٠-٩١].



٤- اتفاق الأسماء لا يقتضي تماثل المسميات:

يقول الشيخ ابن عثيمين :

(إننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية فنشاهد أن للإنسان يداً ليست كيد الفيل وله قوة ليست كقوة الجمل مع الاتفاق في الأسماء فهذه يد، وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة) (١).

فقد سمى الله نفسه حيا، فقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وسمى بعض عباده حيا، فقال:﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ [الروم:١٩]

وسمى نفسه سميعا بصيرا فقال:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء:٥٨].

وسمى بعض عباده سميعا بصيرا ، فقال:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان:٢].

وسمى نفسه بالرءوف الرحيم فقال:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٤٣].

وسمى بعض عباده بالرءوف الرحيم ، فقال:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨].

وسمى نفسه بالملك فقال:﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر:٢٣] .

وسمى بعض عباده بالملك ، فقال:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾ [يوسف:٥٠].

وسمى نفسه بالعزيز فقال:﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ﴾ [الحشر:٢٣] .

---

(١) [القواعد المثلى لابن عثيمين: صـــ٣٥] .



وسمى بعض عباده بالعزيز، فقال:﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ [يوسف:٥١] .

وهكذا كثير من الآيات في القرآن.

ومعلوم أن أسماء الله وصفاته تخصه وتليق به، وأسماء المخلوقين تخصهم وتليق بهم.

٥- أسماء الله بين التباين والترادف:

يقول الشيخ ابن عثيمين :

(إن أسماء الله مترادفة متباينة .

المترادف: ما اختلف لفظه واتفق معناه .

والمتباين: ما اختلف لفظه ومعناه .

فأسماء الله مترادفة باعتبار دلالتها على ذات الله عز وجل لأنها تدل على مسمى واحد، فالسميع، البصير، العزيز، الحكيم، كلها تدل على شيء واحد هو الله .

ومتباينة باعتبار معانيها، لأن معنى الحكيم غير معني السميع وغير معني البصير، وهكذا) [1].

فالأسماء الدالة علي مسمي واحد نوعان:

١- أن يدل عليه باعتبار الذات فقط فهذا النوع هو الترادف ترادفاً محضاً وهذه: كالحنطة والقمح والبر.

٢- أن يدل علي ذات واحدة باعتبار تباين صفاتها كأسماء الله تعالى ... فهذا النوع مترادف بالنسبة إلي الذات متباين بالنسبة إلي الصفات.

- فالرحمن والقدير والسميع والبصير والعليم أسماء تدل علي ذات واحدة وهي ذات الله عز وجل باعتبار صفات متعددة وهي الرحمة والقدرة والسمع والبصر والعلم.



(١) [القول المفيد: ٢/٨٤].

- فمن جعل الأسماء كلها مترادفة كالمعتزلة جعلها أعلاما محضة لا تتضمن صفات فقالوا:

رحيم بلا رحمة وقدير بلا قدرة، وسميع بلا سمع، وهذا من أبطل الباطل.

فالداعي يقول:

يا غفور يا رحيم اغفر لي، يا عزيز يا جبار انتقم من أعدائي .

ولا يقول بحال:

يا غفور يا رحيم انتقم من عدوي ولا يا عزيز يا جبار اغفر لي ذنبي.



٦- أسماء الله بين الإفراد والاقتران:

فأسماء الله تعالى على نوعين:

١. **منها ما يطلق مفردا أو مقترناً بغيره:**

وهو غالب الأسماء الحسنى مثل: السميع- البصير- القدير- العليم- الخبير- الحكيم، وتأتي مقترنة مثل: السميع البصير- العليم الخبير- الحكيم العليم.

٢. **ومنها مالا يطلق عليه بمفرده بل مقروناً بمقابله:**

وهو القليل مثل: الأول والآخر، والظاهر والباطن، والقابض والباسط.

لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه الأسماء بما يقابله، فهو سبحانه له الكمال. ومقتضى الكمال في هذه الأسماء هو الاقتران، فلو قلت: يا باطن، أو يا قابض أو أخبرت بذلك لم تكن مُثنياً عليه ولا حامداً له حتى تذكر مقابله، فهذه الأسماء المزدوجة تجري مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض.

يقول الشيخ حافظ الحكمي:

(واعلم أن من أسماء الله مالا يطلق عليه إلا مقترنا بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصا تعالى الله عن ذلك فمنها المعطي المانع والضار النافع والقابض الباسط)[(١)].

يقول الشيخ ابن عثيمين:

(فإذا قال القائل: هل هذه الأسماء متلازمة، بمعنى أنك إذا قلت الأول فلابد أن تقول الآخر أو يجوز فصل بعضها عن بعض؟ فالظاهر أن المتقابل منها متلازم، فإذا قلت: الأول فقل: الآخر، وإذا قلت: الظاهر فقل: الباطن لئلا تفوت صفة المقابلة الدالة على الإحاطة)[(٢)].

---

(١) [معارج القبول: ١/٦٥].

(٢) [شرح العقيدة الواسطية: صــ١١٨].



٧- أسماء الله بين الحقيقة والمجاز:

يقول ابن القيم :

(اختلف النظار في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العبد كالحي والسميع والبصير والعليم والقدير والملك ونحوها .

فقال طائفة من المتكلمين: هي حقيقة في العبد مجاز في الرب وهذا قول غلاة الجهمية وهو أخبث الأقوال وأشدها فساداً.

مُقابله: وهو أنها حقيقة في الرب مجاز في العبد وهذا قول أبي العباس الناشي[(١)].

أنها حقيقة فيهما: وهذا قول أهل السنة وهو الصواب، فاختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجهما عن كونهما حقيقة فيهما وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله وللعبد منها ما يليق به)[(٢)]

يقول ابن تيمية:

(ولو كانت أسماء اللّه وصفاته مجازًا يصح نفيها عند الإطلاق، لكان يجوز أن اللّه ليس بحي، ولا عليم، ولا قدير ، ولا سميع، ولا بصير، ولا يحبهم ولا يحبونه، ولا استوى على العرش، ونحو ذلك.

ومعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز إطلاق النفي على ما أثبته اللّه تعالى من الأسماء الحسنى والصفات، بل هذا جحد للخالق وتمثيل له بالمعدومات.

وقد قال أبو عمر بن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها علي الحقيقة لا على المجاز) [(٣)].

---

(١) من شيوخ المعتزلة: انظر مجموع الفتاوى: [١٤٦/٩] ، [٤٤١/٢٠].

(٢) [بدائع الفوائد: ١٨٢/١].

(٣) [مجموع الفتاوى : ٢٦٤/٣] .



يقول الشيخ ابن باز:

(وقد أجمع سلف الأمة على وجوب الإيمان بكل بما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ الصحيحة من الأسماء والصفات، وإمرارها كما جاءت، والإيمان بأن الله سبحانه موصوف بها على الحقيقة لا على المجاز على الوجه اللائق به لا شبيه له في ذلك، ولا ند له، ولا كفوا، ولا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه، وهو الموصوف بمعانيها كلها علي الكمال المطلق الذي لا يشابهه فيها أحد كما تقدم في قوله عز وجل:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]) (١)

(١) [مجلة التوحيد العدد ٣ السنة الخامسة والعشرين لسنة ١٤١٧ صـــ:٢٤].

٨- قاعدة في بيان دلالات الأسماء:

للاسم ثلاث دلالات:

١- دلالة المطابقة.

٢- دلالة التضمن.

٣- دلالة الالتزام.

فدلالات أسماء الله ثلاث:

١- دلالة على الذات والصفة مجتمعين [دلالة مطابقة].

٢- دلالة على الذات وحدها أو الصفة وحدها [دلالة تضمن].

٣- دلالة على الصفات التي لم تشتق منها [دلالة اللزوم] .

مثال اسم [**الرحمن**] :

١- يدل على الذات وصفة الرحمة بالمطابقة.

٢- يدل على الذات وحدها أو صفة الرحمة وحدها بالتضمن.

٣- يدل على غيرها من الصفات كالحياة والقدرة ... باللزوم.

يقول ابن تيمية:

(وهذا كما أن كل اسم من أسماء اللّه، فإنه يستلزم معنى الآخر، فإنه يدل على الذات، والذات تستلزم معنى الاسم الآخر، لكن هذا باللزوم، وأما دلالة كل اسم على خاصيته وعلى الذات بمجموعها فبالمطابقة، ودلالتها على أحدهما بالتضمن)[١].

(١) [مجموعة الفتاوى: ٢٥٤/١٠] .



٩- قاعدة في أنواع الإخبار عن الله:

(أولاً: ما يجري خبرا عن الله أقسام:

١. ما يرجع إلى نفس الذات: كقولك: ذات وموجود وشيء.

٢. ما يرجع إلى صفات معنوية: كالعليم والقدير والسميع.

٣. ما يرجع إلى أفعاله سبحانه: كالخالق والرزاق.

٤. ما يرجع إلى التتريه المحض: كالقدوس والسلام.

٥. وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد نحو المجيد العظيم الصمد

٦. صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو : الغني الحميد ، العفو القدير) (١).

ثانيا: الفرق بين الأسماء الحسنى، وما كان على سبيل الإخبار عن الله:

١- أن ما يدخل في باب الإخبار أوسع مما يدخل في باب الأسماء لأن التوقيف شرط في الأسماء الحسنى وليس بشرط في الإخبار عن الله.

يقول ابن القيم:

(ما يُطلق عليه-سبحانه- في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يُطلق عليه من الإخبار لا يجب أن يكون توقيفيا كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه: هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها ما لم يرد به السمع؟) (٢).

---

(١) انظر [بدائع الفوائد: ١٨٠/١].

(٢) [بدائع الفوائد: ١٣٢/١].



يقول الشيخ ابن عثيمين:

(وقد ذكرنا أن القديم ليس من أسماء الله الحسنى، وأنه لا يجوز أن يسمى به لكن يجوز أن يخبر به عنه، وباب الخبر أوسع من باب التسمية)[١]

٢- أن أسماء الله الحسنى يُدعى بها ويخبر بها عنه، أما الإخبار فيخبر بها ولا يُدعى بها، قال سبحانه:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠].

٣- إضافة الاسم للفظ التعبيد كقولنا: [عبد الرحمن] و [عبد الله] ولا يجوز التعبيد للإخبار، فلا يقال: [عبد الشيء] ولا [عبد الذات] .

٤- القَسَم لا يكون إلا باسم من أسماء الله، أو صفة من صفاته، فنقول: [والله] و [وعزة الله] ولا يجوز بالإخبار، فلا نقول: [والذات] أو [والشيء] أو [الموجود] .

يقول ابن تيمية :

(فهو سبحانه إنما يُدعى بالأسماء الحسنى كما قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها، ونحو ذلك، فقيل في تحقيق الإثبات بل هو ــ سبحانه ــ قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل: ليس بشيء، فقيل: بل هو شيء فهذا سائغ، وإن كان لا يُدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح كقول القائل: يا شيء، إذ كان هذا لفظًا يعم كل موجود، وكذلك لفظ: [ذات وموجود] ونحو ذلك، إلا إذا سمى بالموجود الذي يجده من طلبه كقوله: ﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ ﴾ [النور:٣٩] ، فهذا أخص من الموجود الذي يعم الخالق والمخلوق)[٢].

---

(١) [شرح العقيدة الواسطية: صـ٣٢٧].

(٢) [مجموعة الفتاوى: ٩/٣٠١] .



١٠- الفرق بين الأسماء والصفات:

أسماء الله تعالى:

كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله وما قام بها من القدرة والعلم والحكمة والسمع والبصر، فالاسم دال على أمرين ، والصفة دلت على أمر واحد .

ويقال : كل اسم متضمن للصفة وليس العكس ؛ فإن من الصفات مالا يستلزم أسماء كالصفات الخبرية مثل اليد والعين وغيرها.

وذكر الإمام ابن تيمية فرقاً مهماً؛ وهو أن الأسماء يُدعى بها، فيقال: [يا رحمن، يا رحيم] ، ولا يقال: [يا رحمة الله] فلا تُدعي الصفة، وإن جاز الدعاء بالصفة كقوله ﷺ: « **اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي** » [١] وفرق بين دعاء الصفة والدعاء بالصفة [٢].

يقول الشيخ ابن عثيمين:

(والله ﷻ موصوف بجميع صفاته فإذا عبدت صفة من صفاته لم تكن عبدت الله ﷻ لأن الله موصوف بجميع الصفات، وكذلك دعاء الصفة من الشرك مثل أن تقول: يا مغفرة الله اغفر لي، يا عزة الله أعزيني، ونحو ذلك) [٣].

---

(١) صحيح : رواه الإمام أحمد في [أول مسند الكوفيين:١٧٨٦١] والنسائي في [السهو :١٣٠٥] .

(٢) انظر [تفسير الطبري: ٣/٦٠٩].

(٣) [فتاوى العقيدة لابن عثيمين : صـ٢٣].



ثانياً : قواعد الصفات .

أولا: ذكر هذه القواعد إجمالا :

١- أقسام الصفات.

٢- بما تثبت الصفة أو تُنفى عن الله.

٣- القول في الصفات كالقول في الذات.

٤- القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

٥- لله صفات الكمال وله الكمال في الصفات.

٦- كل نفي عن الله إثبات لكمال ضده،وليس في النفي المحض صفة كمال.

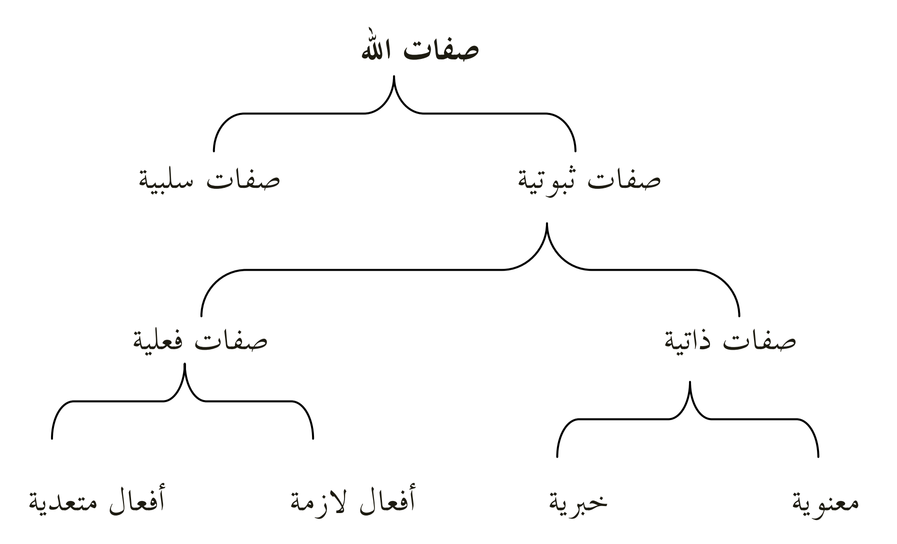
٧- التوقف في الألفاظ المبتدعة.





ثانيا: شرح القواعد:

١- أقسام الصفات:



وتفصيل ذلك:

١- **الصفات الثبوتية:** هي الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله ﷺ فيما صح عنه.

٢- **الصفات السلبية:** وهي الصفات التي نفاها الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فيما صح عنه، مثل:

قوله تعالى: ﴿ **لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ** ﴾ [البقرة:٢٥٥]

وقوله تعالى: ﴿ **لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى** ﴾ [طه:٥٢]

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف:٤٩]



وفي السنة: « **إن الله ليس بأعور** »[1] وعنه ﷺ : « إن الله لا ينام ولا ينبغي **له أن ينام** »[2] وعنه ﷺ :« **يا أيها الناس ارْبِعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبا** »[3] .

والصفات الثبوتية [ذاتية وفعلية] :

١- **والصفات الذاتية:** هي التي لم يزل الله ولا يزال متصفا بها.

أ- والمعنوية منها: مثل السمع والبصر والعلم.

ب- والخبرية منها: مثل الوجه واليد والعين.

٢- **الصفات الفعلية:** وهي التي تتعلق بمشيئته سبحانه إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها[4]. كالاستواء والنزول والمجيء.

أ- والأفعال اللازمة منها: كالاستواء والنزول والمجيء.

ب- والأفعال المتعدية منها: كالخلق والإعطاء والمنع.

تنبيه: قد تكون الصفة [ذاتية فعلية] ، فهي ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار آخر، مثل: [الكلام] فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية لأن الله لم يزل متكلما وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء سبحانه.

---

(١) رواه البخاري: [٦٨٥٨/ كتاب التوحيد/ باب: قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾] ، ورواه مسلم: [٢٩٣٣/ الفتن وأشراط الساعة/باب: ذكر الدجال وصفته وما معه]. واللفظ للبخاري .

(٢) رواه مسلم: [١٧٩/ كتاب الإيمان/باب: إن الله لا ينام] .

(٣) رواه البخاري: [٢٧٧٠/ كتاب الجهاد والسير/ باب: ما يكره من رفع الصوت في التكبير] ، ورواه مسلم: [٢٩٣٣كتاب الذكر/ باب: استحباب خفض الصوت بالذكر].

(٤) ولذلك يسميها بعض أهل العلم الصفات الاختيارية.



٢- بما تثبت الصفة أو تنفى عن الله:

أولاً: بما تثبت الصفة:

تثبت الصفة بالكتاب والسنة اتفاقا.

(ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

١- التصريح بالصفة:

كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين ونحوهم.

٢- تضمن الاسم لها:

مثل الغفور متضمن المغفرة، والسميع متضمن للسمع ونحو ذلك.

٣- التصريح بفعل أو وصف دال عليها:

كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة والانتقام من المجرمين الدال عليها على الترتيب قوله تعالى:

﴿ **ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ** ﴾ [طه:٥] .

وقول النبي ﷺ: « **يترل ربنا إلى السماء الدنيا** ... الحديث » [١].

وقول الله تعالى:﴿ **وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا** ﴾ [الفجر:٢٢] .

وقوله تعالى:﴿ **إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ** ﴾ [السجدة:٢٢]) [٢].

(١) رواه البخاري: [١٠٧٧/ كتاب الجمعة/ باب: الدعاء في الصلاة من آخر الليل] ، ورواه مسلم: [١٢٦١/ كتاب صلاة المسافرين/باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل].

(٢) [القواعد المثلى لابن عثيمين: صـ٣٨].



ثانياً: بما تنفى الصفة عن الله:

ولنفي الصفة طريقان:

١- **النص من الكتاب والسنة الصحيحة**: كقوله تعالى: ﴿**لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**﴾ [البقرة:٢٢٥] ، وفي الحديث الصحيح : « **إن الله ليس بأعور** » (١)

٢- **أن يتنافى مع ما أثبته نص آخر من الكمالات:**

مثل ما جاء في رواية من حديث قصة موسى والخضر عليهما السلام، وهو عن ابن عباس عن أُبي بن كعب عن النبي ﷺ ، وفيه:

« **يا موسى ما نقص علمي وعلمُك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر** » .

(ومن المعلوم أن نفس علم الله القائم بنفسه لا يزول منه شيء بتعلم العباد وإنما المقصود: أن نسبة علمي وعلمك إلى علم الله كنسبة ما علق بمنقار العصفور إلى البحر) (٢).

ويؤيد ذلك ما ورد في بقية الروايات ومنها:

« **ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره** » (٣).

ورواية: « **والله ما علمي وما علمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر** » (٤).

---

(١) صحيح: وقد سبق تخريجه .

(٢) [مجموع الفتاوى لابن تيمية:١٨/١٩٧-١٩٨].

(٣) رواه البخاري: [٤٣٥٨/ كتاب: تفسير القرآن / باب: فلما جاوزا قال لفتاه] .

(٤) رواه البخاري: [٤٣٥٧/ كتاب تفسير القرآن / باب: قوله فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما] .



٣- القول في الصفات كالقول في الذات:

وهذه القاعدة من أنفع القواعد وأجلها في باب الأسماء والصفات وهي جواب لمعطلة الصفات كاف شاف لمن تدبرها، فمن أثبت لله ذاتاً، فنقول له: هل ذات الله كذوات المخلوقين؟ فسيقول لا، بل ذات تليق به، فنقول: وكذلك الصفات، صفات تليق بالله ليست كصفات المخلوقين، فالقول في الصفات كالقول في الذات.

يقول ابن تيمية :

(فإذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين فصفاته كذاته ليست كصفات المخلوقين) [(١)].

ويقول رحمه الله :

(ومعلوم أن هذه الصفات الثابتة لله لا تثبت له على حد ما يثبت للمخلوق أصلا وهو سبحانه وتعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١] لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فلا فرق بين إثبات الذات وإثبات الصفات، فإذا لم يكن في إثبات الذات إثبات مماثلة للذوات لم يكن في إثبات الصفات إثبات مماثلة له في ذلك) [(٢)].

ويقول – رحمه الله:

(إذ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات يُحتذى فيه حذوه ويتبع فيه مثاله) [(٣)].

(١) [مجموع الفتاوى: ٤٧/٣].

(٢) [مجموع الفتاوى: ١٠٠/٣].

(٣) [مجموع الفتاوى: ١٦٧/٣].



٤- القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر:

وهذه القاعدة رد على من زعم إثبات بعض الصفات ونفي بعضها كالأشاعرة والماتريدية والسالمية والكلابية وسيأتي تفصيل أقوال الفرق إن شاء الله في ذكر [الفرق في الأسماء والصفات] .

فنقول لهم جميعا:

أنكم أثبتم بعض الصفات، فهل هي صفات كصفات المخلوقين؟

فسيقولون ولا شك: لا ؛ بل هي صفات تليق بالله .

فنقول: وكذلك بقية الصفات لا تشبه صفات المخلوقين بل هي صفات تليق بالله ، فالقول في بعض الصفات كالقول في البعض الأخر.

وقد جمع الإمام ابن تيمية بين هذه القاعدة والقاعدة السابقة بقوله:

(إن القول في بعض صفات الله كالقول في سائرها، وأن القول في صفاته كالقول في ذاته، وأن من أثبت صفة دون صفة مما جاء به الرسول ﷺ مع مشاركة إحداهما الأخرى فيما به نفاها كان متناقضا) [١].

---

(١) [مجموع الفتاوى: ٥/٣٥١].





٥- لله صفات الكمال وله الكمال في الصفات:

يقول ابن تيمية: (فالرب تعالى موصوف بصفات الكمال التي لا غاية فوقها، متره عن النقص بكل وجه، ممتنع أن يكون له مثيل في شيء من صفات الكمال، فأما صفات النقص فهو متره عنها مطلقاً، وأما صفات الكمال فلا يماثله بل ولا يقاربه فيها شيء من الأشياء)(١)

فالصفات ثلاثة أنواع:

١- صفات كمال .

٢- وصفات نقص .

٣- وصفات لا تقتضي كمالاً ولا نقصاً .

والرب سبحانه موصوف بالقسم الأول متره عن القسمين الآخرين .

فصفاته سبحانه كلها كمال فهو موصوف من الصفات بأكملها وله من الكمال أكمله وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٠] وقال سبحانه: ﴿ **وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾[الروم:٢٧].

يقول ابن القيم :

(والعقل والوحي دلا على كماله سبحانه فإنه قد ثبت بالعقل الصريح والنقل الصحيح ثبوت صفات الكمال للرب سبحانه وأنه أحق بالكمال من كل ما سواه، وأنه يجب أن تكون القوة كلها له والعزة كلها له والقدرة كلها له والجمال كله له، وكذلك سائر صفات الكمال، وقام البرهان السمعي والعقلي على أنه يمتنع أن يشترك في الكمال التام اثنان، وأن الكمال التام لا يكون إلا لواحد، وهاتان مقدمتان يقينيتان

(١) [منهاج السنة لابن تيمية: ٢/ ٦٩]. [ط. دار الحديث] .



معلومتان بصريح العقل وجاءت نصوص الأنبياء مفصلة لما في صريح العقل إدراكه قطعاً، فاتفق على ذلك العقل والنقل) [1].

فلله صفات الكمال فلم تخرج صفة كمال إلا واتصف بها على وجه الكمال منها.

---

(١) [الصواعق المرسلة:١/١٠٨٠].



٦- كل نفي عن الله إثبات لكمال ضده وليس في النفي المحض صفة كمال:

فقوله تعالى: ﴿ **لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ** ﴾ [البقرة:٢٥٥] لكمال حياته وقيوميته.

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ** ﴾ [يونس:٦١] لكمال علمه.

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** ﴾ [ق:٣٨] لكمال قدرته.

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف:٤٩] لكمال عدله وغناه ورحمته.

وقوله تعالى: ﴿ **لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى** ﴾ [طه:٥٢] لكمال علمه وحفظه.

يقول ابن القيم:

(والمحمود لا يحمد على العدم والسكوت ألبتة إلا إذا كانت سلب عيوب ونقائص تتضمن إثبات أضدادهما من الكمالات الثبوتية و إلا فالسلب المحض لا حمد فيه ولا مدح ولا كمال ... فكل سلب في القرآن حمد الله به نفسه فلمضادته لثبوت ضده ولتضمنه كمال ثبوت ضده فعلمت أن حقيقة الحمد تابعة لثبوت أوصاف الكمال وأن نفيها نفي لحمده ونفي الحمد مستلزم لثبوت ضده) [(١)].

وللنفي في القرآن أسباب منها:

١- بيان عموم كماله في قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾. [الشورى:١١]

٢- نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون كقوله تعالى: ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** ﴾[الإخلاص:٣]، وقوله : ﴿ **وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** ﴾ [ق:٣٨]

٣- دفع توهم النقص في كماله مثل **قوله تعالى:** ﴿ **وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا** ﴾[البقرة:٢٥٥] ﴿ **وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ** ﴾ [الأنعام:١٤] .

---

(١) [مدارج السالكين لابن القيم: ١/٢٥].



٧- التوقف عن الألفاظ المبتدعة:

فالألفاظ المبتدعة في هذا الباب مثل: [الجهة- الحيز-الجسم- الأبعاض- الأعضاء ...] يجب التوقف في اللفظ لعدم ثبوت الدليل بالنفي والإثبات ويسأل صاحبه عن المعنى فإن وافق الشرع قبلناه وإن خالف رددناه.

يقول ابن تيمية :

(والأصل الذي يجب على المسلمين أن ما ثبت عن الرسول وجب الإيمان به، فيُصدق خبره ويُطاع أمره وما لم يثبت عن الرسول فلا يجب الحكم فيه بنفي ولا إثبات حتى يُعلم مراد المتكلم ويُعلم صحة نفيه أو إثباته، وأما الألفاظ المجملة فالكلام فيها بالنفي والإثبات دون الاستفصال يوقع في الجهل والضلال والفتن والخبال والقيل والقال، وقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء) [١].

ويقول - رحمه الله :

(والأقوال نوعان: فما كان منصوصا في الكتاب والسنة وجب الإقرار به على كل مسلم، وما لم يكن له أصل في النص والإجماع لم يجب قبوله ولا رده حتى يُعرف معناه) [٢].

يقول الشيخ ابن عثيمين:

(وما لم يرد إثباته ولا نفيه وجب التوقف في لفظه، فلا يثبت ولا ينفى لعدم ورود الإثبات والنفي فيه وأما معناه، فيفصل فيه، فإن أريد به حق يليق بالله تعالى فهو مقبول وإن أريد به معنى لا يليق بالله عز و جل وجب رده)[٣]

---

(١) [منهاج السنة لابن تيمية: ٢/ ٩٦].

(٢) [منهاج السنة لابن تيمية: ٢/ ٥٤].

(٣) [القواعد المثلى: صـــ٣٩].





ومثال ذلك [الجهة] ، **يقول** الشيخ **ابن عثيمين:**

(ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ الجهة، فلو سأل سائل:

هل نثبت لله تعالى جهة ؟

قلت له: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتاً ولا نفيا ويغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء .

وأما معناه: فإما أن يراد به جهة سفل ، أو جهة علو تحيط بالله ، أو جهة علو لا تحيط به.

فالأول: باطل لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

والثاني: باطل أيضا لأن الله تعالى فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته

والثالث: حق لأن الله تعالى فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته) [1].

---

(١) [القواعد المثلى: صـ٤٠].



ثالثا: مجمل اعتقاد السلف في الأسماء والصفات .

ومجمل اعتقاد السلف في الأسماء والصفات: الإيمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

يقول ابن تيمية:

(فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل)[١].

ويقول -رحمه الله:

(ثم القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون؛ لا يتجاوز القرآن والحديث قال الإمام أحمد رضي الله عنه: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث)[٢].

ويقول - رحمه الله:

(وجماع القول في إثبات الصفات: هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل، والتكييف والتعطيل)[٣].

---

(١) [مجموع الفتاوى: ٣/٣٧٣].

(٢) [مجموع الفتاوى: ٥/٢٦].

(٣) [مجموع الفتاوى: ٦/٢٥].





ويقول – رحمه الله:

(ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، يثبتون لله ما أثبته من الصفات وينفون عنه مماثلة المخلوقات، يثبتون له صفات الكمال و ينفون عنه ضروب الأمثال، ينزهونه عن النقص والتعطيل وعن التشبيه والتمثيل، إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ** ﴾ رد على الممثلة ﴿ **وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾ رد على المعطلة) (١).

وبيان ذلك كالآتي:

(١) [منهاج السنة لابن تيمية: ٢/ ٤٧-٤٨].



أولاً: التحريف:

والتحريف لغة:

الإمالة ومنه حرف القلم إذا أماله، وقيل: التغيير.

وحرف الكلام أي أماله عن صوابه وغيَّره، ومنه قوله تعالى:﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء:٤٦] أي يغيرون كلام التوراة الذي فيه صفات النبي ﷺ ليحولوا دون إيمان الناس.

اصطلاحاً:

العدول بالكلام عن وجهه المطلوب إلى غيره.

صور التحريف:

التحريف نوعان:

١- **تحريف اللفظ**: وهو تبديل الكلام، ومن جنسه تغيير الإعراب مثل قولهم: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء:١٤٦] بنصب لفظ الجلالة بدلاً من رفعه أي:

أن المتكلم هو موسى عليه السلام، وهذا النوع من التحريف قليل.

٢- **تحريف المعنى**: وهو صرف ظاهر اللفظ إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ لغير قرينة وهو شأن أهل البدع ويسمونه التأويل، كقولهم: استوى بمعني استولى، واليد بمعني القدرة وهكذا . ولقد وقع اليهود والنصارى في تحريف التوراة والإنجيل لفظاً ومعنى.

يقول الشيخ ابن عثيمين: (فأهل السنة والجماعة إيمانهم بما وصف الله به نفسه خال من التحريف؛ يعني تغيير اللفظ أو المعنى، وتغيير المعنى يسميه القائلون به تأويلا ويسمون أنفسهم بأهل التأويل) (١).

(١) [شرح الواسطية لابن عثيمين: صـــ ٥٤].





الفرق بين التأويل والتحريف :

١- أن التحريف أعم من التأويل، فالتحريف يكون للفظ والمعنى أما التأويل فلا يكون إلا للمعنى لذلك يقول أهل العلم: [التأويل المذموم تحريف للمعنى] .

٢- أن التحريف مذموم من كل وجه بذم القرآن له بخلاف التأويل فمنه الممدوح ومنه المذموم، والممدوح المقصود به التأويل بمعنى التفسير كقوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف:٦]

وقوله تعالى : ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف:١٠١] أي تعبير الرؤيا وتفسيرها[١]

ويأتي بمعنى عاقبة الأمر ومآله كما في قوله تعالى:﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ ﴾ [الأعراف:٥٣]

قال أهل التفسير: أي عاقبة أمره ووعيده وما يؤول إليه الأمر من البعث والحساب والجزاء .

ويأتي التأويل بالمعنى الاصطلاحى :

وهو ما كان الظاهر فيه غير مراد لدليل قوى واضح يدل عليه .

قال ابن الجوزي في المعنى الاصطلاحي:

(التأويل نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما تُرك ظاهر اللفظ)[٢].

---

(١) قال الراغب: [التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل] انظر [الإتقان : ٤/ ١٩٤] .

(٢) [زاد المسير ١/٤].



حكم التأويل:

يقول الشيخ ابن عثيمين:

(أن إنكار الصفات نوعان: ...

النوع الثاني إنكار تأويل: وهو أن لا يجحد بها ولكن يؤولها وهذا نوعان:

١- أن يكون لهذا التأويل مسوغ في اللغة العربية فهذا لا يوجب الكفر.

٢- أن لا يكون لهذا التأويل مسوغ في اللغة العربية فهذا موجب للكفر لأنه إذا لم يكن له مسوغ صار تكذيبا مثل أن يقول: ليس لله يد حقيقة ولا بمعنى النعمة أو القوة فهذا كافر؛ لأنه نفاها نفيا مطلقا فهو مكذب حقيقة ولو قال في قوله تعالى: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [المائدة:٦٤] المراد بيديه: السماوات والأرض فهذا كافر، لأنه لا يصح في اللغة ولا مقتضى الحقيقة الشرعية فهو منكر مكذب) [١].

---

(١) [فتاوى ابن عثيمين : فتوى ٨٧٩٩].





ثانياً: التعطيل:

التعطيل لغة:

التخلية والترك ، كقوله تعالى :﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ [الحج:٤٥] أي مخلاة متروكة.

التعطيل اصطلاحا:

هو إنكار ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

صور التعطيل:

للتعطيل صور عديدة منها:

١. التعطيل المحض وهو تعطيل المصنوع عن الصانع كتعطيل الدهرية والزنادقة.

٢. تعطيل الأسماء والصفات كما تقول الجهمية وملاحدة الباطنية والفلاسفة.

٣. إثبات الأسماء وتعطيل الصفات كقول المعتزلة: عليم بلا علم، سميع بلا سمع [(١)]

٤. تعطيل بعض الصفات وإثبات بعض كالأشاعرة يثبتون سبع صفات فقط.

٥. إثبات معظم الصفات وتعطيل الصفات الاختيارية كتعطيل الكلابية والسالمية ومن سلك مسلكهم من أهل التصوف

٦. إثبات الأسماء والصفات وتعطيل المعنى وهم المفوضة.

---

(١) يقول ابن تيمية : (وزعم ابن حزم أن أسماء الله تعالى لا تدل على المعاني فلا يدل عليم على علم ولا قدير على قدرة بل هي أعلام محضة.... وغلطه في ذلك بسبب أنه أخذ أشياء من أقوال الفلاسفة والمعتزلة عن بعض شيوخه ولم يتفق له من يبين له خطأه) . [منهاج السنة النبوية : ٢/٢٥٩] .



والمعطل يقع في أربعة محاذير هي(١):

١. ظن المعطل أن ظواهر النصوص تقتضي التشبيه.

٢. تعطيل الصفة بسبب هذا الفهم.

٣. تعطيل دلالات النصوص نفسها.

٤. تشبيه الله بالمعدومات والجمادات.

(فإن قلت: ما الفرق بين التعطيل والتحريف؟

قلنا: التحريف في الدليل والتعطيل في المدلول، فمثلاً:

إذا قال قائل: معنى قوله تعالى ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [المائدة:٦٤] ، أي بل قوتاه هذا محرف للدليل، ومعطل للمراد الصحيح، لأن المراد اليد الحقيقية، فقد عطل المعنى المراد، وأثبت معنى غير المراد. وإذا قال: بل يداه مبسوطتان، لا أدري! أفوض الأمر إلى الله، لا أثبت اليد الحقيقية، ولا اليد المحرف إليها اللفظ. نقول: هذا معطل، وليس بمحرف، لأنه لم يغير معنى اللفظ، ولم يفسره بغير مراده، لكن عطل معناه الذي يراد به، وهو إثبات اليد لله عز وجل) (٢).

(فالتحريف : هو نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح .أما التعطيل : فهو نفي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر، كفعل المفوض فكل محرف معطل وليس كل معطل محرفاً .

وقيل : التعطيل : نفى للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة .

وأما التحريف : فهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها) (٣).

---

(١) انظر [مجموع الفتاوى: ٣/٤٨-٥٠].

(٢) [شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين: صـ٥٧-٥٨].

(٣) انظر [شرح العقيدة الواسطية للفوزان وابن عثيمين وهراس: صـ٦٢] [ط . دار ابن الجوزي].





ثالثاً: التكييــــف

التكييف لغة :

اعتقاد الكيفية، وقيل تعيين الطريقة في الهيئة.

واصطلاحا:

التكييف هو أن يقول الإنسان بقلبه أو لسانه في كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، مما لم يرد به نص كمن يقول: إن الله يترل إلى السماء الدنيا كترولي من على دابتي ، أو أن يسأل عن كيفية الصفة مثل أن يقول: كيف استوى؟

صـــور التكييـــف:

للتكييف صورتان:

١. السؤال عن الصفات بكيف كأن يقول كيف يترل؟ كيف استوى؟

٢. اعتقاد كيفية لم ينص عليها الشرع.

يقول ابن تيمية :

(وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك في أنا لا نعلم كيفية استوائه كما لا نعلم كيفية ذاته ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته، وكذلك نعلم معنى الترول ولا نعلم كيفيته، ونعلم معنى السمع والبصر والعلم والقدرة ولا نعلم كيفية ذلك، ونعلم معنى الرحمة والغضب والرضا والفرح والضحك ولا نعلم كيفية ذلك) [١].

وهذا هو الفرق بين تفويض الكيفية وهو قول أهل السنة وبين تفويض المعنى وهو قول أهل البدع.

---

(١) [مجموع فتاوى:٥/٣٦٥].



يقول ابن تيمية:

(وتأويل الصفات الذي لا يعلمه إلا الله هو الحقيقة التي انفرد تعالى بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: الاستواء معلوم والكيف مجهول، فالاستواء معلوم يُعلم معناه ويُفسر ويترجم للغة أخرى وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى)[١]

---

(١) [مجموع فتاوى:٥/٣٤].

تنبيه: معنى قولنا بدون تكييف ليس معناه ألا نعتقد لها كيفية لكن المنفي علمنا بهذه الكيفية كيف هي.



رابعاً التمثيل:

التمثيل لغة:

ماثل الشيء: شابهه ، ومثل الشيء بالشيء تمثيلا شبهه به وقدره على قدره، المثل : الشبه والنظير.

التمثيل اصطلاحا:

ذكر الصفة مقيدة بمماثل كقولهم: يد فلان مثل يد فلان قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

(واعلم أن التعبير بنفي التمثيل أحسن من التعبير بنفي التشبيه، لوجوه ثلاثة:

أحدهما: أن التمثيل هو الذي نفاه الله تعالى في القرآن:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

الثاني : أنه ما من شيئين موجودين إلا و بينهما تشابه من بعض الوجوه ...

الثالث : أن الناس اختلفوا في معنى التشبيه، حتى جعل بعضهم إثبات الصفات تشبيها، فيكون المعنى: من غير تشبيه؛ أي بلا إثبات صفات على اصطلاحهم) (١)

يقول ابن القيم :

(الفرق بين إثبات حقائق الأسماء والصفات وبين التشبيه والتمثيل ما قاله الإمام أحمد ومن وافقه من أئمة الهدى: أن التشبيه والتمثيل أن تقول: يدُ كيدي، أو سمع كسمعي أو بصر كبصري ونحو ذلك) (٢).

---

(١) [القول المفيد: ٢/١٦٣].

(٢) [الروح لابن القيم: صـــ٢٥٢].



صور التشبيه: للتشبيه صورتان:

١. تشبيه المخلوق بالخالق كعباد المشايخ وعزير والشمس والطواغيت والأصنام.

٢. تشبيه الخالق بالمخلوق في الذات أو الصفات كما تقول المشبهة من أمثال هشام بن الحكم الرافضي وداود الجواربي وهشام الجواليقي.

يقول ابن أبي العز الحنفي:

(**التشبيه نوعان:**

تشبيه الخالق بالمخلوق وهذا الذي يتعب أهل الكلام في رده وإبطاله، وأهله في الناس أقل من النوع الثاني الذين هم أهل تشبيه المخلوق بالخالق كعباد المشايخ وعزير والشمس والقمر والأصنام والملائكة والنار والماء والعجل والقبور والجن وغير ذلك)[١]

ويقول –رحمه الله :

(قال إسحاق بن راهويه، من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم)[٢].

قال نعيم بن حماد:

(من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس ما وصف الله به نفسه ورسولُه تشبيها)[٣].

يقول ابن تيمية: (فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه)[١].

---

(١) [شرح الطحاوية: صــ٢١٧].

(٢) [شرح الطحاوية: صــ١١٨].

(٣) [شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: ٤٤٧/١]. [ط.دار البصيرة] .



(فإن قلت:ما الفرق بين التكييف والتمثيل؟

فالجواب: الفرق بينهما من وجهين:

الأول: أن التمثيل ذكر الصفة مقيدة بمماثل، فتقول يد فلان مثل يد فلان، والتكييف ذكر الصفة غير مقيدة بمماثل، مثل أن تقول: كيفية يد فلان كذا وكذا.وعلى هذا نقول: كل ممثل مكيف، ولا عكس.

الثاني: أن الكيفية لا تكون إلا في الصفة والهيئة، والتمثيل يكون في ذلك وفي العدد، كما في قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ** ﴾ [الطلاق:١٢] أي: في العدد)(٢)

ويقول ابن القيم :

لا شـــيء يـــشـــبهه تعالى كيف * يشبه خلقه ما ذاك في إمكان**

لكن ثـــبوت صفاته وكلامـــــه * وعلوه حـــقاً بـــلا نكـــران**

لا تجعلوا الإثبات تـــشـــبيها لـــه * يا فرقـــة الـــتشبيه والـــطغيان**

كم ترتقون بسلم الـــتـــنـــزيـــه * للتعطيل ترويجاً على العمـــيان**

فالله أكبـــر أن تكـــون صفاتـــه * كصفاتنا جل العظيم الـــشان**

هذا هـــو الـــتشبيه لا إثبـــات * أوصاف الكمال فـــما هما سيان(٣)**

---

(١) [مجموع الفتاوى : ١١٤/٥].

(٢) [شرح العقيد الواسطية: صـــ٧١].

(٣) [النونية لابن القيم: ٣٣٣/١].



رابعاً : ذكر أهم الفرق في باب الأسماء والصفات[1] .

ينبغي أن تعلم أن الفرقة الواحدة قد يكون لها أكثر من قول مبتدع في أبواب الدين ولكن سنتكلم بإذن الله عن الانحرافات في باب الأسماء والصفات فحسب.

والكلام سيكون عن [الجهمية- المعتزلة- الأشاعرة- الكلابية- المفوضة- المشبهة] . وسيكون باختصار لمناسبة المقام.

(١) انظر في نشأة الفرق وظهورها في الإسلام : [منهاج السنة النبوية: ٢٣٠،٢٣٣/٦] ، و [الصواعق المرسلة لابن القيم :١٤٧/١-١٥١]و [سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٣٦/١١] .





أولاً: الجهمية [1].

النسب:

تنسب الجهمية لجهم بن صفوان[2] السمرقندي أبو محرز الضال المبتدع قتله سالم بن أحوز صاحب شرطة نصر بن سيار.

وقد أخذ جهم مقالته عن جعد بن درهم[3]وجعد أخذها عن أبان بن سمعان، وأبان أخذها عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وطالوت أخذها عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ.

---

(١) انظر في مذهبهم: [مقالات الإسلاميين:١/٢٣٨] ، و [الفصل في الملل والنحل: ٤/٢٠٤] ، و [البرهان في عقائد أهل الأديان: ص١٧،١٨].

(٢) قال الذهبي في [ميزان الاعتدال:١/٤٢٦]: (الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئا، لكنه زرع شرا عظيما) ، وانظر ترجمته في [سير أعلام النبلاء: ٦/٢٦،٢٧].وابن حجر في [اللسان: ٢/٣٥٠] ، و [فتح الباري: ١٣/٣٥٨]. و [الأعلام:٢/١٤١].

(٣) مبتدع له أخبار في الزندقة ، قال عنه الذهبي: (مبتدع ضال قال بخلق القرآن وتوفي سنة ١١٨ هـ قتله خالد بن عبد الله القسري والي العراق) ، انظر [مجموع الفتاوى: ١٢/٣٥٠]. و[البداية والنهاية لابن كثير : ١٠/١٩] ، وترجم له الذهبي فى [السير : ٥/٤٣٣] .





قول الجهمية في الأسماء والصفات:

إنكار الأسماء والصفات وتعطيلها.

يقول ابن تيمية :

(كذلك الجهمية فإن أصل ضلالهم إنما هو التعطيل وجحد ما جاءت به الرسل عن الله – عز وجل– من أسمائه وصفاته) (١).

ويقول – رحمه الله :

(... ابتدعت الجهمية القول بنفي الصفات في آخر الدولة الأموية ويقال أن أول من ابتدع في ذلك هو الجعد بن درهم) (٢).

يقول ابن القيم:

جهم بن صفوان وشيعته الألى * جحدوا صفات الخالق الديان**

بل عطلوا منه السماوات العلى * والعرش أخلوه من الرحمن**

ونفوا كلام الرب جل جلاله * وقضوا له بالخلق والحدثان**

قالوا ليس لربنا من سمع ولا * بصر ولا وجه فكيف يدان**

وكذاك ليس لربنا من قدرة * وإرادة أو رحمة وحنان**

كلا ولا وصف يقوم به سوى * ذات مجردة بغير معان**

---

(١) [مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١١١/٢٠].

(٢) [منهاج السنة النبوية : ٨٠/٢] .





ثانياً: المعتزلة[١] .

النسب:

تنسب المعتزلة لواصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي الغزال[٢] .

سبب التسمية:

أن واصلاً كان تلميذا للحسن البصري- رحمه الله ، فلما تكلم في صاحب الكبيرة قال واصل: بل هو في مترلة بين المترلتين؛ أي: ليس بمؤمن ولا كافر واعتزل مجلس الحسن البصري، فقيل: اعتزلنا واصل، فسمو المعتزلة وأكمل القول من بعده عمرو بن عبيد[٣]فأحيا المذهب وشهره.

قول المعتزلة في الأسماء والصفات:

إثبات الأسماء وتعطيل الصفات .

فيقولون: سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وقدير بلا قدرة وهكذا .

فصارت الأسماء أعلاماً محضة غير متضمنة للصفات.

---

(١) [انظر الفرق بين الفرق: ٧٨-٧٩] ، [مقالات الإسلاميين: ٣٣٥/١] ، و [الملل والنحل للشهرستاني: ٥٤/١] . [ط. دار المعرفة] ، و [اعتقادات فرق المسلمين والمشركين:ص٢٧-٢٨].

(٢) [٨١هـ ـ ت ١٣١ هـ] ، انظر ترجمته فى [ميزان الاعتدال : ٣٢٩/٤] .و[لسان الميزان ٢١٤/٦] ، [وفيات الأعيان: ٧/٦-١١] ، و [شذرات الذهب: ١٨٢/١].

(٣) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد البصري كبير المعتزلة: توفي سنة ١٤٤هـ ، ترجم له الذهبي في [سير أعلام النبلاء: ١٠٤/٦] ، وانظر ترجمته فى [المجروحين : ٦٩/٢] و [وفيات الأعيان: ٤٦٠/٣] .



ثالثاً: الأشاعرة[1] .

النسب:

تنسب إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري[2].

فهو مؤسس المذهب غير أنه-رحمه الله- رجع عن مذهبه في آخر حياته واعتنق مذهب أهل السنة والجماعة كما قرر هو ذلك في كتابه [الإبانة عن أصول الديانة] وكتاب [مقالات الإسلاميين] ، وهما من آخر ما كتب-رحمه الله .

قول الأشاعرة في الأسماء والصفات:

إثبات الأسماء وإثبات سبع صفات مجموعة في قول الشاعر:

له الحياة والكلام والبصر * سمع إرادة وعلم واقتدار**

فهي : السمع والبصر والحياة والإرادة والعلم والقدرة والكلام النفسي .

ويعطلون بقية الصفات تحت مسمى تأويل الصفات وهو تحريف المعنى كما يسميه أهل السنة.

وقد شاركت الماتريدية اتباع أبي منصور الماتريدي[3]الحنفي الأشاعرة في إثبات بعض الصفات وتعطيل البعض الآخر غير أن الماتريدية أثبتت عشرين صفة والباقي عطلته.

---

(١) انظر [الملل والنحل : ٩٤/١] ، و[أصول الدين للبغدادي] ، وكتاب [موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود] .

(٢) هو أبو الحسن على بن اسماعيل الأشعري البصرى ولد بالبصرى [٢٧٠ هـ] وتوفي ببغداد [٣٣٤ هـ] انظر [سير أعلام النبلاء : ٨٥/١٥] ، و [شذرات الذهب :٣٠٣/٢].

(٣) انظر :[أبو المنصور الماتريدي وأراؤه الكلابية لعلي المغربي ، والماتريدية : لأحمد حربي ، والماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات : لشمس الأفغاني ، وانظر ترجمته فى [الأعلام ١٩/٧] و[طبقات الأصوليين : ١٨٢/١] .





رابعاً: الكلابية .

النسب:

تنسب الكلابية إلى أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب[١] وهو شيخ أبي الحسن الأشعري وعنه أخذ الكثير غير أن ابن كلاب أقرب لأهل السنة من أبي الحسن في مقالته الأولى وهي إثبات سبع صفات فقط.

قول الكلابية في الأسماء والصفات:

هو إثبات الأسماء والصفات وتعطيل الصفات الاختيارية الفعلية مثل: الترول والمجيء والاستواء وتأويلها بتأويلات شتى كما في مثل قوله تعالى:﴿ **وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ [الفجر:٢٢]. يقولون: أي: جاء أمر ربك.

وفي الحديث: « **يترل إلى السماء الدنيا** ... » [٢]، فيقولون: إن الله يترل ملكاً إلى السماء الدنيا وهكذا.

وقد وافق السالمية[٣]وبعض أهل التصوف وبعض أهل الحديث الكلابية في قولهم هذا.

---

(١) كان يلقب كلابا لأن كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته ، وأصحابه هم الكلابية لحق بعضهم بأبي الحسن الأشعري وكان يرد على المعتزلة وربما وافقهم في بعض قولهم ، أخذ عنه الكلام داود الظاهري . قاله الذهبي، وترجم له ابن النديم في [الفهرست :صـ ٢٣٠]، وانظر [طبقات الشافعية للسبكي : ٢/٢٩٩].

(٢) صحيح ، وقد سبق تخريجه.

(٣) أتباع أبي الحسن بن سالم صاحب سهل بن عبد الله التستري. انظر [الاستقامة لابن تيمية: صـ١١٨]، ويقول ابن تيمية : (وكذلك السالمية اتباع الشيخ أبى الحسن بن سالم هم فى غالب أصولهم على قول أهل السنة والجماعة لكن لما وقع فى بعض أقوالهم من الخطأ زاد فى الرد عليهم من صنف فى الرد عليهم قطعة مما قالوه من الحق) [منهاج السنة النبوية: ٢/٢٢٤] .



خامساً : المفوضة[١] .

النسب:

المفوضة ليست فرقة من الفرق بل هم بعض المنتسبين لأقوال السلف ويسميهم ابن تيمية : أهل التجهيل.

يقول ابن تيمية :

(وهم أهل التجهيل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وإتباع السلف يقولون: إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات ، ولا جبريل يعرف معاني الآيات ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك)[٢].

ويقول – رحمه الله :

(فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد)[٣].

يقول الشيخ الفوزان:

(ويعتقدون – أي أهل السنة- أن نصوص الأسماء والصفات من المحكم الذي يُفهم معناه ويفسر، وليست من المتشابه فلا يفوضون معناها كما ينسب ذلك إليهم من كذب عليهم أو لم يعرف منهجهم من بعض المؤلفين والكتاب المعاصرين)[٤]

قول المفوضة في الأسماء والصفات:

إثبات الأسماء والصفات وتعطيل المعني المراد من الصفة تحت دعوى التفويض، وكما ذكرنا من قبل فأهل السنة لا يفوضون المعنى ولكن يفوضون الكيفية.

---

(١) انظر [الشرح والإبانة على أصول الديانة لابن بطة ، تحقيق د. رضا بن نعسان معطي: صـــ ٢٥١].

(٢) [مجموع الفتاوى: ٣٤/٥].

(٣) [درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: ٢٠٥/١].

(٤) [مجموعة رسائل في التوحيد: صـــ٢٠٤].





سادساً: المشبهة:

النسب:

تنسب مقالة التشبيه لهشام بن الحكم الرافضي[١]وداود الجواربي[٢]وهشام الجواليقي[٣]ومحمد بن كرام السجستاني[٤].

قال الإمام أبو حنيفة :

(أتانا من خراسان ضيفان كلاهما ضالان: الجهمية والمشبهة)[٥]

يقول ابن تيمية:

(التمثيل منفي بالنص والإجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه) [٦]

قول المشبهة في الأسماء والصفات:

قول المشبهة من أشر الأقوال وأخبثها، وهو تشبيه أسماء الله وصفاته بأسماء المخلوقين وصفاقم تحت دعوى أن الله خاطبنا بما نعرف ونحن لا نعرف عن العين غير الجارحة ، وعن اليد إلا يد المخلوق ، ويزعمون أن ذلك هو ظاهر النص المراد فهمه والإيمان به.

---

(١) هو هشام بن الحكم أحد متكلمى الشيعة المتوفى سنة ١٩٠هـ قال بالتشبيه وادعى أن الباري جسم وله حد ونهاية وهو سبعة أشبار بشبر نفسه.انظر ترجمته في [سير أعلام النبلاء:٥٤٤/١٠]، وانظر كتاب [الفرق والمذاهب لابن كمال باشا تحقيق سيد باغجوان: صـ٨٢] و [الفهرست : ص ٢٢٣] .

(٢) داود الجواربي: ذكر الحافظ ابن حجر في [اللسان: ٢٧١/٣] أن ابن حزم ذكره في الملل والنحل، وحكى عنه أنه كان يزعم أن ربه لحم ودم على صورة الإنسان. وانظر [منهاج السنة النبوية : ٢٧٠/٢].

(٣) هو هشام بن سالم الجوالقي أحد متكلمي الشيعة المتوفي سنة ١٥٠هـ : أدعى أن الله تعالى في صورة الإنسان وله شعر أسود.وذكره الذهبي في [سير أعلام النبلاء: ٤٤٢/١٠]، و [الملل والنحل : ١٦٤/١-١٦٦] .

(٤) انظر [مقالات الإسلاميين: ٢٢٣/١] ، و [الملل والنحل :١٠٨/١] .

(٥) [مجموع الفتاوى لابن تيمية:٤٧٣/١٦].

(٦) [مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٦٧/٣].



يقول ابن تيمية:

(فالنافي معطل، والمعطل يعبد عدماً، والمشبه ممثل، والممثل يعبد صنماً، ومذهب السلف: إثبات بلا تمثيل وتتريه بلا تعطيل، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وهذا رد على الممثلة، وقوله:﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وهذا رد على المعطلة)[1]

(١) [مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٤٣٢/٣].



الفصل الثالث

توحيد الألوهية

أهم موضوعات الفصل :

١ – معنى توحيد الألوهية.

٢ – أدلة توحيد الألوهية.

٣ – أقسام توحيد الألوهية.



توحيد الألوهية

أولاً: معنى توحيد الألوهية .

(أ) لغة:

التوحيد: الإفراد كما بينا من قبل ، **والألوهية** : مصدر من الفعل أله – يأله – إلاهة وألوهة وألوهية؛ أي عبد، والتأله: التنسك والتعبد . إله: فعال، بمعنى مفعول مثل فراش بمعنى مفروش، فإله بمعنى مألوه؛ أي معبود، وكل ما اتُخِذ معبوداً إلهٌ عند مُتخذِه[١].

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

(فاعلم أن الإله؛ هو المعبود، هذا تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم فمن عبد شيئا فقد اتخذه إلها من دون الله)[٢].

(وليس [إله] اسم فاعل بمعنى [آله] كما زعم المتكلمون؛ أي بمعنى القادر على الاختراع)[٣].

قال ابن تيمية :

(فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع)[٤].

---

(١) انظر: [معجم مقاييس اللغة: ١٢٧/١]، و[تفسير ابن كثير: ١٩/١] ، و[تفسير الطبري: ٦٥/١]، و[تفسير الرازي: ٢٠٥/١]، و[النهاية في غريب الحديث والأثر: ٦٢/١]، و[لسان العرب: ٤٦٨/١٣]، و[الصحاح: ٢٢٣/٦]،

(٢) [مجموع الرسائل والمسائل النجدية: ١٦/٤].

(٣) [مجموع الفتاوى::٩٨/٣].

(٤) [مجموع الفتاوى: ٢٤٩/١٠].



ويقول – رحمه الله :

(والإله: هو المستحق للعبادة، فأما من اعتقد في الله أنه رب كل شيء وخالقه وهو مع هذا يعبد غيره فإنه مشرك بربه متخذ من دونه إلهاً آخر، فليست الإلهية هي الخلق أو القدرة على الخلق أو القدم كما يفسرها هؤلاء المبتدعون في التوحيد من أهل الكلام) (١).

يقول ابن القيم :

(فإن الإله هو الذي تؤلهه القلوب محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً) (٢).

يقول ابن رجب :

(الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل) (٣).

(ب) توحيدالألوهية اصطلاحا:

(إفراد الله بالعبادة قولاً وقصداً وفعلاً ، فلا يُنذر إلا له، ولا تقرب القرابين إلا إليه، ولا يدعى في السراء والضراء إلا إياه، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه) (٤).

وقيل: (إفراد الله تعالى بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب المشروع؛ كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة) (٥).

---

(١) [الفتاوى الكبرى: ٥/٢٥٠-٢٥١].

(٢) [إغاثة اللهفان: ١/٤٣] .

(٣) [تحقيق كلمة الإخلاص لابن رجب: صـ ٢٣-٢٤].

(٤) [فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي:صـ١٩٧].

(٥) قاله الشيخ صالح الفوزان نقلاً عن [مجموعة رسائل التوحيد: صـ ١٧٥].



ويسمى توحيد الألوهية وتوحيد العبادة والتوحيد العملي وتوحيد القصد والطلب:

(فتفرد الله تعالى وحده بالتأله والتعبد يسمى: توحيد الألوهية، ويسمى توحيد: العبادة، فباعتبار إضافته إلى الله هو توحيد ألوهية، وباعتبار إضافته إلى العابد هو توحيد عبادة) [1].

العبادة لغة:

(الخضوع والذل، والتعبيد: التذليل، والعبادة: الطاعة، والتعبد: التنسك) [2].

يقول أبو هلال العسكري: (العبادة: غاية الخضوع ولا تُستحق إلا بغاية الإنعام، ولهذا لا يجوز أن يُعبد غير الله تعالى ولا تكون العبادة إلا مع المعرفة بالمعبود) [3].

قال البغوي : (قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ أي نوحدك ونطيعك خاضعين ، والعبادة: الطاعة مع التذلل والخضوع، وسمي العبد عبداً لذلته وانقياده، يقال: طريق معبد: أي مذلل) [4].

العبادة اصطلاحاً :

باعتبار أصلها : كمال الحب مع كمال الخضوع والذل .

وباعتبار أفرادها : (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة) [1] قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة:٥].

---

(١) [شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين: صـ١٢].

(٢) [مختار الصحاح: مادة ع.ب.د.] .

(٣) [الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: صـ١٨٢].

(٤) [تفسير البغوي: ١/١٤].





والعبادة أنواع:

١. **اعتقادية:** وهي أساسها: وذلك أن يعتقد أنه الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر، وبيده النفع والضر، وأنه لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنه لا معبود بحق إلا هو، وغير ذلك مما يجب له من لوازم الإلهية.

٢. **ومنها لفظية:** وهي النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقد ما ذكر و لم ينطق بها لم يُحقن دمه ولا ماله ... ومن نطق و لم يعتقد حُقن ماله ودمه، وحسابه على الله، وحكمه حكم المنافقين.

٣. **وبدنية:** كالقيام والركوع والسجود في الصلاة، والصوم وأفعال الحج، والطواف وغيرها ...)[٢]

---

(١) [الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ٥/١٥٥].وانظر [مجموع الفتاوى: ١٠/١٤٩].

(٢) انظر: [تطهير الاعتقاد للصنعاني: صـ١٧-١٨] . [ط.مكتبة الزهراء] .



ثانياً أدلة توحيد الألوهية :

أدلة توحيد الألوهية في كتاب الله أكثر من أن تحصر ونذكر طرفاً من ذلك :

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف:١٤-١٥].

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٤-٢٥].

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٨]

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [الحج:٧١].

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٣].

﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الزمر:١٤-١٥].

﴿ الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ [هود:١-٢].





﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف:٥٩]

بل ما من سورة من سور القرآن إلا وفيها دعوة إلى توحيد الله وعبادته .

وأما السنة :

فلا حصر فيها لعدد الأحاديث التي ذكر فيها توحيد الألوهية .

وأشهرهذه الأحاديث حديث معاذ ﷺ حيث قال:

كنت رديف النبي ﷺعلى حمار، فقال:

« **يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟** »

قلت: الله ورسوله أعلم .

قال:

« **حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا** » (١).

(١) صحيح: وقد سبق تخريجه.



ثالثاً: أقسام توحيد الألوهية أو توحيد العبادة .

اشتهر للألوهية تقسيمان:

الأول: التقسيم الثنائي:

وهو تقسيم توحيد الألوهية باعتبار تقسيم العبادة إلى عبادة ظاهرة وباطنة .

١. العبادة الظاهرة: مثل الذبح والنذر والصلاة والطواف.

٢. العبادة الباطنة: مثل الحب والخوف والإنابة والتوكل.

الثاني: التقسيم الثلاثي: [المحبة – الطاعة – النسك]

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

يقول ابن كثير: (ومعنى قوله في الطاغوت: إنه الشيطان قوي جداً، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من:

- عبادة الأوثان
- والتحاكم إليها
- والاستنصار بها)[١].

يقول ابن القيم : (الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من :

- معبود
- أو متبوع
- أو مطاع)[٢].

(١) [تفسير ابن كثير: ٣٨/١].

(٢) من كتاب [القول المفيد لابن عثيمين: صـــ١٣].





ولا فرق بين التقسيم الأول والثاني، فإن [المحبة والنسك والطاعة] لا تخرج عن معنى العبادة. لأن العبادة مدارها على : [المحبة ، والذل والخضوع ، والانقياد] .

ولكن العلماء يذكرون هذه التقسيمات لا لترتيب أحكام ولكن لزيادة بيان أو رفع إشكال ، فعلى ذلك كل اصطلاح أو تقسيم لا يخالف مقتضى الشرع لا يمنع ما دام على سبيل الاصطلاح ، أما إن خالف مقتضاه مقتضى الشرع أو رتب صاحبه عليه حكما فلا يُقبل.



أولاً توحيد المحبة: (الولاء والبراء):

١- اعلم - رحمك الله- أن الولاية في القرآن جاءت على معنيين[1]:

أ. **ولاية من الله للعبد:**

ومنها قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ** ﴾ [البقرة:٢٥٧] .

وهي تنقسم إلى:

- **ولاية عامة:**

وهي الولاية على العباد بالتدبير والتصريف، وهذه تشمل المؤمن والكافر وجميع الخلق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ** ﴾[الأنعام:٦٢]

- **ولاية خاصة:**

أن يتولى الله العبد بعنايته وتوفيقه وهدايته، وهذه خاصة بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ** ﴾ [يونس:٦٢-٦٣] .

وهذه الولاية متعلقة بربوبية الله على عباده.

ب. **ولاية من العبد لله:** مثل قوله تعالى:﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ** ﴾ [المائدة:٥٦] .

وهذه الولاية متعلقة بألوهية الله على عباده، وهي المقصودة بتوحيد الولاء والبراء ؛ وهي : محبة الله أصالة ومحبة من يحب تبعا، ومعاداة أعدائه لزوماً .

---

(١) انظر معناه: [القول المفيد: ٢/١٢].





يقول ابن القيم :

(فكثير من الناس يرضى بالله ربا ولا يبغي ربا سواه لكنه لا يرضى به وحده وليا وناصرا بل يوالي من دونه أولياء ظنا منه أنهم يقربونه إلى الله وأن موالاتهم كموالاة خواص الملك وهذا عين الشرك، بل التوحيد : أن لا يتخذ من دونه أولياء ....

وهذا غير موالاة أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين فيه فإن هذا من تمام الإيمان ومن تمام موالاته فموالاة أوليائه لون واتخاذ الولي من دونه لون ومن لم يفهم الفرقان بينهما فليطلب التوحيد من أساسه فإن هذه المسألة أصل التوحيد وأساسه) (١).

(١) [مدارج السالكين: ٢/١٨١-١٨٢] باختصار.



٢ - الأدلة على توحيد المحبة [الولاء والبراء]:

أ- من القرآن:

قال تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة:٢٢].

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[الشورى:٩]

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:١٤].

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ۝٨٠ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٨٠-٨١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [التوبة:٢٣].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٤٤].



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١].

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [آل عمران:٢٨]

وقال سبحانه :

﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩].

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة:٥٥-٥٧].

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٧٦].

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة:٧١] .

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧]



﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود:٤٥-٤٦] .

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة:٤] .



ب– الأدلة من السنة:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** »[(١)].

وقال ﷺ: « **المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه** »[(٢)].

وقال ﷺ: « **ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته، ويُنتقص من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلما في موضع يُنتقص من عرضه و تنتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته**»[(٣)]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **المرء مع من أحب** »[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي** »[(٥)].

---

(١) رواه البخاري: [٥٥٥٢/كتاب الأدب/باب: رحمة الناس] ، ورواه مسلم: [٢٥٨٦/كتاب البر والصلة/ باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم] ، واللفظ للبخاري.

(٢) حديث حسن: رواه البخاري في [الأدب المفرد: صــ٧٠]، وأبو داوود: [٤٩١٨/كتــاب الأدب] . انظــر [صحيح الجامع الصغير: ح ٦٥٣٢] .

(٣) حديث حسن: رواه أبو داوود: [٤٨٨٤/كتاب الأدب] ، ورواه أحمد في [المسند: ٣٠/٤]، وحسنه الشــيخ الألباني: [صحيح الجامع: ح ٥٥٦٦].

(٤) رواه مسلم: [٢٦٣٩/كتاب البر والصلة/ باب: المرء مع من أحب].

(٥) رواه مسلم: [٢٥٦٦/كتاب البر والصلة/ باب: في فضل الحب في الله].



وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « **إن عباداً لله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى** »، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: « **هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس،**

ولا يحزنون إذا حزن الناس » وقرأ هذه الآية:﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [يونس:٦٢] » [(١)].

وقال ﷺ : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار** » [(٢)].

وعن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارا غير سر يقول: « **ألا إن آل أبي – يعني فلانا– ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين** » [(٣)].

وعن جبلة بن الحارث ﷺ أن النبيﷺ قال: « **إذا أويت إلى فراشك فاقرأ يأيها الكافرون حتى تمر بآخرها، فإنها براءة من الشرك** » [(٤)].

---

(١) صحيح الإسناد: رواه أبو داود: [٣٥٢٧/ كتاب البيوع].

(٢) رواه البخاري:[١٥/كتاب الإيمان/باب: حلاوة الإيمان]، وورواه مسلم: [٤٣/كتاب الإيمان/باب: بيان خصال من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان].

(٣) رواه البخاري:[٥٥٣١/ كتاب الأدب/ باب: تبل الأرحام ببلالها] ، وورواه مسلم: [٢١٥/كتاب الإيمان/باب: موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم] .

(٤) حسن: رواه أبو داود: [٥٠٥٥/كتاب الأدب]، والترمذي: [٣٤٠٠/كتاب الدعوات] ، وأحمد في [المسند :٤٥٦/٥] ، وورواه النسائي في [اليوم والليلة: ٨٠٥] ، والطبراني في [الكبير: ٢١٩٥] ، وحسنه الألباني: انظر [صحيح الجامع :٢٨٩].





وعن ابن مسعود ﷛ قال: قال رسول الله ﷺ: « **أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله** » [(١)].

وعن ابن عباس ﷛ قال: (من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تُنالُ ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا)[(٢)]

---

(١) حسن: أخرجه الطيالسي في [مسنده :١٠١/١] ، والحاكم والطبراني في [الكبير :٢٢٠/١٠] وفي [الصغير:٣٧٣/١] ، وأورده الألباني في [السلسلة الصحيحة: ح١٧٢٨] ،و[صحيح الجامع: ح٢٥٣٩] .

(٢) [حلية الأولياء لأبي نعيم: ٣١٢/١]، ومحمد بن نصر المروزي في [تعظيم قدر الصلاة: ٣٦٩]، و[المصنف لابن لابن أبي شيبة: ١٣/ ٣٦٨[، و[الزهد لابن المبارك: صــ١٢٠].



٣ – تعريف الولاء والبراء:

أ- التعريف اللغوي:

الولاء لغة:

(الواو واللام والياء : أصل صحيح يدل على القرب، وذلك أن الولاء والتولي أن يحصل شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما، أو يُستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة ومن حيث الولاية ...والولاية: النصرة ...، والولاء: الملك والقرابة والنصرة والمحبة...) (١)

البراء لغة:

(الباء والراء والهمزة: أصلان إليهما ترجع فروع الباب: أحدهما الخلق، يُقال: برأ اللهُ الخلقَ يبرؤهم برءاً، والباريء الله جل ثناؤه .

والأصل الآخر: التباعد عن الشيء ومزايلته، ومن ذلك: البرء وهو السلامة من السقم) (٢).

(وقال ابن الأعرابي: بريء إذا تخلص، وبريء: إذا تنزه وتباعد، وبريء إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى:﴿ **بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ** ﴾ **[التوبة:١]** أي إعذار وإنذار...) (٣)

يقول ابن تيمية : (**[الولاية]** ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد. وقد قيل: إن الولي سمي وليًا من موالاته للطاعات أي متابعته لها، والأول أصح. والولي القريب، فيقال: هذا يلي هذا، أي يقرب منه. ومنه قولهﷺ

(١) انظر [مقاييس اللغة: ١٤١/٦]، و[لسان العرب لابن منظور: ٤٠٦/١٥-٤١٤]، و[الصحاح للجوهري: ٢٥٢٨/١-٢٥٣١]، و[مفردات القرآن للأصفهاني: ص٥٣٣-٥٣٤] .

(٢) [مقاييس اللغة: ٢٣٦/١-٢٣٧]

(٣) [لسان العرب لابن منظور: ٣٣/١].





: « **ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذَكَر**[(١)] » ؛ أي لأقرب رجل إلى الميت ...

فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمره به وينهى عنه كان المعادى لوليه معاديًا له كما قال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ** ﴾ [الممتحنة:١]فمن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه، فلهذا قال: « **ومن عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة**[(٢)] »)[(٣)].

ب- الولاء والبراء اصطلاحا :

الولاء والبراء هو :

الحب والنصرة والاتباع لله وأوليائه ظاهرا وباطنا، والبغض والعداوة والبعدُ للشيطان وأوليائه ظاهراً وباطناً.

وقيل:

محبة الله أصالة ومحبة من يُحب تبعاً، ومعاداة أعدائه لزوماً مع ظهور ذلك على اللسان والجوارح عند الاستطاعة.

---

(١) رواه البخاري: [٦٢٤٠/كتاب الفرائض/باب: ميراث الجد مع الأب والأخوة] ، ورواه مسلم: [١٦١٥/ كتاب الفرائض /باب: ألحقوا الفرائض بأهلها].

(٢) رواه البخاري: [٦٠٢١/كتاب الرقاق/باب: التواضع] .

(٣) [مجموع الفتاوى: ١٦٠/١١] ، وانظر [منهاج السنة النبوية: ١٨٢/٥]. [ط . دار الحديث] .



٤ – صور الموالاة ومظاهرها:

تدور الموالاة حول ثلاثة أصول:[الحب – النصرة – الاتباع] .

(أ) الحب :

يقول ابن تيمية :

(والبراءة ضد الولاية، وأصل البراءة البغض وأصل الولاية الحب، وهذا لأن حقيقة التوحيد ألا يحب إلا اللّه، ويحب ما يحبه اللّه للّه، فلا يحب إلا للّه، ولا يبغض إلا للّه، قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة:١٦٥] والفرق ثابت بين الحب للّه والحب مع اللّه، فأهل التوحيد والإخلاص يحبون غير اللّه للّه، والمشركون يحبون غير اللّه مع اللّه، كحب المشركين لآلهتهم، وحب النصارى للمسيح، وحب أهل الأهواء رؤوسهم) [١].

ويقول- رحمه الله:

(فنفس محبته أصل لعبادته والشرك في محبته أصل الإشراك في عبادته) [٢].

(والمحبة أنواع:

الأول : محبة الله التي هي أصل الإيمان والتوحيد .

الثاني : المحبة في الله وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرها وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها .

الثالث : محبة مع الله، وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر وحجر وبشر وملك وغيرها، وهي أصل الشرك وأساسه .

---

(١) [مجموع الفتاوى: ١٠/٤٦٥].

(٢) [منهاج السنة النبوية: ٥/١٧١].





الرابع: وهو المحبة الطبيعية التي تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها،وهذه إذا كانت مباحة و أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب العبادات، وإن صدت عن ذلك وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات ،وإلا بقيت من أقسام المباحات)[1].

قال تعالى:﴿ **لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ** ﴾ [المجادلة:٢٢] .

يقول ابن تيمية :

(ونظائر هذا في غير موضع من القرآن، يأمر سبحانه بموالاة المؤمنين حقا، الذين هم حزب الله وجنده، ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكافرين، ولا يوادونهم)[2].

ويقول- رحمه الله:

(فإن المؤمنين أولياء الله، وبعضهم أولياء بعض، والكفار أعداء الله، وأعداء المؤمنين. وقد أوجب الموالاة بين المؤمنين، وبين أن ذلك من لوازم الإيمان ، ونهى عن موالاة الكفار، وبين أن ذلك منتف في حق المؤمنين، وبين حال المنافقين في موالاة الكافرين فأما موالاة المؤمنين فكثيرة كقوله تعالى:

﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ** ﴾. [المائدة:٥٥-٥٦]

---

(١) [القول السديد: عبد الرحمن ناصر السعدي: صــ٨٩] .

(٢) [اقتضاء الصراط المستقيم: صــ٤٨]. [ط.دار الحديث] .



وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٞ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾.[الأنفال:٧٢-٧٥] .

وقوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.[المائدة:٧٨-٨١]

فذم من يتول الكفار من أهل الكتاب قبلنا، وبين أن ذلك ينافي الإيمان:

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذٗا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾. [النساء:١٣٨-١٤١] .





وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴾.[محمد:٢٥-٢٦] .

وبين أن موالاة الكفار كانت سبب ارتدادهم على أدبارهم؛ ولهذا ذكر في سورة المائدة أئمة المرتدين عقب النهى عن موالاة الكفار) [1].

---

(١) [مجموع الفتاوى: ٢٨/١٩٠-١٩٣] باختصار .



يقول ابن رجب :

(وإنما كانت هذه الخصلة: « **أن يحب المرء لا يحبه إلا لله** » تالية لما قبلها « **أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما** » لأن من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فقد صار حبه كله لله، ويلزم من ذلك أن يكون بغضه لله وموالاته له ومعاداته له، وألا تبقى له بقية من نفسه وهواه، وذلك يستلزم محبة ما حبه الله من الأقوال والأعمال وكراهة ما يكرهه من ذلك ، وكذلك من الأشخاص .

ويلزم من ذلك معاملتهم بمقتضى الحب والبغض، فمن أحبه لله أكرمه وعامله بالعدل والفضل، ومن أبغضه لله أهانه بالعدل، ولهذا وصف الله المحبين له بأنهم: ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ** ﴾[المائدة:٥٤] وكان من دعاء النبيﷺ: « **أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغني إلى حبك** » ، فلا تتم محبة الله ورسوله إلا بمحبة أوليائه وموالاتهم وبغض أعدائه ومعاداتهم)[1].

(١) [حلاوة الإيمان لابن رجب: صـ١٣-١٤]. [ط.دار المدائن].



ب- النصرة :

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٧٦]

﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾ [الأنفال:٧٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد:٧] .

﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٲمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٲتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۥۤ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٤٠] .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية** » (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل، فقتلة جاهلية** » (٢).

(والمقصود بالعصبية: التناصر بالحق والباطل لاشتراك المتناصرين بالنسب: أي نسب القبيلة أو السلالة أو الأسرة، وكان هذا المفهوم للعصبية هو الشائع عند العرب قبل الإسلام، فكان أفراد القبيلة ينصر بعضهم بعضاً في الحق وفي الباطل لانتسابهم إلى قبيلة واحدة، وقد أنكر الإسلام هذه العصبية وأمر بنبذها ... وذمُ العصبية في الإسلام لا يقف عند حد العصبية القائمة على أساس المشاركة في القبيلة أو الجنس وإنما

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود ، وضعفه الشيخ الألباني في تعليقه على [سنن أبي داود ح ٥١٢١] .

(٢) رواه مسلم: [١٨٤٨/كتاب الإمارة/باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن] .



تتعداها إلى كل عصبية قائمة على أي سبب آخر مادام جوهر العصبية موجوداً؛ وهو نصرة الغير بالباطل بسبب هذه المشاركة)[1].

ج- الاتباع :

لغة :

(مصدر اتبع، واتبع الشيء إذا سار في أثره وتلاه، والكلمة تدور حول معاني اللحاق والتطلب والاقتفاء والاقتداء والتأسي)[2].

واصطلاحاً هو:

الاقتداء والتأسي بالمتبوع سواء كان في الاعتقادات أو العبادات أو العادات أو المعاملات أو الأخلاق ، وضدها المخالفة وكل بحسبه.

قال تعالى:

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣]

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد:٣]

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣] .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ

---

(١) [أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان: صـ ١٠٦- ١٠٧] باختصار .

(٢) انظر [لسان العرب: ٤١٦/١-٤١٧]، و[المعجم الوسيط: ٨١/١].



﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾.[البقرة:١٦٥-١٦٧].

يقول ابن تيمية :

(والشرك قد تقدم أن أصله ترك المأمور به من عبادة الله واتباع الرسل) (١).

وقال سبحانه:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

[آل عمران:٣١] .

يقول ابن كثير :

(هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين المحمدي في كل أقواله وأفعاله) (٢).

يقول ابن القيم :

(﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبته لكم منتفية) (٣).

(١) [مجموع الفتاوى:٢٠/١١٤] .

(٢) [تفسير ابن كثير: ١/٣٥٨].

(٣) [مدارج السالكين: ٣/٢٢].



والأحاديث في النهي عن متابعة أهل الكتاب متواترة :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم** » ، قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: « **فمن؟** » (١).

يقول ابن تيمية :

(فمن كان من هذه الأمة موالياً للكفار من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة ونحوها: مثل إتيانه أهل الباطل، واتباعهم في شيء من مقالهم، وفعالهم الباطل، كان له من الذم والعقاب والنفاق بحسب ذلك) (٢).

ويقول – رحمه الله :

(والموالاة تقتضي الموافقة والمتابعة كما أن المعاداة تقتضي المخالفة والمجانبة، فمن وافقته مطلقا فقد واليته مطلقا، ومن وافقته في غالب الأمر فقد واليته في غالبها) (٣).

وفي الحديث: « **من تشبه بقوم فهو منهم** (٤) »(٥).

---

(١) رواه البخاري: [٣١٩٧/كتاب أحاديث الأنبياء/ باب: ما ذكر عن بني إسرائيل]. ورواه مسلم: [٢٦٦٩/ كتاب العلم/ باب: اتباع سنن اليهود والنصارى] .

(٢) [مجموع الفتاوى: ٢٨/٢٠١].

(٣) [مجموع الفتاوى:٢٠/٤٩٩].

(٤) (قد يُحمل هذا على التشبه المطلق فإنه يوجب الكفر ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يُحمل على أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً أو معصية أو شعارا لهما كان حكمه كذلك، وبكل حال يقتضي تحريم التشبه) . [اقتضاء الصراط المستقيم: صــ٧٨] [ط.دار الحديث]

(٥) حسن: رواه أبو داود: برقم: [٤٠٣١]، ورواه الترمذي في [كتاب اللباس: ٥/٢٢٩٥]، ورواه أحمد في [المسند: ٢/٥٠] ، وحسنه الشيخ الألباني في [صحيح الجامع: ح ٦٠٢٥].





يقول – رحمه الله :

(فالمشابهة والمشاركة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة)(١)

ويقول – رحمه الله :

(إن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة ... فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة، فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟ فإن إفضائها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد، والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان.

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٥١-٥٣].

وقال تعالى فيما يذم به أهل الكتاب:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٧٨-٨١].

---

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم: صـ١٨٨]. [ط.دار الحديث] .



فبين سبحانه وتعالى أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولايتهم، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم.

وقال سبحانه:

﴿ **لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المجادلة:٢٢] فأخبر سبحانه أنه لا يوجد مؤمن يواد كافرا، فمن واد الكفار فليس بمؤمن)[1].

---

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم: صـ١٨٩-١٩٠] .





قال ابن حزم :

(صح أن قوله تعالى:﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة:٥١] إنما هو على ظاهره بأنه كافر في جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين) (١)

يقول ابن كثير:

(وقوله تعالى:﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾؛ أي شك وريب ونفاق، ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ ؛ أي: يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر) (٢).

ويقول – رحمه الله :

(ومعنى قوله ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس؛ وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل) (٣).

---

(١) [المحلى:١٣/٣٥].

(٢) [تفسير القرآن العظيم لآية [المائدة :٥١] .

(٣) [تفسير ابن كثير: ٢/٣٣١] .



٥- مظاهر الموالاة الممنوعة:

مظاهرة الكافرين، وإعانتهم، والتجسس على المسلمين[١]، وإفشاء أخبارهم وأسرارهم، وكشف عوراتهم لأعداء الدين، والفرح لمصاب المسلمين والحزن لنصرهم، وتمني هزيمتهم، والسعي لذلك بالقلم والمال والنفس، والدعوة إلى خلع رابطة الولاء الديني، وجعل الولاء على أسس عرقية؛ مثل: الوطنية والقومية والفرعونية[٢].

يقول الشيخ ابن باز :

(الوجه الرابع من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية أن يقال: إن الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولا بد إلى رفض حكم القرآن؛ لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن، فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاما وضعية تخالف حكم القرآن، حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام، وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف، وهذا هو الفساد العظيم، والكفر المستبين والردة السافرة)[٣].

قال الشيخ الشنقيطي :

(ومن هدي القرآن للتي هي أقوم؛ هديه إلى أن الرابطة التي يجب أن يعتقد أنها هي التي تربط بين أفراد المجتمع، وأن ينادى بالارتباط بها دون غيرها إنما هي دين الإسلام. لأنه هو الذي يربط بين أفراد المجتمع حتى يصير بقوة تلك الرابطة جميع

---

(١) انظر حكم الجاسوس: [زاد المعاد: ٤٢٢/٣] ، وتفسير القرطبي: سورة [الممتحنة: ١]، و[الصارم المسلول] و[أقضية الرسول لابن فرج المالكي: صـ٢٥] ، و[الولاء والبراء للقحطاني: صـ٢٤٢].

(٢) قال أحد المستشرقين في كتاب [الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته]: (إننا في كل بلد إسلامية دخلناه نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد مسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام ولكن يكفينا تذبذب ولاؤه بين الإسلام وبين تلك الحضارات). نقلا عن كتاب: [الدولة العثمانية للدكتور علي محمد محمد الصلابي: صـ٥٨٢].

(٣) [نقد القومية العربية لابن باز: صـ٥٠].



المجتمع الإسلامي كأنه جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [(١)].

(فالرابطة الأساسية بين المسلمين جميعا إنما هي العقيدة، والمسلمون أمة واحدة دون الناس، لا اختلاف بين الأجناس أو الألوان أو اللغات) [(٢)].

ومن مظاهر الموالاة: الدعوة إلى وحدة الأديان، ورفع شعار: [الدين لله، والوطن للجميع] ليذوب معنى:﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ و« **المسلم أخو المسلم** ».

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: [١٤٥/١] .

(... من لم يفرق بين اليهود والنصارى وسائر الكفرة وبين المسلمين إلا بالوطن وجعل أحكامهم واحدة فهو كافر)

(فالدعوة إلى وحدة الأديان والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد دعوة خبيثة ماكرة والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجر أهله إلى ردة شاملة ...

ومن آثار هذه الدعوة الآثمة: إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النُفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله ...

والدعوة إلى وحدة الأديان إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد فترضى بالكفر بالله عز وجل، وتُبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان.

---

(١) [أضواء البيان: ٤٠١/٣].

(٢) [التاريخ الإسلامي للشيخ محمود شاكر: ١٦/٨].



وبناءً على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع)[١].

(فمن الموالاة العملية التي تناقض الإيمان :إقامة مؤتمرات وتنظيم ملتقيات من أجل تقرير وحدة الأديان وإزالة الخلاف العقدي وإسقاط الفوارق الأساسية فيما بين تلك الديانات وذلك من أجل توحيد هذه الملل المختلفة على أساس الاعتراف بعقائدهم وصحتها وقد يطلقون على هذه الوحدة المزعومة بين الديانات الثلاثة [الإسلام واليهودية والنصرانية] ما يسمى بالديانة الإبراهيمية أو الديانة العالمية وقد نشأت هذه الدعوات المضللة في أحضان التنصير والصهيونية العالمية كما أن للبهائية مشاركة في إيجاد دين يوافق عليه الجميع)[٢].

ومن ذلك: التجمع تحت أحزاب وكيانات تشترط أن يكون الاجتماع لا على أساس الدين كالماسونية ونوادي الروتاري[٣]والليونز[٤].

---

(١) من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برقم: [١٩٤٠٢] ، و[فتاوى علماء البلد الحرام: صـ٧٦] [ط.دار ابن الهيثم] باختصار.

(٢) قاله : الشيخ عبد العزيز العبد اللطيف: [النواقض القولية والعلمية: ص ٣٧٧] .

(٣) (**الروتاري** :جمعية ماسونية يهودية تضم رجال الأعمال والمهن الحرة، تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين العلاقات بين البشر وتشجيع المستويات الأخلاقية السامية في الحياة المهنية وتعزيز النية الصادقة والسلام في العالم، وكلمة روتاري كلمة إنجليزية معناها دوران أو مناوبة وقد جاء هذا الاسم لأن الاجتماعات كانت تنعقد في منازل أو مكاتب الأعضاء بالتناوب...

وقد اختارت النوادي شارة مميزة لها وهي العجلة المسننة علي شكل ترس ... أهم أفكارها عدم اعتبار الدين مسألة ذات قيمة لها في اختيار العضو ولا في العلاقة بين الأعضاء) انظر [الموسوعة الميسرة: ١/٥٣٢-٥٣٣]

(٤) (**الليونز** : مجموعة نواد ذات طابع خيري اجتماعي في الظاهر لكنها لا تعدو أن تكون واحدة من المنظمات العالمية التابعة للماسونية التي تديرها أصابع يهودية بغية إفساد العالم وإحكام السيطرة عليه، والليـــونز : أي الأسود (lions) وتدعو إلي فكرة الرابطة الإنسانية وإزالة العوائق بين البشر وتستمد جوهرها الحقيقي من الفكر الصهيوني ، وهو اسم يرمز إلي القوة والجرأة وحروف الكلمة بالإنجليزية كل منها يرمز لمعنى عندهم .





(حكم الانتماء للحركة الماسونية – قرار المجمع الفقهي :

وقد تبين للمجمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع ما اطلع عليه من كتابات ونصوص ما يلي:

١. إن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى على أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها.

٢. إنها تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري للتمويه على المغفلين؛ وهو الإخاء الإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب.

٣. إنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطريقة الإغراء بالمنفعة الشخصية على أساس أن كل أخ ماسوني مجند في عون كل أخ ماسوني آخر في أي بقعة من بقاع الأرض يعينه في حاجاته وأهدافه ومشكلاته ...

٤. إن الدخول فيها يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد تحت مراسم رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل في الرتبة.

٥. إن الأعضاء المغفلين يُتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية، وتستفيد من تكليفهم في الحدود التي يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا، أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد فترتقي مراتبهم تدريجيا في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة .

٦. إنها ذات أهداف سياسية، ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع في ظاهره أو خفية .



٧. إنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور، ويهودية الإدارة العليا العالمية، صهيونية النشاط.

٨. أنها في أهدافها الحقيقية السرية ضد الأديان جميعا، لتهدمها بصورة عامة وتهدم الإسلام في نفوس أبنائه بصورة خاصة.

٩. أنها تحرص على اختيار المنتسبين إليها من ذوي المكانة المالية، أو السياسية أو الاجتماعية أو العلمية أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذاً لأصحابها في مجتمعاتهم، ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها، ولذلك تحرص كل الحرص على ضم الرؤساء والوزراء وكبار موظفي الدولة ونحوهم.

١٠. أنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويها وتحويلاً للأنظار لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت مختلف الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة، من أبرزه: منظمة الأسود، والروتاري والليونز، إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التي تتنافى كليا مع قواعد الإسلام وتناقضه كلية...

لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى، وتلبيساتها الخبيثة، وأهدافها الماكرة، يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين، وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها، فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله، والله ولي التوفيق) (١).

(١) [فتاوى علماء البلد الحرام: صـــ٦٣-٦٤].





ومن مظاهر الموالاة: التجمع تحت أحزاب سياسية تفصل الدين عن السياسة كالعلمانية[(١)]، وشعارهم: [لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة] ، [ودع ما لقيصر لقيصر وما لله لله].

(فالانتماء إلى المذاهب الإلحادية كالشيوعية والعلمانية والرأسمالية وغيرها من مذاهب الكفر ردة عن دين الإسلام) [(٢)].

ومن ذلك: دعوى تقديم الواجب الوطني على الواجب الديني، فإذا تعارض عندهم الدين والوطنية، قدم ما فيه مصلحة للوطن – في ظنهم- حتى لو كان فيه محاداة لله ورسوله، ومحاربة لدينه وأوليائه.

(لذلك يقول قائلهم : لقد ربطت المآسي المشتركة بينهم – أي الشعب - بعاطفة وطنيه جعلتهم يرتفعون بمصلحة الجماعة فوق الاختلافات الدينية) [(٣)].

ومن ذلك: (كسر حاجز الولاء والبراء بين المسلم والكافر، وبين السني والبدعي، وهو ما يُسمى في التركيب المولد باسم: [الحاجز النفسي]، فيُكسر تحت شعارات مضللة: [التسامح]، و[تأليف القلوب]، [نبذ الشذوذ والتطرف]،و [

---

(١) **والعلمانية** : هي فصل الدين عن الدولة، ويُعرفها البعض بأنها: (الاقتصار على العقل البشـــري وخبراتـــه في إدراك حقائق الوجود وتصريف شئون الحياة) وقيل: (مدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الـــدين عـــن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه – أي الدين- حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج أو الوفاة ونحوها) انظر [الموســـوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : ٢/٦٧٩] [ط. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع]

(٢) قاله الشيخ صالح الفوزان: [مجموعة رسائل التوحيد: صـــ٢٨٦].

(٣) انظر : [قاسم أمين وتحريرالمرأة : صـــ ١١٣] [ط. دار الهلال] .



التعصب]، و[الإنسانية]، ونحوها من الألفاظ ذات البريق والتي حقيقتها [مؤامرات تخريبية]، تجتمع لغاية القضاء على المسلم المتميز وعلى الإسلام) [(١)].

ومن ذلك: تولية الكفار ما فيه سلطان على المسلمين، وتنصيبهم أمراء وقادة ومستشارين وبطانة من دون المؤمنين، والله يقول:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ** ﴾ [آل عمران:١١٨-119]

يقول ابن القيم :

(ولما كانت التولية شقيقة الولاية كانت توليتهم نوعا من توليهم، وقد حكم الله تعالى بأن من تولاهم فإنه منهم، ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم، والولاية تنافي البراءة فلا تجتمع البراءة والولاية أبدا، والولاية إعزاز فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبداً، والولاية صلة فلا تجامع معاداة الكافرين أبدا) [(٢)].

(وروى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري قال: قلت لعمر: لي كاتب نصراني، قال: ما لك – قاتلك الله–أما سمعت قول الله تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [المائدة:٥١] ، قلت: يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله) [(٣)].

---

(١) [هجر المبتدع للشيخ بكر أبو زيد: صـ٤]. [ط. مكتبة السنة] .

(٢) [أحكام أهل الذمة لابن القيم: ٢٤٢/١].

(٣) حسن: أخرجه البيهقي في [سننه الكبرى: ٢٠٤/٩] ، وفي [شعب الإيمان: ٤٣/٧] ، وذكر المناوي في [فيض القدير: ٣٥٠/٦]: أن ابن حجر حسنه .



ومن ذلك: طرح الاعتزاز بآداب الإسلام وأخلاقياته، والاعتزاز بكل ما يُتلقى عن الغرب الصليبي -وإن خالف الإسلام- باسم المدنية والتقدم أو الحضارة والرقي، أو باسم الموضة أو الفن أو تحت أي مسمى، وازدراء من تمسك بآداب الإسلام وهديه، ورميه بالتخلف والرجعية.

يقول الشيخ صديق حسن خان :

(مدح الكفار لكفرهم ارتداد عن دين الإسلام ومدحهم مجرداً عن هذا القصد كبيرة يعزَّر مرتكبها بما يكون زاجرا له ،وأما قوله : إنهم أهل عدل ، فإن أراد أن الأمور الكفرية التي منها أحكامهم القانونية عدل فهو كفر بواح صراح، فقد ذمها الله سبحانه وشنع عليها وسماها عتواً وعناداً وطغياناً وإفكاً وإثماً مبيناً وخسرانا مبينا وبهتانا، والعدل إنما هو شريعة الله التي حواها كتابه الكريم وسنة نبيه الرؤوف الرحيم)[١]

ومن ذلك: الاحتفال بأعياد المشركين وتسميتها أعيادا؛ كعيد الحب[٢]، وعيد شم النسيم، وعيد رأس السنة الميلادية، ومشاركة المشركين في ذلك، والفرح بها أكثر من الفرح بأعياد المسلمين.

قال أبو العالية وطاوس وابن سيرين والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم:في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ قالوا: (هي أعياد المشركين)[٣].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لا تعلموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا على المشركين كنائسهم يوم عيدهم، فإن السخطة تنزل عليهم)[١].

---

(١) من كتاب [العبرة فيما ورد في الغزو والشهادة والهجرة : صـ٢٤٦] .

(٢) انظر[مجلة البيان: العدد :٢٢١]. مقال باسم : [رؤية شرعية في عيد الحب]

(٣) [تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٣] ، و[معالم التنزيل للبغوي: ٩٨/٦] ، و[الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٥٤/١٣] ، وانظر [اقتضاء الصراط المستقيم:صـ ١٥٦ و صـ١٧٢]. [ط.دار الحديث] ، وانظر كلام ابن القيم في [أحكام أهل الذمة:٢٠٥/١] .



(فلا يجوز لمسلم التهنئة بأعياد الكفار، لأن ذلك نوع رضا بما هم عليه من الباطل، وإدخال للسرور عليهم.

يقول ابن القيم : وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثما عند الله، وأشد مقتا من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس، وارتكاب الفرج المحرم ونحوه. وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبدا بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه . أ.هـ) (٢).

ومن ذلك: حب الهجرة إليهم والاعتزاز بالتجنس بجنسيتهم، والافتخار بذلك، وفي الحديث: « **لا تساكنوا المشركين، ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا** » (٣).

قال ابن حزم:

(فصح بهذا أن من لحق بدار الكفر والحرب مختارا محاربا لمن يليه من المسلمين فهو بهذا الفعل مرتد له أحكام المرتد كلها... وأما من فر إلى أرض الحرب لظلم خافه ولم يحارب المسلمين ولا أعان عليهم، ولم يجد في المسلمين من يجيره فهذا لا شيء عليه لأنه مضطر مكره ... وإن كان إنما يقيم هناك لدنيا يصيبها وهو كالذمي لهم، وهو قادر على اللحاق بجمهرة المسلمين وأرضهم فما يبعد عن الكفر وما نرى له عذرا نسأل الله العافية، وليس كذلك من سكن في طاعة أهل الكفر من الغالية ومن

---

(١) [رواه البيهقي: ٢٣٤/٩] ، وعبد الرزاق في [مصنفه: ٤١١/١ – ١٦٠٨] .

(٢) [فتاوى علماء البلد الحرام: صـ٧٣].

(٣) [صحيح:رواه الحاكم في [المستدرك: ١٤١/٢] ، وقال: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في [صحيح الجامع: ح٨١٨٦] .





جرى مجراهم لأن أرض مصر والقيروان [يشير إلى العبيديين] وغيرهما فالإسلام هو الظاهر وولاتهم على كل ذلك لا يجاهرون بالبراءة من الإسلام بل إلى الإسلام ينتمون وإن كانوا في حقيقة أمرهم كفاراً، وأما من سكن في أرض القرامطة مختارا فكافر بلا شك لأنهم معلنون بالكفر وترك الإسلام – نعوذ بالله من ذلك-.

وأما من سكن في بلد تظهر فيه بعض الأهواء المخرجة إلى الكفر فهو ليس بكافر لأن اسم الإسلام هو الظاهر هنالك على كل حال من التوحيد والإقرار برسالة محمد ﷺ والبراءة من كل دين غير الإسلام، وإقامة الصلاة وصيام رمضان وسائر الشرائع التي هي الإسلام والإيمان، والحمد لله رب العالمين) (١).

ومن ذلك: الاستغفار لموتى المشركين أو الترحم عليهم أو وصفهم بالشهادة في سبيل الله.

يقول تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ [التوبة:١١٣]

يقول القرطبي:

(هذه الآية تضمنت قطع موالاة الكفار حيهم وميتهم فإن الله لم يجعل للمؤمنين أن يستغفروا للمشركين، فطلب الغفران للمشرك مما لا يجوز) (٢).

ومن ذلك: السخرية من اللغة العربية لغة القرآن، ومحبة لغة الأعاجم والتحدث بها والافتخار بذلك، وتقديم من يجيدها وإن كان عدوا لله ورسوله.

ومن ذلك التسمي بأسمائهم وهجر الأسماء الإسلامية والسخرية منها.

---

(١) [المحلى لابن حزم: ١٣٨/١٣].وانظر [النواقض القولية والعملية: صـ٣٦٩-٣٧٠].

(٢) [تفسير القرطبي: ٢٧٣/٨].



ومن ذلك الاهتمام بالتاريخ الميلادي أو القبطي، وإهمال وتأخير التاريخ الهجري، وجريان المرتبات والأجازات على هذا التاريخ الغربي.

فهذه بعض صور الموالاة الممنوعة، والمقصود من ذكرها التنبيه عليها ليحذرها كل مسلم وليحذر الناس منها، قال تعالى: ﴿ **وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ** ﴾[الأنعام:٥٥]

ومن الصور في التعامل ما لا يُعد موالاة، مثل: البيع والشراء والرهن فقد ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: « **أن رسول الله ﷺ اشترى من يهودي طعاماً إلى أجل ورهنه درعا من حديد** »[١] .

، والهبة والإجارة ، ففي الحديث الصحيح: « **استأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل، وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا – والخريت الماهر بالهداية–....وهو على دين كفار قريش** »[٢] .

وزواج المسلم من الكتابية، وأكل ذبيحة أهل الكتاب، ورد السلام عليهم ، والعدل في ذلك كله، وعدم ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة:٨] بالشروط والضوابط التي وضعها الفقهاء في كتب الفقه.

---

(١) رواه مسلم:[١٦٠٣/ كتاب المساقاة/ باب: الرهن وجوازه في الحضر والسفر].

(٢) رواه البخاري: [٣٦١٦/كتاب المناقب/ باب: هجرة النبي ﷺوأصحابه إلى المدينة] ، والمقصود بالرجل في الحديث: عبد الله بن أريقط الليثي. انظر [فتح الباري: ٢٣٨،٢٣٧/٧]. يقول ابن تيمية: (ألا ترى أن الكافر والظالم ومن يبغضه المؤمن قد يستأجر المؤمن على عمل يعمله فيعمل المؤمن لأجل ذلك العوض ولا يكون المؤمن محبا للكافر ولا للظالم إذا عمل له بعوض لأنه ليس مقصوده إلا العوض). [منهاج السنة: ٢٠٦/٥] .





وفي فتوى اللجنة الدائمة:

(موالاة الكفار التي يكفر بها من والاهم؛ هي محبتهم ونصرتهم على المسلمين لا مجرد التعامل معهم بالعدل ولا مخالطتهم لدعوتهم للإسلام، ولا غشيان مجالسهم والسفر إليهم للبلاغ ونشر الإسلام)[١].

(١) [فتاوى اللجنة الدائمة : فتوى رقم: ٦٩٠١] .



تنبيهات :

أولاً : أقسام الناس فيما يجب في حقهم من ولاء وبراء :

القسم الأول:

من يُحب محبة خالصة لا معاداة معها: وهم المؤمنون الخلص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

القسم الثاني:

من يُبغض ويُعادى بغضاً ومعاداة خالصة لا محبة ولا موالاة معها: وهم الكفار والمنافقون والمرتدون.

يقول ابن تيمية : (وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك. فإن اللّه ــ سبحانه ــ بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله للّه، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه، والإهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه.) [(١)].

القسم الثالث:

أن يجتمع في الشخص الواحد حب وبغض ، ولاء وعداء بحسب حاله.

يقول ابن تيمية :

(إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر) [(٢)]

(١) [مجموع الفتاوى: ٢٠٩/٢٨].

(٢) [مجموع الفتاوى: ٢٠٩/٢٨]





(فأهل السنة والجماعة يوالون المؤمن المستقيم على دينه ولاء كاملاً ويحبونه وينصرونه نصرة كاملة، ويتبرءون من الكفرة والملحدين والمشركين والمرتدين ويعادونهم عداوة وبغضاً كاملين. أما من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيوالونه بحسب ما عنده من الإيمان، ويعادونه بحسب ما هو عليه من الشر)[١].

(١) الولاء والبراء: محمد بن سعيد القحطاني: ص١١٠.(ط.دار طيبة بالرياض)



ثانيا : الفرق بين الموالاة والتولي في الأحكام :

من أهل العلم من لا يفرق بين الموالاة والتولي ويعتبر ذلك من باب الترادف، وعلى ذلك يكون التولي منه ما هو كفر، ومنه ما هو دون ذلك، والموالاة مثل ذلك.

ومن هؤلاء العلماء الشيخ ناصر السعدي صاحب تفسير [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان].

فيقول – رحمه الله– في تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [التوبة:٢٣]:

(وذلك الظلم يكون بحسب التولي . فإن كان توليا تاما، كان ذلك كفرا مخرجا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب، ما هو غليظ، وما هو دون ذلك) [١].

ومن العلماء أمثال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ ابن سحمان والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، وهم من علماء الدعوة النجدية من يفرقون بين التولي والموالاة.

فيجعلون الموالاة أعم من التولي، فكل تولي كفر ينقل عن الملة بينما الموالاة منها ما ينقل عن الملة ومنها ما هو دون ذلك.

---

(١) [تفسير السعدي: صـ٨٥٧].



وقد عبر الشيخ سليمان بن سحمان في أبيات فقال:

ومن يتولى الكافرين فمثلهم ** ولا شك في تكفيره عند من عقل

ومن قد يواليهم ويركن نحوهم ** فلا شك في تفسيقه وهو في وجل

وكل محب أو معين وناصر ** ويظهر جهرا للوفاق على العمل

فهم مثلهم في الكفر من غير ريبة ** وذا قول من يدري الصواب من الزلل(١)

وهذا القول الثاني في التفريق بين الموالاة والتولي واعتبار التولي أخص يشهد له الاستعمال الشرعي، وكذلك اللغة .

أما الاستعمال الشرعي، فمثل :

قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة:٢٣]

﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾ [النحل:١٠٠]

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [المجادلة:١٤]

﴿ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة:٩]

---

(١) [ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان:سليمان بن سحمان: صـ ١٣٠-١٣١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴾ [الممتحنة:١٣]

وأما استخدام أهل اللغة:

فكما يقول صاحب القاموس المحيط: (لفظ الموالاة أعم من التولي) [1].

(١) [القاموس المحيط: ٤/٤٠١-٤٠٢].

ثالثاً: بطلان قول من زعم أن موالاة أهل الكفر من اليهود والنصارى وغيرهم منحصرة في الرضا بهم وبدينهم، ومعاداة أهل الإسلام على ذلك.

وسبب بطلان هذا القول : أن من تولى شخصا من أجل رضاه بما هو عليه من الكفر كان كافرا، لا من أجل التولي بل لأن الإجماع منعقد على أن الرضا بالكفر كفر، ويكون توليه لازماً لهذا الرضا ومقتضياً لوجوده.

ولازم هذا القول: أن من حارب الإسلام والمسلمين وقاتل في صفوف اليهود والنصارى أهل الإسلام غير معتقدٍ أن عزيرا ابن الله، أوألوهية المسيح أو بنوته أو عقيدة التثليث والصلب وغيرها من عقائدهم أنه مسلم عاص لأنه لم يرض بدينهم، وهذا ما يخالف الكتاب والسنة والإجماع.

يقول الأستاذ سيد قطب :

(والولاية التي ينهى الله الذين آمنوا أن تكون بينهم وبين اليهود والنصارى .. تعني التناصر والتحالف معهم، ولا تتعلق بمعنى اتباعهم في دينهم فبعيد جداً أن يكون بين المسلمين من يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين إنما هو ولاء التحالف والتناصر الذي كان يلتبس على المسلمين أمره فيحسبون أنه جائز لهم بحكم ما كان واقعاً من تشابك المصالح والأوامر ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات اليهود قبل الإسلام وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة حتى نهاهم الله عنه وأمر بإبطاله بعد ما تبين عدم إمكان قيام الولاء والتحالف والتناصر بين المسلمين واليهود في المدينة ..)[١].

(١) [في ظلال القرآن: ٩٠٩/٢].



رابعا : الفرق بين إظهار العداوة ووجود العداوة

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن :

(ومسألة إظهار العداوة غير مسألة وجود العداوة فالأول: يعذر به مع العجز والخوف، لقوله تعالى: :﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ ﴾ [آل عمران:٢٨]

والثاني: لا بد منه، لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت، وبينه وبين حب الله ورسوله تلازم كلي، لا ينفك عنه المؤمن؛ فمن عصى الله بترك إظهار العداوة، فهو عاص لله. فإذا كان أصل العداوة في قلبه، فله حكم أمثاله من العصاة، فإذا انضاف إلى ذلك ترك الهجرة، فله نصيب من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:٩٧] ، لكنه لا يكفر، لأن الآية فيها الوعيد لا التكفير) [1].

(١) [الدرر السنية:٣٥٩/٨] .



خامسا: الفرق بين الولاء بالمعنى الشرعي والولاء بمعناه اللغوي أو العرفي:

يستخدم بعض الناس الولاء بدلالات أوسع من الدلالات الشرعية المرتبطة بالحكم الشرعي، فيُسمي البيع والشراء والإجارة والهبة والنكاح من الكتابية أو أكل ذبائحهم من الولاء الشرعي، وينتج عن تلك التوسعة في دلالات اللفظ الشرعي إفراط وتفريط:

- إفراط: بإدخال تلك الصور في الولاء الشرعي واعتبار من أتى صورة من هذه الصور فقد أتى الولاء المحرم أو المكفر.
- تفريط: باعتبار هذه الصور مشروعة وهي عنده من الولاء، إذاً الولاء نفسه غير مُكفر إلا إذا تغير الاعتقاد.
- والحق أن عدم العلم بحدود ما أنزل الله على رسوله مستلزم لمفسدتين عظيمتين:

١. إحداهما: أن يدخل في مسمى اللفظ ما ليس منه فيحكم له بحكم المراد من اللفظ، فيجمع بين ما فرق الله بينهما.

٢. والثانية: أن يخرج من مسمى اللفظ بعض أفراده الداخلة تحته، فيسلب عنه حكمه فيفرق بين ما جمع الله بينهما.



سادسا : أسباب ومسوغات أهل النفاق في موالاة أعداء الدين

١- يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة

كما حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿ **فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ** ﴾ [المائدة:٥٢]

يقول ابن كثير :

(قال ابن اسحاق وحدثني أبي عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أُبي وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان من بني عوف له من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أُبي فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وقال: يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم.

قال: وفيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات من سورة المائدة ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ** ﴾ الآيات حتى قوله: ﴿ **فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ** ﴾ يعني عبد الله بن أبي، إلى قوله: ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ** ﴾ يعني عبادة بن الصامت) [١].

(١) [البداية والنهاية لابن كثير:٢/٤٠٩-٤١٠] .وانظر [تفسير القرطبي لسورة [المائدة :٥١]. ٥٦٦/٣،٥٦٥]. [ط.دار الحديث] .



٢- يسارعون فيهم يبتغون عندهم العزة :

كما قال الله عنهم في محكم التتريل:

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩]

يقول الشيخ ناصر السعدي :

(﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأقبح بشارة وأسوئها، وهو العذاب الأليم. وذلك بسبب محبتهم الكفار، وموالاتهم، ونصرتهم، وتركهم لموالاة المؤمنين. فأي شيء حملهم على ذلك ؟

﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ وهذا هو الواقع من أحوال المنافقين. ساء ظنهم بالله، وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين. ولحظوا بعض الأسباب، التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عما وراء ذلك. فاتخذوا الكافرين أولياء، يتعززون بهم، ويستنصرون. والحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده، ومشيئته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين وإدالة العدو عليهم، إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين. وفي هذه الآية الترهيب العظيم من موالاة الكافرين، وترك موالاة المؤمنين ، وأن ذلك من صفات المنافقين. وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم ، وبغض الكافرين وعداوتهم) (١).

---

(١) [تفسير السعدي: صـ٢٠٩-٢١٠].



٣- يريدون عرض الحياة الدنيا :

كما قال الله تعالى عنهم:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [النساء:١٤١]

يقول ابن كثير :

(يخبر تعالى عن المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء.بمعنى ينتظرون زوال دولتهم وظهور الكفر عليهم وذهاب ملتهم،﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي نصر وتأييد وظفر وغنيمة ﴿ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ أي يتوددون إلى المؤمنين بهذه المقالة،﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ ﴾ أي إدالة على المؤمنين في بعض الأحيان كما وقع يوم أحد،فإن الرسل تبتلى ثم يكون لها العاقبة) [(١)].

(١) [تفسير ابن كثير: ٤٨٧/١]. [ط. دار القلم] .





٤- يحسدون أهل الإيمان على ما آتاهم الله من فضله

كما قال سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران:١١٨-١٢٠]

يقول ابن كثير :

(يقول تبارك وتعالى ناهياً عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة ، أي يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالاً ؛ أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن وبما يستطيعون من المكر والخديعة ، ويودّون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم ...

ثم قال تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ ﴾ أي قد لاح على صفحات وجوههم،وفلتات ألسنتهم من العداوة مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل ، ولهذا قال تعالى : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ ﴾ وذلك أشد الغيظ والحنق. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ ؛ أي مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم،فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين ومكمل دينه ، ومعل كلمته ومظهر دينه ، فموتوا أنتم بغيظكم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ أي هو عليم بما تنطوي عليه ضمائركم وتكنه سرائركم من البغضاء والحسد والغلّ للمؤمنين ، وهو



مجازيكم عليه في الدنيا بأن يريكم خلاف ما تؤمّلون ، وفي الآخرة بالعذاب الشديد في النار التي أنتم خالدون فيها لا محيد لكم عنها ، ولا خروج لكم منها)[1].

---

(١) [تفسير ابن كثير: ١/٣٤٢-٣٤٣].





سابعا: لا ترغب عن سبيل المؤمنين

كما قال تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾

[الأنعام:١٥٣]

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥]

يقول ابن كثير :

(﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾؛ أي إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجاً له،كما قال تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾،وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾ وقوله: ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ وجعل النار مصيره في الآخرة،لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة) [١].

فلا ترغب عن سبيل المؤمنين ولا تقتفي سبل المجرمين من الكفار والمنافقين، واعلم أنه ما من سبيل منها إلا وعليه شيطان يدعو إليه ويزينه لأهله.

فإن وفقك الله لسبيل المؤمنين فإياك والتفرق فيه، واسمع لقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٣]

(١) [تفسير ابن كثير: ٤٧٦/١].



وعليك بالنصح لكل مسلم فالدين النصيحة ، كما قال النبي ﷺ :

« **الدين النصيحة** »[١]

وفي الحديث عن جرير بن عبد الله البجلي قال: « **بايعت رسول الله ﷺعلى إقام الصلاة و إيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم** » [٢].

وفي رواية : « **أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين** » [٣].

فالنصيحة للمسلمين هو مقتضى ترك التفرق في السبيل، وهو هدي أهل السنة وسمتهم.

يقول ابن تيمية :

(ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار الرسولﷺ باطنا وظاهرا [إلى أن يقول رحمه الله] ويدينون بالنصيحة للأمة ويعتقدون معنى قوله ﷺ: « **المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا** » [٤] وقوله ﷺ : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**» [٥]) [٦].

---

(١) رواه مسلم: [٥٥/ كتاب الإيمان/ باب: بيان أن الدين النصيحة]

(٢) رواه البخاري: [٥٥/كتاب الإيمان/باب: الدين النصيحة] ، ورواه مسلم: [٥٦/ كتاب الإيمان/باب: بيان أن الدين النصيحة]

(٣) صحيح: [رواه النسائي:١٤٨/٧]، وأحمد في [المسند: ٣٦٥/٤] ، وصححه الشيخ الألباني في [السلسلة الصحيحة برقم: ٩٣٦].

(٤) رواه البخاري:[٤٥٩/ كتاب الصلاة/ باب: تشبيك الأصابع] .

(٥) رواه البخاري:[٥٥٥٢/ كتاب الأدب/ باب: رحمة الناس] ، ورواه مسلم: [٢٥٨٦/كتاب البر والصلة/ باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم] .

(٦) [شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين: صـ ٥١٢-٥١٥]. [ط. مكتبة الإيمان] .





ويقول – رحمه الله:

(وهذا الأصل العظيم: وهو الاعتصام بحبل الله جميعًا، وألا يتفرق، هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله ـــ تعالى ـــ به في كتابه. ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة وخاصة، مثل قوله: « **عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة** »(١) ، وقوله: « **فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد** » (٢) ، وقوله: « **من رأي من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عنقه** » ، وقوله: « **ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟** » قالوا: بلي يا رسول الله .قال: « **صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين** » (٣))
(٤).

ويقول – رحمه الله:

(من والى موافقه وعادي مخالفه وفرق بين جماعة المسلمين، وكفر وفسق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحل قتال مخالفه دون موافقه فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات.) (٥).

---

(١) صحيح: [رواه النسائي: ٧/٩٢-٩٣]، و[الطبراني: ٣٦٢/١٧].

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في [المسند: ١٨/١]، والترمذي: [٢١٦٥] ، والنسائي في [الكبرى :٩٢٢٥] .

(٣) رواه أبو داود [٤٩١٩/ كتاب الأدب] ، والترمذي: [٢٥٠٩/ كتاب: صفة القيامة] ، وصححه الشيخ الألباني في [صحيح سنن الترمذي] .

(٤) [مجموع الفتاوى: ٣٥/٣٦١-٣٦٣].

(٥) [مجموع الفتاوى: ٣/٣٤٩].



ويقول – رحمه الله:

(فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة فهذه الثلاثة هي أصول معصومة وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول. وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺولا ينصب لهم كلاما يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة. بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون) [(١)].

فأهل السنة والجماعة ولاؤهم للحق وأهله، وهم ينظرون إلى كل فرد أو طائفة أو تجمع باعتبار قربه أو بعده من الحق، وليس على أساس من التعصب الجاهلي أو المذهبي أو الحزبي، ويقدمون من قدمه الله ورسوله، ويؤخرون من أخره الله ورسوله ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [الحجرات:١٣] ولا يمتحنون الناس بأسماء وشعارات ما أنزل الله بها من سلطان فيوالون عليها ويعادون بل يدعون الناس جميعا إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

(١) [مجموع الفتاوى: ٢٠/١٦٣-١٦٤].





ثانيا : توحيد الطاعة [الحاكمية]

والمقصود بتوحيد الطاعة ؛ إفراد الله بالطاعة المطلقة التي لا تكون إلا له سبحانه.

وضد هذه الطاعة يسمى إباء واستكبارا وامتناعا عن الشرائع وإباء لقبول الفرائض وردّا لحكم الله.

يقول ابن تيمية:

(ومن طلب أن يطاع مع اللّه، فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون اللّه أنداداً يحبونهم كحب الله. والله ــ سبحانه وتعالى ــ أمر ألا يعبد إلا إياه،وألا يكون الدين إلا له) [١].

ويقول- رحمه الله:

(ففي الحقيقة لا يطاع أحد لذاته إلا الله له الخلق والأمر وله الحكم وليس الحكم إلا لله وإنما وجبت طاعة الرسول لأن طاعته طاعة لله) [٢].

يقول الإمام الغزالي :

(فإنما النافذ حكم المالك على مملوكه ولا مالك إلا الله الخالق – فلا حكم ولا أمر إلا لله، أما النبي ﷺ والسلطان أو السيد، والأب، والزوج، فإذا أمروا وأوجبوا لم يجب شيء بإيجابهم بل بإيجاب الله تعالى طاعتهم ... فإذاً الواجب : طاعة الله تعالى وطاعة من أوجب الله تعالى طاعته) [٣].

---

(١) [مجموع الفتاوى: ٣٢٩/١٤].

(٢) [منهاج السنة: ٨/ ١٨٣] .

(٣) [المستصفى للغزالى ٨٣/١] .



يقول العز بن عبد السلام :

(وتفرد الإله بالطاعة لاختصاصه بنعم الإنشاء والإبقاء والتغذية والإصلاح الديني والدنيوي) [١]

والطاعة متمثلة في صورتين :

١- الطاعة في التحليل والتحريم :

قال تعالى:﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١]

٢- الطاعة في التزام الشرع :

قال تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النور:٤٧] .

يقول ابن تيمية :

(وأصل الضلال في أهل الأرض إنما ينشأ من هذين: إما اتخاذ دين لم يشرعه الله، أو تحريم ما لم يحرمه الله) [٢].

---

(١) [قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام : ١٥٧/١ – ١٥٨] .

(٢) [اقتضاء الصراط المستقيم:صـ ٢٣١].



أولاً : الطاعة في التحليل والتحريم [التشريع]

قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى:٢١] .

يقول ابن كثير :

(أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام،وتحليل أكل الميتة والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأقوال الفاسدة) [(١)].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل:١١٦]

يقول ابن كثير :

(نهى تعالى عن سلوك سبيل المشركين الذين حللوا وحرموا بمجرد ما وصفوه واصطلحوا عليه من الأسماء بآرائهم ، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك ، مما كان شرعاً لهم ابتدعوه في جاهليتهم ، فقال: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾، ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي ، أو حلل شيئاً مما حرم الله ، أو حرم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه ...

---

(١) [تفسير ابن كثير: ١١٣/٤] .



ثم توعد على ذلك فقال:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾ أي في الدنيا ولا في الآخرة،أما في الدنيا فمتاع قليل ، وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم) [1].

قال الشوكاني :

(فنهاهم الله عن الكذب عليه في أحكامه وقولهم لما لم يحرمه: هذا حرام ، إلا إذا علم بأن الله سبحانه أحله أو حرمه) [2].

وقال سبحانه:﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة:٣٧].

يقول ابن حزم:

(قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ وبحكم اللغة التي نزل بها القرآن أن الزيادة في الشيء لا تكون ألبته إلا منه لا من غيره، فصح أن النسيء كفر، وهو عمل من الأعمال؛ وهو تحليل ما حرم الله تعالى وهو عالم بأن الله تعالى حرمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه، وكل من حرم ما أحل الله تعالى، فقد أحل ما حرم الله –عز وجل-؛ لأن الله تعالى حرم على الناس أن يحرموا ما أحل الله –عز وجل-) [3].

وقال سبحانه:﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١] (٤).

---

(١) [تفسير ابن كثير: ٢/٥٩٠] .

(٢) [قطر الولي على حديث الولي للشوكاني: ص١٢٤].

(٣) [الفصل في الملل والنحل: ٣/٢٠٤] .

(٤) وسبب نزول الآية كما أخرجه الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: [لما نزلـت:﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً؛ فقولوا له: ما تذبح أنت بيدك بسكين فهـو





يقول القرطبي:

(قوله تعالى: :﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ أي في تحليل الميتة :﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ فدلت الآية على أن من استحل شيئا مما حرم الله تعالى صار به مشركا. وقد حرم الله سبحانه الميتة نصا ؛ فإذا قَبِلَ تحليلها من غيره فقد أشرك)[(١)].

قال الشيخ الشنقيطي:

(فتوى سماوية من الخالق –جل وعلا- صرح فيها سبحانه بأن متبع تشريع الشيطان المخالف لتشريع الرحمن؛ مشرك بالله)[(٢)].

ويقول –رحمه الله:

(كل من اتبع تشريعاً غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺفاتباعه لذلك التشريع المخالف كفر بواح)[(٣)].

وقال سبحانه:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]

.

حلال، وما ذبح الله بشمشار من ذهب: يعني الميتة فهو حرام، فترلت الآية﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ ﴾]

انظر: أسباب الترول للسيوطي.

(١) [تفسير القرطبي: ٦٤/٧] .

(٢) [أضواء البيان: تفسير الآية١٢١ من سورة الأنعام] .

(٣) [أضواء البيان ٤٣٩/٣] .



قال الشيخ سليمان بن عبد الله:

(والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام، فمن أطاع مخلوقا في ذلك غير الرسولﷺ فإنه لا ينطق عن الهوى فهو مشرك كما بينه الله تعالى في قوله ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ** ﴾ أي علماءهم ﴿ **أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ** ﴾ وفسرها النبيﷺ بطاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام كما سيأتي في حديث عدي) [(١)].

(وحديث عدي بن حاتم – هو حديث حسن طويل رواه أحمد والترمذي وغيرهما –، وكان قد قدم على النبي ﷺ وهو نصراني ، فسمعه يقرأ هذه الآية ، قال: فقلتُ له: إنا لسنا نعبدهم. قالﷺ : « **أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟** » قال: قلت: بلى، قالﷺ: « **فتلك عبادتهم** » [(٢)].

وكذلك قال أبو البختري: أما إنهم لم يصلوا لهم، ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه، وحرامه حلاله فأطاعوهم، فكانت تلك الربوبية.

وقال الربيع بن أنس: قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل ؟ قال: كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب اللّه ما أمروا به ونهوا عنه، فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء، فما أمرونا به ائتمرنا،وما نهونا عنه انتهينا لقولهم. فاستنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب اللّه وراء ظهورهم) [(٣)].

---

(١) [تيسير العزيز الحميد:: ص٥٤٣].

(٢) [أخرجه الطبري من طرق: ٢١٠،٢١١/١٤] ، واختصره الترمذي: [٤٩٢/٨-٤٩٤] ، وقال: حديث غريب، وأخرجه البغوي في [التفسير: ٣٩/٤] ، والبيهقي في [السنن: ١١٦/١٠] ، وابن عبد البر في [جامع بيان العلم : صـ٤٣٧] ، وأحمد في المسند.

(٣) [كتاب الإيمان لابن تيمية: ص٤٦ – ٤٧] . وانظر [جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر:١٣٣/٢].





قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن:

(في الحديث دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله) [١].

قال ابن تيمية:

(وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم اللّه وتحريم ما أحل اللّه يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين اللّه فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم اللّه، وتحريم ما أحل اللّه،اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله اللّه ورسوله شركًا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله اللّه ورسوله مشركًا مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا*، لكنهم أطاعوهم في معصية اللّه، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب) [٢].

ويقول- رحمه الله:

(والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه؛ أو حرم الحلال المجمع عليه؛ أو بدل الشرع المجمع عليه؛ كان كافرا مرتدا باتفاق الفقهاء) [٣].

---

(١) [فتح المجيد: صـــ٣٧٨] .

* هكذا بالأصل، ولعل الصواب:بتحريم الحرام وتحليل الحلال.[كما نبه بعض أهل العلم] .

(٢) [مجموع الفتاوى:٧/٧٠-٧١].

(٣) [مجموع الفتاوى:٣/٢٦٧] .



ويقول- رحمه الله:

(فإجماع أئمة الدين أنه لا حرام إلا ما حرمه اللّه ورسوله، ولا دين إلا ما شرعه اللّه ورسوله، ومن خرج عن هذا وهذا فقد دخل في حرب مع اللّه، فمن شرع من الدين ما لم يأذن به اللّه، وحرم ما لم يحرم اللّه ورسوله، فهو من دين أهل الجاهلية، المخالفين لرسوله، الذين ذمهم اللّه في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما من السور، حيث شرعوا من الدين ما لم يأذن به اللّه. فحرموا ما لم يحرمه اللّه، وأحلوا ما حرمه اللّه، فذمهم اللّه وعابهم على ذلك) [1].

ويقول – رحمه الله:

(ومن بدل شرع الأنبياء وابتدع شرعًا فشرعه باطل لا يجوز اتباعه، كما قال تعالى:﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [الشورى:٢١] ولهذا كفر اليهود والنصارى؛ لأنهم تمسكوا بشرع مبدل منسوخ، والله أوجب على جميع الخلق أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله، ومحمد ﷺخاتم الرسل، فعلى جميع الخلق اتباعه واتباع ما شرعه من الدين وهو ما أتى به من الكتاب والسنة، فما جاء به الكتاب والسنة وهو الشرع الذي يجب على جميع الخلق اتباعه، وليس لأحد الخروج عنه، وهو الشرع الذي يقاتل عليه المجاهدون، وهو الكتاب والسنة.

وسيوف المسلمين تنصر هذا الشرع وهو الكتاب والسنة، كما قال جابر بن عبد الله: أمرنا رسول الله ﷺأن نضرب بهذا ـــ يعني السيف ـــ من خرج عن هذا ـــ يعني المصحف) [2].

---

(١) [مجموع الفتاوى:٢٢/٢٢٦].

(٢) [مجموع الفتاوى:٣٥/٣٦٥-٣٦٦] .





ويقول – رحمه الله:

(وأصل الدين: أنه لا واجب إلا ما أوجبه اللّه ورسوله، ولا حرام إلا ما حرمه اللّه ورسوله، ولا مكروه إلا ما كرهه اللّه ورسوله، ولا حلال إلا ما أحله اللّه ورسوله، ولا مستحب إلا ما أحبه اللّه ورسوله. فالحلال ما حلله اللّه ورسوله، والحرام ما حرمه اللّه ورسوله، والدين ما شرعه اللّه ورسوله؛ ولهذا أنكر اللّه على المشركين وغيرهم ما حللوه أو حرموه أو شرعوه من الدين بغير إذن من اللّه) (١).

ويقول – رحمه الله:

(فإن أصل الدين أنه لا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله، فإن الله سبحانه في سورة الأنعام والأعراف عاب على المشركين أنهم حرموا ما لم يحرمه الله، وأنهم شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله) (٢).

(١) [مجموع الفتاوى:٣٤٥/٢٩] .

(٢) [مجموع الفتاوى:٣٥٧/٢٠] ، وانظر [مجموع الفتاوى:٥٢٤/٢٨] .



تنبيهان:

١- علاقة التشريع بالتوحيد

يقول الشيخ الشنقيطي:

(ولما كان التشريع وجميع الأحكام، شرعية كانت أو كونية قدرية، من خصائص الربوبية. كما دلت عليه الآيات المذكورة كان كل من اتبع تشريعاً غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع ربا، وأشركه مع الله)[١].

يقول الشيخ حامد الفقي :

(جعلوا أحبارهم و رهبانهم مشرعين في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله فاتخذوهم بذلك أرباباً، لأن التشريع من خصائص الربوبية)[٢].

يقول الشيخ ابن عثيمين :

(وهذا شرك الطاعة، وهو بتوحيد الربوبية ألصق من توحيد الألوهية)[٣].

ولذلك فقد ذكرتُ في توحيد الربوبية: [إفراد الله بالأمر الشرعي]، ونبهتُ عليه هنا لاتصاله بقضية الطاعة في التشريع.

(فإن قضية التشريع من حيث تفرد الله بها كتفرده بالخلق هي من توحيد الربوبية، ومن ناحية وجوب الانقياد لها والالتزام بها ديانة وعبادة، فهي من قبيل توحيد الألوهية أو توحيد العبادة، ومن حيث وجوب إثباتها صفة لله —عز وجل- وعدم تعطيلها فهي من جنس توحيد الصفات)[٤].

---

(١) [أضواء البيان: ١٦٩/٧].

(٢) [فتح المجيد :تحقيق الشيخ حامد الفقي ص:٩٦].

(٣) [القول المفيد: ١٠٠/١].

(٤) [الثوابت والمتغيرات: صــ١٨٧]. [ط.دار الأندلس الخضراء] .



٢- طرق تحليل الحرام أو تحريم الحلال :

١- **القول الصريح بتحليل الحرام المجمع عليه أو تحريم الحلال المجمع عليه** كإباحة الربا[(١)] أو تحريم الختان.

٢- **النص على أن الفعل الذي حرمه الله وجعل له عقوبة لا عقوبة على صاحبه** مثل (الرجم) عقوبة للزاني المحصن، فرغم أنه قد ثبت بالإجماع لا عقوبة عليه في القوانين الوضعية إذا أتاه الشخص مختارا[(٢)].

٣- **أو أن يجعل القانون له عقوبة مخالفة لما وضعه الشارع**، كحبس السارق[(٣)] بدلا من قطع يده، والله تعالى يقول في محكم التتريل:﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا** ﴾ [المائدة:٣٨]

٤- **أو السكوت عن تجريم ذلك الفعل المنصوص على تجريمه في الشرع وإجراءه مجرى المباح بين الناس** مثل سن القوانين التي تبيح الحريات دون قيد،

---

(١) المادة : (٢٢٧) من القانون المدني المصري توجب على القاضي إذا كان محل الالتزام مبلغاً من النقود وكـــان معلوم المقدار وقت الطلب وتأخر المدين في الوفاء به (أن يلزم المدين بأن يدفع للدائن علي سبيل التعـــويض عن التأخير فوائد قدرها أربعة في المائة في المسائل المدنية وخمسة في المسائل التجارية).وانظر المـــادة (٢٢٨) من القانون المدني السوري.

(٢) المادة : (٢٧٣) من قانون العقوبات المصري : (لا تجوز محاكمة الزانية إلا بناء علي دعوى زوجها : إلا أنه إذا زنى في المسكن المقيم فيه مع زوجته لا تسمع دعواه عليها).

والمادة :(٢٧٤) من قانون العقوبات المصري (المرأة المتزوجة التي ثبت زناها يحكم عليها بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين لكن لزوجها أن يوقف تنفيذ هذا الحكم برضائه معاشرتها له كما كانت).

والمادة (٢٧٧) من قانون العقوبات المصري (كل زوج زنى في مترل الزوجية وثبت عليه هذا الأمر بدعوى الزوجية يجازى بالحبس مدة لا تزيد عن ستة شهور) .

(٣) الأصل في السرقة في القانون الوضعي أنها جنحة يعاقب عليها بالحبس مع الشغل مدة لا تتجاوز سنتين وفقاً لنص المادة (٣١٨) من قانون العقوبات.



كشواطئ العراة والترخيص للملاهي الليلية ودور السينما الفاضحة وإباحة الخمر والميسر .

٥- **أو التنصيص على تعطيل أفعال أباحها الله تعالى،** كسن قانون يجرم تعدد الزوجات [١]، **أو أوجبها الله تعالى،** كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) لا يزال كثير من المفكرين والأدباء !!في مصر يسعون لتجريم تعدد الزوجات واتهام التعدد بالرجعية والتخلف والقانون يضيق النطاق شيئا فشيئا حتى لا يفاجأ الناس بالتجريم كما فعلت تونس وفي نفس الوقت يفتح الباب على مصراعيه للزنا والبغاء تمهيداً لسن قوانين تبيح الشذوذ الجنسي نسأل الله العافية.



ثانياً: الطاعة في التزام الشرع:

قال تعالى:

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢]

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء:٨٠]

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [المائدة:٩٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال:٢٠-٢١]

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤]

يقول الشيخ ناصر السعدي:

(﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ أي: أعرضوا عن طاعة الله ورسله فليس ثم أمر يرجعون إليه إلا الكفر وطاعة كل شيطان مريد ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الحج:٤])[١].

(١) [تفسير السعدي: ص١٢٨].



يقول ابن تيمية :

(وقال تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٤٧]، والتولي هو: التولي عن الطاعة كما قال تعالى: ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح:١٦]. وقال تعالى: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [القيامة:٣١-٣٢] ، وقد قال تعالى: ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [الليل:١٥-١٦] ...

فعلم أن التولي ليس هو التكذيب، بل هو التولي عن الطاعة، فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخبر، ويطيعوه فيما أمر. وضد التصديق التكذيب، وضد الطاعة التولي؛ فلهذا قال: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[القيامة:٣١-٣٢]، وقد قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٤٧] ، فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل، وإن كان قد أتى بالقول)(١)

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۝ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٤٧-٥١]

(١) [كتاب الإيمان لابن تيمية: صـ٩٠].





(في هذه الآيات، دليل على أن الإيمان ليس هو مجرد القول حتى يقترن به العمل، ولهذا نفى الإيمان عمن تولى عن الطاعة، ووجوب الانقياد لحكم الله ورسوله في كل حال، وأن من لم ينقد له دل على مرض في قلبه، وريب في إيمانه، وأنه يحرم إساءة الظن بأحكام الشريعة، وأن يظن بها خلاف العدل والحكمة)[1].

---

(١) [تفسير السعدي: ص ٥٧٢].



وللطاعة بهذا المفهوم – أي التزام الشرع– ثلاث صور، وهي:

[الحكم والتحاكم والتحكيم]

١– **الحكم**: وهو الفصل بين المتنازعين بمقتضى شرع أو عرف أو بمجرد الهوى

قال تعالى:﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا** ﴾ [النساء: ٥٨]

٢– **التحاكم**: وهو رد المتنازعين الفصل في النزاع لمن يحكم بينهما بمقتضى شرع أو عرف أو بمجرد الهوى .

قال تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً** ﴾ [النساء: ٥٩]

٣– **التحكيم**: وهو وضع الشريعة أو الشخص موضع الحكم ليُرجع إليه أو إليها عند التنازع.

قال تعالى ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا** ﴾ [النساء: ٦٥]

(قال علي بن أبي طالب ﷺ : حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة ، فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا) (١).

يقول ابن تيمية :

(فعلى كل من الرعاة والرعية، والرؤوس والمرؤوسين أن يطيع كل منهم الله ورسوله في حاله، ويلتزم شريعة الله التي شرعها له) (١).

---

(١) [تفسير البغوي: ٣٥٣/١] .





فعلى الأمة الإسلامية أن تحكم شرع الله، وعلى حكامها أن يحكموا بما أنزل الله، وعلى الناس ألا يرضوا بحكم غير حكم الله ولا يتحاكموا إلا لشريعة الله، وما الذل والهوان الذي أصاب الأمة اليوم إلا بسبب غياب ذلك فيهم.

(١) [مجموع الفتاوى: ١٩/٣١٠] .



أولاً: الحكم :

وهو الفصل بين المتنازعين بمقتضى شرع أو عرف أو بمجرد الهوى

أ- الحكم لا يكون إلا لله، فهو أحكم الحاكمين وخير الحاكمين.

قال تعالى:

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٤٠]

﴿ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٧٠]

﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر:١٢]

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الشورى:١٠]

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [التين:٨]

﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٩]

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام:١١٤]

قال ابن جرير الطبري :

(قل فليس لي أن أتعدى حكمه وأتجاوزه لأنه لا حكم أعدل منه، ولا قائل أحسن منه) (١).

قال القرطبي:

(والمعنى: أفغير الله أطلب لكم حاكماً) (١).

---

(١) [تفسير الطبري: ٧/٨].





وفي الحديث الصحيح: « **إن الله هو الحكم**[٢] **وإليه الحكم** »[٣].

فمن ادعى لأحد الحكم من دون الله أو مع الله فقد اتخذه شريكا لله، وقد قال تعالى: ﴿ **وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا** ﴾ [الكهف:٢٦]

وفي قراءة ابن عامر: ﴿ **وَلَا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا** ﴾.[٤]

يقول ابن تيمية:

(فإن الله – سبحانه وتعالى – هو الحكم الذي يحكم بين عباده ، والحكم له وحده وقد أنزل الله الكتب وأرسل الرسل ليحكم بينهم، فمن أطاع الرسول كان من أوليائه المتقين، وكانت له سعادة الدنيا والآخرة، ومن عصى الرسول كان من أهل الشقاء والعذاب.

قال تعالى: ﴿ **كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾.[البقرة:٢١٣]

وفي صحيح مسلم عن عائشة: أن النبي ﷺ كان إذا قام يصلي من الليل يقول:

---

(١) [تفسير القرطبي: ٧/٧٠]

(٢) (الحَكَم أبلغ من الحاكم؛ إذ لا يستحق التسمية بحَكَم إلا من يحكم بالحق، لأنها صفة تعظيم في مدح. والحاكم صفة جارية على الفعل، فقد يسمى بها من يحكم بغير الحق) .[تفسير القرطبي: ٥٨/٧] [ط.المكتبة التوفيقية]

(٣) صحيح: صححه الشيخ الألباني في [صحيح الإرواء:٢٦٨٢] ، و [صحيح الجامع: ١٨٤٥] .

(٤) [انظر أضواء البيان: ٤/٩٠-٩٢].



« اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم ...»

فقد بين - سبحانه وتعالى - أنه بعث الرسل وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾.[الشورى:١٠]

وقال يوسف: ﴿ **يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾.[يوسف:٣٩-٤٠] فالحكم لله وحده ورسله يبلغون عنه، فحكمهم حكمه، وأمرهم أمره وطاعتهم طاعته، فما حكم به الرسول وأمرهم به وشرعه من الدين وجب على جميع الخلائق اتباعه وطاعته؛ فإن ذلك هو حكم الله على خلقه.

والرسول يبلغ عن الله، قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٤-٦٥]، فعلى جميع الخلق أن يحكموا خاتم النبيين وأفضل المرسلين وأكرم الخلق على الله، ليس لأحد أن يخرج عن حكمه في شيء سواء كان من العلماء أو الملوك أو الشيوخ أو غيرهم) (١).

---

(١) [مجموع الفتاوى: ٣٥/٣٦١-٣٦٣] .

ب- شمولية الحكم الإسلامي(١)

أحكام الإسلام تشمل جميع تصرفات الإنسان وعلاقاته وتدور حول الأحكام التكليفية، وهي: الواجب والمندوب والمحرم والمكروه والمباح.

أما بالنسبة لأحكام الإسلام باعتبار ما تتعلق به فتنقسم إلى الأقسام الآتية:

أولاً: أحكام العقيدة الإسلامية، وهي تتعلق بأمور العقيدة كالإيمان بالله واليوم الآخر، وهذه هي الأمور الاعتقادية.

ثانيا: أحكام الأخلاق، وهي المتعلقة بما يجب أن يتحلى به المسلم، وما يجب أن يتخلى عنه كوجوب الصدق وحرمة الكذب.

ثالثاً: أحكام تتعلق بتنظيم علاقة الإنسان بخالقه،كالصلاة والصيام وغيرها من العبادات

رابعاً: أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم، وهذه على أنواع:

١. أحكام الأسرة من نكاح وطلاق وإرث ونفقة... الخ، وتسمى في الاصطلاح الحديث بأحكام الأسرة أو قانون الأحوال الشخصية.

٢. أحكام تتعلق بعلاقات الأفراد ومعاملاتهم كالبيع والإجارة والرهن والكفالة، وهي التي تسمى في الاصطلاح الحديث بأحكام المعاملات المالية أو بالقانون المدني.

٣. أحكام تتعلق بالقضاء والدعوى وأصول الحكم والشهادة واليمين والبينات، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بقانون المرافعات

٤. أحكام تتعلق بمعاملات الأجانب غير المسلمين عند دخولهم إلى إقليم الدولة الإسلامية، والحقوق التي يتمتعون بها، والتكاليف التي يلتزمون بها، وهذه الأحكام تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدولي الخاص.

---

(١) [انظر حاشية ابن عابدين: ٧٩/١] .



٥. أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الدولة المسلمة بالدول الأخرى في السلم والحرب، وتدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدولي العام.

٦. أحكام تتعلق بنظام الحكم وقواعده، وكيفية اختيار رئيس الدولة، وشكل الحكومة وعلاقات الأفراد بها، وحقوقهم إزاءها، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدستوري.

٧. أحكام تتعلق بموارد الدولة الإسلامية ومصارفها، وتنظيم العلاقات المالية بين الأفراد والدولة، وبين الأغنياء والفقراء، وهي تدخل في القانون المالي بمختلف فروعه.

٨. أحكام تتعلق بتحديد علاقة الفرد بالدولة من جهة الأفعال المنهي عنها والجرائم، ومقدار عقوبة كل جريمة.، وهذه تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الجنائي.

ويلحق بهذه الأحكام الإجراءات التي تُتبع في تحقيق الجرائم وإنزال العقوبات بالمجرمين، وكيفية تنفيذها، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بقانون تحقيق الجنايات أو بقانون المرافعات الجزئية) [١].

(فشمول الإسلام لشئون الحياة وسلوك الإنسان لا يقبل الاستثناء ولا التخصيص، فهو شمول تام بكل معاني كلمة الشمول، وهذا بخلاف المبادئ والنظم البشرية فإن الواحد منها له دائرته الخاصة التي ينظم شئونها، ولا شأن له فيما عدا ذلك.

وعلى هذا فلا يمكن للمسلم أن يقول إن هذا المجال لي أنظم أموري كما أشاء بمعزل عن تنظيم الإسلام، لا يمكن أن يقول المسلم هذا لأن الإسلام يحكمه من يافوخه إلى أخمص قدميه، وللإسلام في كل ما يصدر عن الإنسان حكم خاص، كما له حكمه في كل ما يصنعه في عقله من أفكار، وفي قلبه من ميول.

---

(١) [أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان: صـــ ٥٢] .



وعلى هذا لا يجوز للمسلم أبداً أن يسمح لغير نظام الإسلام أن ينظم أي جانب من جوانب حياته لأنه إن فعل ذلك دخل في نطاق معنى قوله تعالى: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة:٨٥])[١].

كما أنه لا ينبغي للمسلم أن ينخدع بتطبيق الإسلام في أحكام الأسرة ولو بصورة صحيحة غير مشوهة،ولا حتى بتطبيق الحدود ولو كانت على الأغنياء والفقراء على حد سواء، لأن مفهوم الإسلام كما بينا أوسع وأشمل من هذه الصورة الضيقة المحدودة التي يحاول أعداء الإسلام أن يصوروها، **فإن الإسلام كل لا يتجزأ**.

---

(١) [أصول الدعوة: ص٥٣-٥٤] .



جــ- أهم الخصائص التي تكون بها الحكومة إسلامية:

١- (**الحكومة الإسلامية:** هي التي تجعل مهمتها الأولى تطبيق شريعة الله بجميع نواحيها، والهدف تعبيد الناس لربهم وطاعتهم له وإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

٢- جميع أعضائها من المسلمين المشهود لهم بالاستقامة والخلق وسلامة العقيدة.

٣- يلتزم هؤلاء الأعضاء بالإسلام قولا وخلقا وسلوكاً ومنهجاً ونظاماً ويؤدون جميع الفرائض الإسلامية، ولا يجاهرون بالمعاصي، ويوالون المؤمنين أحباب الله، ويعادون أعداءه.

٤- تتعهد بتحرير وتطهير جميع أجزاء الوطن الإسلامي من كل دخيل مستعمر.

٥- تجاهد ألوان الاستعمار بشتى أشكاله:الاقتصادي والسياسي والثقافي والعسكري

٦- تبلغ وتنشر دعوة الإسلام في العالم أجمع.

٧- تقوم على حماية الأقليات الإسلامية في جميع أنحاء المعمورة وترعاها وتعمل على جمع كلمتها على الحق.

٨- ترعى الأقليات غير المسلمة في داخل الأمة الإسلامية وتوفر لها الأمان والحرية.

٩- تحمي ثغور المسلمين المرابطين عليها، وتؤمِّن الفقير واليتيم وتكفل الأرامل والمحتاج وتحض الناس على البر والتقوى.

١٠-تأمر بالمعروف وتشجع أهل الخير، وتنهى عن المنكر وتعالج أهل البدع والمنكرات، وتحاول انقاذهم من ذل الدنيا وعذاب الآخرة) [١].

---

(١) انظر [مجلة الدعوة: العدد رقم ٥٣].





د- حكم الحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله[1]

وهو القضاء بموجب شريعة أخرى غير شريعة الله أو بمجرد الهوى في مواضع النزاع، وفي ذلك تفصيل بيانه كالآتي:

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم :

(فانظر كيف سجل الله تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفر والظلم والفسوق، ومن الممتنع أن يسمى الله سبحانه وتعالى الحاكم بغير ما أنزل الله : كافراً ، ولا يكون كافراً بل هو كافر مطلقاً ؛ إما كفر عمل، وإما كفر اعتقاد.

وما جاء عن ابن عباس –رضي الله عنهما- في تفسيره هذه الآية:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤].من رواية طاووس وغيره يدل أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر: إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة، وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة.

(١) واقع الحكام اليوم تجاوز حد الحكم بغير ما أنزل الله بل وحد التشريع المطلق إلي الإقرار الصريح بإهدار الشريعة بحيث أن نصوص الشريعة لا تكتسب صفة القانون الملزم لو أرادوا العمل بها إلا بصدورها عمن يملك حق التشريع وهو المجلس التشريعي تعبيراً عن إرادة الشعب. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

يقول الشيخ محمود شاكر –رحمه الله-: (والذي نحن فيه اليوم هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة نبيه، وتعطيل لكل ما في شريعة الله بل بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الموضوع على أحكام الله المنزلة، وادعاء المحتجين لذلك بأن أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان غير الزمان ولعلل وأسباب انقضت فسقطت الأحكام كلها بانقضائها). [عمدة التفسير مختصر تفسير ابن كثير: ١٥٧/٤]، وانظر [النواقض القولية والعملية: ص٣١٩].



أما القسم الأول وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع:

أحدها: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله، وهو معنى ما روى عن ابن عباس، واختاره ابن جرير؛ أن ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي وهذا لا نزاع فيه بين أهل العلم، فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم أن من جحد أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مُجمعاً عليه أو أنكر حرفاً مما جاء به الرسولﷺ قطعياً فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة .

الثاني : أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقاً لكن اعتقد أن حكم غير الرسولﷺ أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع إما مطلقاً أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال، وهذا أيضاً لا ريب أنه كفر لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد ...

الثالث : أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله لكن اعتقد أنه مثله فهذا كالنوعين اللذين قبله في كونه كافراً الكفر الناقل عن الملة لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق ...

الرابع : أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله، فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن، لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله، فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه لاعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القطعية تحريمه.

الخامس : وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية إعدادا وإمدادا و إرصادا، وتأصيلا وتفريعا، وتشكيلاً وتنويعا، وحكما وإلزاما، ومراجع ومستندات.



فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسولهﷺ، فلهذه المحاكم مراجع؛ هي القانون الملفق من شرائع شتى وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض المدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك.

فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقرهم عليه، وتحتمه عليهم، فأي كفر فوق هذا الكفر وأي مناقضة لشهادة أن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة ؟!!

وذكر أدلة جميع ما قدمنا على وجه البسط معلومة معروفة لا يحتمل ذكرها هذا الموضع ...

السادس : ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها "سلومهم" يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به ويحملون على التحاكم إليه عند النزاع، بقاء على أحكام الجاهلية، و إعراضاً ورغبة عن حكم الله ورسوله فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما [القسم الثاني] من قسمي كفر الحاكم بغير ما أنزل الله وهو الذي لا يخرج من الملة، فقد تقدم أن تفسير ابن عباس –رضي الله عنهما– لقوله عز وجل :﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ** ﴾ [المائدة:٤٤].قد شمل ذلك القسم، وذلك في قوله ﷺ في الآية: (**كفر دون كفر**) . وقوله أيضاً: (**ليس بالكفر الذي يذهبون إليه**) .

وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى.



وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملة فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر كالزنا وشرب الخمر والسرقة واليمين الغموس وغيرها، فإن معصية سماها الله في كتابه كفرا أعظم من معصية لم يسمها كفراً .

نسأل الله أن يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه انقياداً ورضاءً، إنه ولي ذلك والقادر عليه) [(١)].

يقول الشيخ ابن عثيمين :

(والحكم بغير ما أنزل الله ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يستبدل هذا الحكم بحكم الله –تعالى – بحيث يكون عالماً بحكم الله، ولكنه يرى أن الحكم المخالف له أولى وأنفع للعباد من حكم الله، أو أنه مساو لحكم الله، أو أن العدول عن حكم الله إليه جائز فيجعله القانون الذي يجب التحاكم إليه فمثل هذا كافر كفراً مخرجاً عن الملة لأن فاعله لم يرض بالله رباً ولا بمحمد رسولاً ولا بالإسلام ديناً وعليه ينطبق قوله تعالى:

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[محمد:٢٦-٢٨] .

ولا ينفعه صلاة، ولا زكاة، ولا صوم، ولا حج؛ لأن الكافر ببعض كافر به كله.

(١) [فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم: ١٢/٢٨٧-٢٩١].و[كتاب تحكيم القوانين:ص٥-٨.باختصار]



قال الله تعالى: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة:٨٥].

وقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً** ﴾ [النساء:١٥٠]..

الثـــاني: أن يستبدل بحكم الله حكماً مخالفاً له في قضية معينة **دون أن يجعل ذلك قانوناً يجب التحاكم إليه فله ثلاث حالات:**

الأولى: أن يفعل ذلك عالماً بحكم الله تعالى معتقداً أن ما خالفه أولى منه وأنفع للعباد، أو أنه مساو له، أو أن العدول عن حكم الله إليه جائز فهذا كافر كفراً مخرجاً عن الملة لما سبق في القسم الأول.

الثانية : أن يفعل ذلك عالماً بحكم الله معتقداً أنه أولى وأنفع لكن خالفه بقصد الإضرار بالمحكوم عليه أو نفع المحكوم له ، فهذا ظالم وليس بكافر وعليه يتترل قول الله تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾ [المائدة:٤٥]. .

الثالثة : أن يكون كذلك لكن خالفه لهوى في نفسه أو مصلحة تعود إليه فهذا فاسق وليس بكافر وعليه يتترل قول الله تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ** ﴾ [المائدة:٤٧].) [1].

---

(١) [فتاوى العقيدة لابن عثيمين:ص ١٣١-١٣٢].



(ومن الصفات التي توقع الحاكم في الكفر الأكبر أيضاً:

١. كرهه للحكم بما أنزل الله [١]

٢. أو معاداته ومعاداة من يطالبه بالحكم بما أنزل الله

٣. أو إعراضه كليا عن الحكم بما أنزل الله واستبداله بشرع آخر من شرائع الطاغوت

٤. أو وصفه لحكم الله بالعبارات التي تنم عن الطعن والتهكم والسخرية والاستهزاء

٥. أو تحسينه ومدحه للحكم بغير ما أنزل الله.

فهذه حالات كل واحدة منها تكفر المتصف بها من الحكام كفراً أكبر مخرجا من الملة) [٢].

---

(١) (فكل من قال لهؤلاء الكفار الكارهين لما نزله الله: سنطيعكم في بعض الأمر، فهو داخل في وعيد الآية ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾.وأحرى من ذلك من يقول لهم: سنطيعكم في الأمر كالذين يتبعون القوانين الوضعية مطيعين بذلك للذين كرهوا ما نزل الله، فإن هؤلاء لا شك أنهم ممن تتوفاهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم. وأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه، وأنه محبط أعمالهم). أضواء البيان: تفسير [محمد:٢٨] .

(٢) [تهذيب الطحاوية: صـ٢٣٩].





متى يكون الحاكم الذي حكم في قضية كافرا الكفر الأصغر؟

بأن تجتمع فيه أمور ثلاثة:

١. **أن يكون ملتزما لحكم الله قابلا لشرعه**

يقول ابن تيمية :

(والحكم بما أنزل الله واجب على النبيﷺ وكل من اتبعه، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر)[١].

٢. **أن يكون ذلك في واقعة معينة لا قضية كلية عامة** شائعة بين الناس، كالحكم بحل شيء ما أو حرمته أو ترتيب ثواب عليه أو عقاب مع اعتقاده وجوب الحكم بما أنزل الله تعالى في هذه القضية.

٣. **أن تكون هذه القضية تغييرا للبينة الشرعية لا تبديلا للحكم**، كمن تزني فيطعن في أحد الشهود لتبرئتها، ولا يغير عقوبة الزنا بعد إثباته للجريمة يحمله على ذلك الهوى أو الرشوة مع اعترافه بأنه آثم في ذلك ومستحق للعقوبة.

---

(١) [منهاج السنة: ٣/٢٢].



(فعلى الحكام ألا يحكموا إلا بالعدل. والعدل هو ما أنزل الله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء:٥٨].

ثم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً ﴾ [النساء:٥٩] ، فأوجب الله طاعة أولى الأمر مع طاعة الرسول، وأوجب على الأمة إذا تنازعوا أن يردوا ما تنازعوا إلى الله ورسوله إلى كتاب الله وسنة رسوله. فإن الله هو الحكم الذي يحكم بين عباده ، والحكم له وحده) (١).

(١) [مجموع الفتاوى: ٣٦١/٣٥].



ثانيا: التحاكم :

وهو رد المتنازعين الفصل في التراع لمن يحكم بينهما بمقتضى شرع أو عرف أو بمجرد الهوى .

من الأدلة على التحاكم :

قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:٦٠].

﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى:١٠].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٨] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد:٢٥-٢٨] .



قال ابن كثير :

(فمن ترك الشرع المحكم المتزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين)[١].

وقال – رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا** ﴾ [النساء:٦٠]. :

(والآية أعم من ذلك كله ، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة. وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل،وهو المراد بالطاغوت هاهنا)[٢].

(والمراد بالطاغوت في الآية: كل ما عدل عن كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ إلى التحاكم إليه من نظم وقوانين وضعية أو تقاليد وعادات متوارثة أو رؤساء قبائل ليفصل بينهم بذلك، أو بما يراه زعيم الجماعة أو الكاهن. ومن ذلك يتبين: أن النظم التي وضعت ليتحاكم إليها مضاهاة لتشريع الله داخلة في معنى الطاغوت)[٣].

(١) [البداية والنهاية: ١١٩/١٣] .

(٢) [تفسير ابن كثير: ٤٤٥/١].

(٣) [فتوى اللجنة الدائمة: عبد العزيز بن باز–عبد الرزاق عفيفي : فتوى رقم:٨٠٠٨ :١/٥٤٢].





يقول الشيخ ابن باز:

(فلا يتم إيمان العبد إلا إذا آمن بالله، ورضي حكمه في القليل والكثير، وتحاكم إلى شريعته وحدها في كل شأن من شئونه، في الأنفس والأموال والأعراض، وإلا كان عابدا لغيره، كما قال تعالى: :﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ** ﴾ [النحل:٣٦]. فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلى وحيه، فهو العابد له ، ومن خضع لغيره ، وتحاكم إلى غير شرعه ، فقد عبد الطاغوت ، وانقاد له)[١]

يقول الشيخ ابن أبي العز :

(فهما توحيدان ، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل ،توحيد متابعة الرسول، فلا نحاكم إلى غيره، ولا نرضى بحكم غيره)[٢].

(١) [وجوب تحكيم شرع الله لابن باز: صـــ٥-٦].

(٢) [شرح الطحاوية: صـــ٢٠٠] .



تنبيهات:

١. هل التحاكم اليوم في ديار ليس فيها محاكم شرعية[١] يُعد كفرا بالله؟

لا يكون التحاكم مكفرا إلا إذا أدرك المكلف شرائع الله في نفسه وماله وعرضه بأن تكون الشرائع ماثلة ممكنا منها ثم يعدل عنها إلى شرائع الجاهلية. [٢]

لأن العدول عن الحكم الشرعي والحاكم الشرعي مع وجوده إلى غيره، كمن عدل عن الرسول وتحاكم إلى كعب بن الأشرف، هو المناط المكفر.

[والعدول] هو الوصف الظاهر المنضبط المعبر عن الرضا والإرادة لشرع غير شرع الله، كما قال ابن كثير:

(والآية أعم من ذلك كله فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل) [٣].

ويقول القرطبي في تفسير الآيات : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ**

---

(١) (مرجع التشريع القائم في مصر اليوم في أصوله التاريخية إلى القانون الفرنسي، ففي سنة١٨٧٥م أنشئت المحاكم المختلطة ثم صدرت القوانين التي تطبقها، وفي سنة١٨٨٣م أنشئت المحاكم الأهلية للفصل في منازعات المصريين وأصدرت لها ست تقنيات أخرى وُضعت كلها باللغة الفرنسية، ونُقلت نقلا يكاد أن يكون حرفيا من نظائرها في فرنسا، وظل الأمر كذلك حتى سنة ١٩٤٩م حيث طُبق القانون المدني الحالي الذي لا يعدو أن يكون امتدادا لسابقه القديم وطُبق كذلك قانون المرافعات وتوالت بعد ذلك التقنيات التي استمدت في مجملها من الأصول الفرنسية ذاتها، وبذلك تكون أحكام الشريعة قد ظلت من الناحية الرسمية هي قوانين الدولة إلى أن وُضعت القوانين الحديثة في أواخر القرن الماضي.
أما القضاء الشرعي في مصر فقد أُلغي بالقانون رقم ٦٤٢ لسنة ١٩٥٥ اعتبارا من أول يناير لسنة ١٩٥٦م كما نص هذا القانون الآثم على إحالة الدعاوى المنظورة أمام القضاء الشرعي إلى المحاكم الوطنية).

(٢) انظر : تفسير الألوسي والنسفي وابن كثير في الآية ٦٠ من سورة النساء.

(٣) [تفسير ابن كثير: ١/٤٤٥].





وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء:٦٠-٦٢] . يقول:

(﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ ...وقيل المعنى: ما أردنا بالعدول عنك في المحاكمة إلا التوفيق بين الخصوم والإحسان بالتقريب في الحكم)[1].

ويُظهر ذلك قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران:٢٣].

﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٤٨-٥١] .

(١) [تفسير القرطبي:٥/٢٣٣]. [ط.دار الحديث]



٢. **هل يجوز التحاكم إلى المحاكم الوضعية وإن انتفى المناط المكفر**

نعم يجوز التحاكم إلى المحاكم الوضعية في حالة غياب سلطان لحكم الله يرد الحقوق إلى أهلها ولا شوكة للمسلمين وقوة يستنصر بها المستضعفون الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ويأوون إليها- وتكون بمثابة الضرورة [١]لاستيفاء الحقوق [٢] بشروط.

٣. **وما هي تلك الشروط:**

أولًا: أن يكون له حق شرعي في محل النزاع كمن سرق ماله.

ثانياً: أن يستفرغ وسعه في الوصول إلى حقه الشرعي قبل التحاكم، كمحاولة الإمساك بالسارق أو البحث عن المسروق..

ثالثاً: أن يترتب على ترك التحاكم حرج ، كأن يكون مالا ذا قيمة.

رابعاً:أن يكون كارها للحكم بغير ما أنزل الله.

خامسا: أن يطلب رد المظلمة لا إجراء العقوبة مادامت العقوبة مخالفة لشرع الله؛ وهو رد المال المسروق.

---

(١) (الضرورة بالمعنى الأعم: هو كل ما يستدعي حكما استثنائيا مخالفا لمقتضى القواعد العامة أو مبيحا للفعل أو رافعا للإثم والحرج) [نظرية الضرورة للدكتور وهبة الزحيلي: ص١٤٣]. [ط.دار الفكر المعاصر] .

(٢) ويشهد لذلك حديث أنس ﷺ قال: « لما افتتح رسول الله ﷺخيبر، قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله إن لي بمكة مالا، وإن لي بها أهلا، وإني أريد أن آتيهم أفأنا في حل إن أنا نلت منك أو قلت شيئا؟ فأذن له رسول الله ﷺأن يقول ما شاء... » قال ابن كثير: (هذا الإسناد على شرط الشيخين) ، انظر [البداية والنهاية لابن كثير:٢/٦٥٦-٦٥٧].

يقول الشيخ عبد الله القرني: (ولا يلزم من هذا أن كل من تحاكم إلى المحاكم التي تحكم بالقوانين الوضـــعية لابد أن يكون كافراً بل قد يضطر المسلم لتخليص حقوقه ونحو ذلك إلى التحاكم إليها مع عدم رضاه عنها فلا يكون كافرا بل يكون حكمه حكم المضطر) .[أنوار الرحمن في إسقاط الأحكـــام: ص١٧٤] [ط.دار الإبداع للتوزيع]





فإن كان حكمهم قطع يد السارق قبله – لكونه موافقا للشرع لا لكونه حكما لهم – وإلا لم يقبله.

سادسا: ألا تكون العقوبة أكثر مما هو مقرر شرعا؛ لأنها لو كانت أكثر مما هو مقرر شرعا فقد أعنا على الظلم.كأن يكون قانون الدولة قتل السارق ، فلا يجوز(١).

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين : هل يجوز أن نتحاكم إلى من يحكمون بالقوانين الوضعية إذا كنا محقين أو نترك حقوقنا للضياع؟ فأجاب :

(ذكر ابن القيم –رحمه الله– في أول كتاب الطرق الحكمية أن من الفقهاء من قال لا تتحاكم إليهم، وقال: هذا لا يمكن أن تصلح به أحوال الناس لا سيما مع كثرة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، فلك أن تتحاكم إليهم لكن لو حكم لك بغير ما أنزل الله فرُده . أما أن تضيع حقوق الناس فلا، لأنه ربما تكون أملاك وفيها ورثة كثيرون فلا يجوز أن نضيعها من أجل أن هذا يحكم بالقانون، بل نتحاكم إليه فإن حكم بالحق فالحق مقبول من أي إنسان، وإلا فلا) (٢).

---

(١) يقول ابن تيمية: (فينبغي للعالم أن يتدبر أنواع هذه المسائل وقد يكون الواجب في بعضها – كما بينته فيما تقدم –: العفو عن الأمر والنهي في بعض الأشياء، لا التحليل والإسقاط مثل أن يكون في أمره بطاعة فعلا لمعصية أكبر منها فيترك الأمر بها دفعا لوقوع تلك المعصية مثل أن ترفع مذنبا إلى ذي سلطان ظالم فيعتدي عليه في العقوبة ما يكون أعظم ضررا من ذنبه ...). [مجموع الفتاوى:٢٠/٥٨]

(٢) [الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين: باب الوكالة ٤/ ٢٤٤]. [ط. دار ابن الهيثم] .



يقول ابن القيم في معرض الكلام عن أقسام أهل البدع:

(القسم الثالث : أن يسأل ويطلب ويتبين له الهدى ويتركه تقليدا وتعصبا أو بغضا و معاداة لأصحابه ، فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقا وتكفيره محل اجتهاد وتفصيل، فإن كان معلنا داعية ردت شهاداته وفتاويه وأحكامه مع القدرة على ذلك ولم تقبل له شهادة ولا فتوى ولا حكم إلا عند الضرورة، كحال غلبة هؤلاء واستيلائهم وكون القضاة والمفتين والشهود منهم، ففي رد شهادتهم وأحكامهم إذ ذاك فساد كثير ولا يمكن ذلك فتقبل للضرورة) [1].

(١) [الطرق الحكمية: ص١٩٢]. [ط. المكتبة التوفيقية] .

وفي كل حالة جاز للفرد طلب حقه بالشروط التي ذكرناها جاز أن يوكل عنه محاميا متكلما عنه، وعليه: فالعامل بمهنة المحاماة ليس له إلا الأبواب التي يجوز فيها التحاكم بالشروط السابقة.

وليحذر قوله تعالى:﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (فنهى الله عز وجل رسوله عن عضد أهل التهم والدفاع عنهم بما يقوله خصمهم من الحجة. وفي هذا دليل على أن النيابة عن المبطل والمتهم في الخصومة لا تجوز، فلا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه محق). [تفسير القرطبي: ٣٢٨/٥]. [ط. دار الحديث]





٤. **هل يحل لأحد دعي إلى التحاكم إلى شرع الله أن يعرض عنه؟**

لا يحل لأحد دُعي إلى التحاكم إلى الشرع أن يُعرض عنه، **قال تعالى:**

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦١].

﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٤٨-٥١]

(أي إذا دعوا إلى التحاكم إلى ما أنزل الله وإلى الرسول أعرضوا إعراضا مستكبرين كما قال تعالى: **﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾** [النور:٤٨]. ، قال ابن القيم: هذا دليل على أن من دعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فلم يقبل وأبى ذلك أنه من المنافقين) (١).

فتحاكم المسلمين إلى الشريعة بعيدا عن المحاكم الكافرة واجب عليهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، والقدرة مناط التكليف، كما قال تعالى: **﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾** [التغابن:١٦].

وقال رسول الله ﷺ: « **وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم** » (٢).

---

(١) [تيسير العزيز الحميد: صـ٥٥٧] .

(٢) رواه البخاري:[٦٧٤٤/كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/باب: الاقتداء بسنن رسول الله].



٥. فما البديل في حالة غياب القضاة الشرعيين ؟

ينبغي أولا أن نعلم أن القضاء نوعان:

يقول ابن تيمية :

(فالقضاء نوعان:

أحدهما [١]: الحكم عند تَجَاحُد الخَصْمَين، مثل: أن يدعي أحدهما أمرًا يكذبه الآخر فيه فيحكم فيه بالبينة ونحوها.

والثاني: ما لا يتجاحدان فيه ــ يتصادقان ــ ولكن لا يعلمان ما يستحق كل منهما كتنازعهما في قسم فريضة، أو فيما يجب لكل من الزوجين على الآخر، أو فيما يستحقه كل من الشريكين، ونحو ذلك.

فهذا الباب هو من أبواب الحلال والحرام، فإذا أفتاهما[٢] من يرضيان بقوله كفاهما ذلك، ولم يحتاجا إلى من يحكم بينهما، وإنما يحتاجان إلى حاكم عند التجاحد، وذاك إنما يكون في الأغلب مع الفجور، وقد يكون مع النسيان؛ فأما الحلال والحرام فيحتاج إليه كل أحد من بَرٍّ وفاجر، وما يختص بالقضاء لا يحتاج إليه إلا قليل من الأبرار.

ولهذا لما أمر أبو بكر عمر أن يقضي بين الناس، مكث حَوْلًا لم يتحاكم اثنان في شيء) [٣].

---

(١) وهذا ما يجوز فيه التحاكم بالشروط السابقة.

(٢) يقول ابن تيمية: (وما يجوز أن يحكم به الحاكم يجوز أن يفتي به المفتي بالإجماع) [مجموع الفتاوى: ٣٠٣/٢٧].ويقول ابن القيم: (وأما القاضي فإنه يلزم بقوله، فيشترك هو والمفتي بالإخبار عن الحكم ويتميز القاضي بالإلزام والقضاء) [أعلام الموقعين: ٢٩/١]. [ط. دار الحديث] .

(٣) [مجموع الفتاوى: ٤٠٩/٤-٤١٠]. وانظر [منهاج السنة النبوية:٢٧٥/٧].[ط.دار الحديث] .



فإن تعذر القضاء بالمعنى الأول على وجهه الشرعي وكان حكمه حكم الضرورة كما بينا في التحاكم إلى القوانين الوضعية بالشروط السابقة، فلن يتعذر القضاء بالمعنى الثاني لوجود أهل الفتوى إلا في حالة التجاحد وإعراض الخصم عن التحاكم للشرع.

قال القرطبي :

(قال مالك –رحمه الله-: إذا حكّم رجل رجلا فحكمه ماضٍ، وإن رُفع إلى قاضٍ أمضاه، إلا أن يكون جورا بينا. وقال سحنون: يمضيه إن رآه صوابا، قال ابن العربي: وذلك في الأموال والحقوق التي تختص بالطالب، فأما الحدود فلا يحكم فيها إلا السلطان؛ والضابط: أن كل حق اختص به الخصمان جاز التحكيم فيه ونفذ تحكيم المحكم فيه، وتحقيقه: أن التحكيم بين الناس إنما هو حقهم لا حق الحاكم ... وقال الشافعي وغيره: التحكيم جائز وإنما هو فتوى) [1].

وقال- رحمه الله :

(لأنه إذا أفتى وحكم وقضى وفصل بين الحلال والحرام، والفرض والندب والصحة والفساد فجميع ذلك أمانة تؤدى وحكم يقضى) [2].

(١) [تفسير القرطبي: ٦/٥٣٥].

(٢) [تفسير القرطبي: ٥/٢٢٨].

٦. هل يجوز لجوء المسلم المستضعف إلى كافر يحميه أو يرد مظلمته أو يجيره أو ينصره ممن لا يردعه إلا ذلك- في حالة عدم وجود سلطان وشوكة لشرع الله ؟

نعم يجوز ويؤيد ذلك ما ذكره ابن كثير عن محمد بن إسحاق قال:

(فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله عز وجل ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد ...)[١]

وهذا يعني أنهم سيكونون في حكمه وسلطانه.

وكذلك مدح النبي حلف الفضول مع أنه كان حلفا جاهليا، وقد شهده النبي، وهو غلام، وقد قال عنه : « **فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه**» [٢] ، وفي رواية: « **لو دعيت به في الإسلام لأجبت** ».

وحلف الفضول حلف قائم على رد المظالم ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وإن كان القائمون عليه كفاراً.

قال القرطبي :

(ذكر ابن إسحاق قال: اجتمعت قبائل من قريش في دار عبد الله بن جدعان – لشرفه ونسبه – فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو غيرهم إلا قاموا معه حتى تُرَدَّ عليه مظلمته؛ فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ : «**لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب**

---

(١) [البداية والنهاية: ٢/٨٠]- [السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول: ص٣٢١-٣٢٢]، و[فتح الباري:٧/١٨٨].

(٢) أخرجه أحمد في [المسند برقم: ١٦٥٥]، وصححه الشيخ أحمد شاكر. كما أخرجه البخاري في [الأدب المفرد] ، وصححه الشيخ الألباني في [السلسلة الصحيحة برقم: ١٩٠٠].



أن لي به حمر النعم ولو أدعي به في الإسلام لأجبت ». وهذا الحلف هو المعنى المراد في قوله ﷺ: « **وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة** » لأنه موافق للشرع إذ أمر بالانتصاف من الظالم)[١].

وكذلك ما ذكره أهل السير عن رسول الله ﷺ حيث دخل مكة في جوار مطعم بن عدي[٢].

يقول ابن حزم:

(وأما من فر إلى أرض الحرب لظلم خافه و لم يحارب المسلمين ولا أعانهم عليهم و لم يجد في المسلمين من يجيره، فهذا لا شيء عليه لأنه مضطر مكره)[٣].

وليس في هذه الصورة التي ذكرناها عدولاً عن سلطان لحكم الله موجود ، أو عدولاً عن الاستنصار بقوة المسلمين وشوكتهم، وذلك هو المناط[٤] الذي تتزل عليه الآيات والله أعلم.

---

(١) [تفسير القرطبي: ٦/٤١٢].

(٢) [انظر سيرة ابن هشام:١/٣٨١].و[زاد المعاد: ٢/٤٦-٤٧].و[الرحيق المختوم: ص١٥٢]. [ط.دار الوفاء]

(٣) [المحلى:١٣/١٣٨].

(٤) يقول ابن تيمية: (فأما تحقيق المناط فهو متفق عليه بين المسلمين وهو أن ينص الله على تعليق الحكم بمعنى عام كلي فينظر في ثبوته في آحاد الصور أو أنواع ذلك العام). [منهاج السنة النبوية:٢/٢١٤].

فلابد من فقه الواقع (والمراد بفقه الواقع: الاجتهاد في تحقيق المناط سواء كان تحقيق المناط العام أم تحقيق المناط الخاص، وتحقيق المناط العام هو: تطبيق الأحكام الثابتة بأدلتها الشرعية من الكتاب والسنة أو غيرهما من الأدلة على الوقائع والنوازل ...

وتحقيق المناط الخاص: نوع من أنواع تحقيق المناط العام، وهو النظر في كل مكلف بالنسبة إلى ما وقع عليه من الدلائل التكليفية نظرة تأمل في حاله وهو أدق من تحقيق المناط العام، لأن المجتهد هنا يراعي اختلاف حال الأشخاص بل واختلاف حال الشخص الواحد من وقت إلى وقت ومن مكان إلى مكان). [الأستاذ الدكتور: حسين الترتوري من كتابه: وسطية الإسلام وواقعيته]. [ط.دار ابن الجوزي] .



٧. هل ذكر أحد من أهل العلم أن للعجز في هذه المسألة أحكامه الخاصة؟

نعم قد بين الإمام ابن تيمية أن للعجز أحكامه الخاصة، فيقول –رحمه الله–:

(وكذلك الحاكم الجاهل أو الظالم أو المفضول إذا طلب المظلوم منه أن ينصفه ويحكم له بحقه فيحبس له غريمه أو يقسم له ميراثه، أو يزوجه بأيم لا ولي لها غير السلطان أو نحو ذلك فأي شيء عليه من إثمه أو إثم من ولاه وهو لم يستعن به إلا على حق لا على باطل، وقد قال تعالى: ﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ** ﴾ [التغابن:١٦].، وقال النبي ﷺ : « **إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ماستطعتم** »[١])[٢].

ويقول – رحمه الله :

(فالشارع لا ينظر في الاستطاعة الشرعية إلى مجرد إمكان الفعل بل ينظر إلى لوازم ذلك فإذا كان الفعل ممكنا مع المفسدة الراجحة لم تكن هذه استطاعة شرعية كالذي يقدر أن يحج مع ضرر يلحقه في بدنه أو ماله أو يصلي قائما مع زيادة مرضه أو يصوم الشهرين مع انقطاعه عن معيشته ونحو ذلك، فإن كان الشارع قد اعتبر في المُكنة عدم المفسدة الراجحة فكيف يكلف مع العجز؟)[٣].

ويقول – رحمه الله :

(والكافر والفاسق إذا أمر بما هو طاعة لله لم تحرم طاعة الله ولا يسقط وجوبها لأجل أمر ذلك الفاسق بها كما أنه إذا تكلم بحق لم يجز تكذيبه ولا يسقط وجوب اتباع الحق لكونه قد قاله فاسق، فأهل السنة لا يطيعون ولاة الأمور مطلقا إنما يطيعونهم في ضمن طاعة الرسول ﷺ)[٤].

---

(١) صحيح: وقد سبق تخريجه.

(٢) [منهاج السنة: ٣/٢٤].

(٣) [منهاج السنة: ٣/٢٤].

(٤) [منهاج السنة: ٣/١٦٦].





قال ابن عابدين:

(ولهذا قالوا في شروط الاجتهاد أنه لابد من معرفة عادات الناس، فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله أو لحدوث ضرورة أو فساد أهل الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولا للزم منه المشقة والضرر بالناس ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد ...) (١).

ويقول ابن القيم :

(ومن قواعد الشرع الكلية أنه لا واجب مع عجز ولا حرام مع ضرورة) (٢).

ويقول- رحمه الله:

(وأما الرضى بنبيه رسولا : فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ولا يحاكم إلا إليه ولا يحكم عليه غيره ولا يرضى بحكم غيره ألبتة لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه لا يرضى في ذلك بحكم غيره ولا يرضى إلا بحكمه.

فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يقيته إلا من الميتة والدم وأحسن أحواله : أن يكون من باب التراب الذي إنما يتيمم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور) (٣).

---

(١) [مجموعة رسائل ابن عابدين: ٢/ ١٢٣].

(٢) [إعلام الموقعين: ٢/٣٨].

(٣) [تهذيب مدارج السالكين: ص٣١٣]. [ط. المكتبة التوفيقية].



ثالثاً: التحكيم :

وهو وضع الشريعة أو الشخص موضع الحكم ليُرجع إليه أو إليها عند التنازع.

ومن أدلة التحكيم:

قول الله تعالى:

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٩].

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٤٧].

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٢٥-٢٨] .

قال ابن حزم :

(فنص تعالى وأقسم بنفسه أنه لا يكون مؤمنا إلا بتحكيم النبي ﷺ في كل ما عنَّ ، ثم يسلم بقلبه، ولا يجد في نفسه حرجاً مما قضى، فصح أن التحكيم شيء غير التسليم بالقلب وأنه هو الإيمان الذي لا إيمان لمن لم يأت به) [1].

(١) [الفصل في الملل والنحل: ٣/٢٣٥].



يقول ابن تيمية :

(ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول في كل ما شجر بين الناس في أمر دينهم ودنياهم في أصول الدين وفروعه، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء أن لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما حكم ويسلموا تسليما)[١].

ويقول- رحمه الله :

(معارضة أقوال الأنبياء بأقوال الرجال وتقديم ذلك عليها هو من فعل المكذبين للرسل بل هو جماع كل كفر كما قال الشهرستاني في أول كتابه المعروف بالملل والنحل ما معناه: أصل كل شر هو معارضة النص بالرأي وتقديم الهوى على الشرع، وهو كما قال)[٢].

قال الإمام الشوكاني :

(وانظر ما اشتملت عليه هذه الآية الشريفة مما هو موعظة للمتعظين، وعبرة للمعتبرين، فإنه أولا بدأ فيها بالقسم الرباني وأقسم بنفسه -عز وجل وتقدس- مشرفاً لهﷺ بإضافة الربوبية إليه جازماً بنفي الإيمان عمن خالف هذا القسم الرباني، فقال: لا يؤمنون، ثم جعل ذلك غاية؛ هي تحكيمه فيما شجر بين العباد ثم لم يكتف بذلك حتى قال: :﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾ فلا ينفع مجرد التحكيم لكتاب الله وسنة رسوله حتى لا يكون في صدر المحكم لهما حرجا من ذلك القضاء.

ثم لم يكتف بذلك حتى قال: :﴿ وَيُسَلِّمُواْ ﴾ فلا ينفع مجرد التحكيم لهما مع عدم الحرج عليه بهما حتى يسلم ما عليه أوجبه القضاء بهما، ثم جاء بالتأكيد لهذا التسليم المقيد أنه أمر لا مخلص منه ولا خروج منه، فكيف يجد من كان وليا لله سبحانه

---

(١) [مجموع الفتاوى:٧/٣٧-٣٨].

(٢) [درء تعارض العقل والنقل: ٥/٢٠٤].

حرجا في صدره على خصمه المطالب له بحق يحق عليه التخلص منه أو على حاكمه الذي حكم به عليه.

فإن هذا ليس بصنيع أهل الإيمان بالله، فكيف بأوليائه الذين ضموا إلى الإيمان ما استحقوا به اسم الولاية) [(١)].

يقول ابن القيم :

(فأقسم : أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله وحتى يرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه وحتى يسلموا لحكمه تسليما وهذا حقيقة الرضى بحكمه، فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان) [(٢)].

يقول ابن كثير :

(يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال: :﴿ **ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كلياً، من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة) [(٣)].

---

(١) [قطر الولي على حديث الولي:صـ ٧٤-٧٥]. [ط. دار الكتب العلمية] .

(٢) [تهذيب مدارج السالكين: ص٣٢٢]. وانظر قوله: -رحمه الله - في نونيته:

(وقد أقسم الله العظيم بنفسه*** قسما يبين حقيقة الإيمان

أن ليس يؤمن من يكون محكما***غير الرسول الواضح البرهان) وشرح الشيخ خليل الهراس لها : [القصيدة النونية: ٢٥٩/١].

(٣) [تفسير ابن كثير: ١/ ٥٢٠].



ويقول الشيخ الشنقيطي:

(ولا شك أن النتائج الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن الكتاب والسنة من جملتها ما عليه المسلمون في واقعهم الآن من تحكيم القوانين الوضعية المنافي لأصل الإسلام.لأن الكفار إنما اجتاحوهم بفصلهم عن دينهم بالغزو الفكري عن طريق الثقافة وإدخال الشبه والشكوك في دين الإسلام) (١).

ويقول – رحمه الله :

(وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله عز وجل على ألسنة رسله أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم) (٢).

يقول الشيخ أحمد شاكر :

(إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس؛ هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام كائنا من كان في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها، فليحذر امرؤٌ لنفسه، وكل امرئ حسيب نفسه) (٣).

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم:

(ولعلك أن تقول: لو قال من حكم القوانين: أنا أعتقد أنه باطل، فهذا لا أثر له بل هو عزل للشرع، كما لو قال أحد: أنا أعبد الأوثان وأعتقد أنها باطل) (٤).

---

(١) [الإقليد للأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد للشنقيطي: ص٢٢٣]. [ط. مكتبة ابن تيمية]

(٢) [أضواء البيان: ٨٤/٤] .

(٣) [عمدة التفسير : مختصر تفسير ابن كثير لأحمد شاكر: ١٧١/٤]. [ط. دار المعارف] وانظر تعليق الأستاذ محمود شاكر على [تفسير الطبري: ٣٤٨/١٠-٣٤٩].

(٤) [فتاوى ورسائل الشيخ: ١٨٨/٦].



يقول الشيخ صلاح الصاوي:

(إن أبرز صور التولي عن الحكم الشرعي في واقعنا المعاصر تتمثل فيما يجري عليه العمل في بلاد المسلمين؛ من تحكيم القوانين الوضعية بما تتضمنه من إبطال الأحكام الشرعية في أغلب شئون الدولة ، وإباحة عامة للتحاكم إلى غير ما أنزل الله في ذلك كله بل الإلزام بذلك وفتنة من خالفه) (١).

يقول الشيخ ابن باز :

(ومما تقدم يتبين لك أيها المسلم أن تحكيم شرع الله والتحاكم إليه مما أوجبه الله ورسوله، وأنه مقتضى العبودية لله والشهادة بالرسالة لنبيه محمد ﷺ، وأن الإعراض عن ذلك أو شيء منه موجب لعذاب الله وعقابه، وهذا الأمر سواء بالنسبة لما تعامل به الدولة رعيتها، أو ما ينبغي أن تدين به جماعة المسلمين في كل مكان وزمان.

وفي حال الاختلاف والتنازع الخاص والعام، سواء كان بين دولة وأخرى، أو بين جماعة وجماعة، أو بين مسلم وآخر، الحكم في ذلك كله سواء، فالله سبحانه له الخلق والأمر، وهو أحكم الحاكمين، ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآراءهم خير من حكم الله ورسوله، أو تماثله وتشابهه، أو أجاز أن يحل محلها الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية، وإن كان معتقدا بأن أحكام الله خير وأكمل وأعدل) (٢).

---

(١) [الثوابت والمتغيرات: صــ١١٤].

(٢) [رسالة وجوب تحكيم شرع الله لابن باز: صــ١٢-١٣]. [ط.دار الألباني] .



تنبيهات :

١. بيان الفرق بين النظام الإداري والشرعي

يقول الشيخ الشنقيطي :

(اعلم أنه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السموات والأرض، وبين النظام الذي لا يقتضي ذلك.

وإيضاح ذلك – أن النظام قسمان:

١. إداري ٢. وشرعي.

١. **أما الإداري** الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع، فهذا لا مانع منه، ولا مخالف فيه من الصحابة، فمن بعدهم.

وقد عمل عمر ﷺ من ذلك أشياء كثيرة ما كانت في زمن النَّبي ﷺ. ككتبه أسماء الجند في ديوان لأجل الضبط، ومعرفة من غاب ومن حضر – كما قدمنا إيضاح المقصود منه في سورة [بني إسرائيل] في الكلام على العاقلة التي تحمل دية الخطأ – مع أن النَّبي ﷺ لم يفعل ذلك، ولم يعلم بتخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك إلا بعد أن وصل تبوك ﷺ. وكاشترائه – أعني عمر ﷺ – دار صفوان بن أمية وجعله إياها سجناً في مكة المكرمة، مع أنه ﷺ لم يتخذ سجناً هو ولا أبو بكر. فمثل هذا من الأمور الإدارية التي تفعل لإتقان الأمور مما لا يخالف الشرع – لا بأس به. كتنظيم شؤون الموظفين، وتنظيم إدارة الأعمال على وجه لا يخالف الشرع. فهذا النوع من الأنظمة الوضعية لا بأس به، ولا يخرج عن قواعد الشرع من مراعاة المصالح العامة.

٢.**وأما النظام الشرعي** المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض، فتحكيمه كفر بخالق السماوات والأرض. كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، وأنهما يلزم استواؤهما في الميراث. وكدعوى أن تعدد الزوجات ظلم،



وأن الطلاق ظلم للمرأة، وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان، ونحو ذلك.

فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنساهم وعقولهم وأدياهم كفر بخالق السموات والأرض، وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق كلها وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالى عن أن يكون معه مشرع آخر علواً كبيراً) [١].

(١) [أضواء البيان: ٨٢/٤].

٢- الفرق بين التشريع والبدعة .

البدعة[١]: ما قصد بها المبتدع مضاهاة الشريعة فيما ليس فيه دليل بشبهة دليل لهوى في نفسه مع التزامه برد الأمر إلى الله ورسوله، ولذلك سموا أهل البدع والأهواء.

أما التشريع: فهو كما بيَّنا منازعة لله في أخص خصائص الربوبية وهو التحليل والتحريم.

ومن ذلك نعلم أن:

أ – البدعة قد تكون مكفرة وقد تكون غير مكفرة بينما التشريع لا يكون إلا كفرا وشركاً

قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَـٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ** ﴾ [الأنعام:١٢١] .

يقول الشيخ الشنقيطي :

(هو قسم من الله أقسم به جل وعلا في هذه الآية الكريمة على أن من أطاع الشيطان في تشريعه تحليل الميتة أنه مشرك وهو شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية بإجماع المسلمين)[٢].

---

(١) البدعة في اللغة: (مأخوذة من البدْع وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿ **بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ** ﴾ ؛ أي مخترعها على غير مثال سابق) انظر [لسان العرب: ٣٥١/٩] ، و[مقاييس اللغة: ٢٠٩/١،٢١٠]. و[النهاية في غريب الحديث: ١٠٧/١].وعرفها الشاطبي بأنها: (طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه).[الاعتصام للشاطبي:٣٧/١].

(٢) [تمام النعمة بالدين الكامل: صـ١٩].

ب- المبتدع مقر ولو في الظاهر بالتزام شرع الله ورد التزاع إلى الله ورسوله في الجملة بينما المشرع من دون الله أهدر الشرع و لم يقصد بتحليله الحرام أو تحريمه الحلال القربى، ولا يتصور منه ذلك.

ومثاله في البدعة: من أوَّل الصفات ظن أن في ذلك تتريه للبارئ سبحانه وتعالى عن مماثلة المخلوقين مع ليِّ النصوص وتقديم المتشابه على المحكم.

بينما من أحل الخمر والزنا مع علمه بالتحريم كان كافرا ولا يُتصور فيها معنى القربى.

فالحاصل أن البدعة ليست تشريعا مطلقا لرجوعها إلى شبهة دليل وإن خالطها الهوى وتقديم المتشابه على المحكم.

٣- الطاعة في الأمر والنهي :

ذكرنا أن للطاعة نوعين:

١- طاعة في التحليل والتحريم ٢- طاعة في التزام الشرع

وهناك نوع ثالث ؛ وهو الطاعة في الأمر والنهي ، ولكننا لم نذكره لأن المخالف فيه عاص وليس بكافر(١).

يقول ابن تيمية :

(وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ ﴾ [آل عمران:١٥٢] ، فأخبر عن معصية واقعة معينة، وهي معصية الرماة للنبيﷺ ؛ حيث أمرهم بلزوم ثغرهم، وإن رأوا المسلمين قد انتصروا، فعصى من عصى منهم هذا الأمر، وجعل أميرهم يأمرهم لما رأوا الكفار منهزمين، وأقبل من أقبل منهم على المغانم. وكذلك قوله:﴿ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ ﴾ [الحجرات:٧] ، جعل ذلك ثلاث مراتب. وقد قال: ﴿ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ ﴾ [الممتحنة:١٢] ، فقيد المعصية؛ ولهذا فسرت بالنياحة، قاله ابن عباس، وروي ذلك مرفوعًا. وكذلك قال زيد بن أسلم: لا يدعن ويلًا، ولا يخدشن وجهًا،ولا ينشرن شعرًا، ولا يشققن ثوبًا، وقد قال بعضهم: هو جميع ما يأمرهم به الرسول من شرائع الإسلام وأدلته)(٢).

يقول أبو عمر بن عبد البر في التمهيد:

(وأهل الذنوب عندهم – أي عند أهل السنة والجماعة – مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر.

---

(١) إلا ما ذكره أهل العلم من الخلاف في حكم تارك المباني الأربعة أو واحدة منها، انظر تفصـــيل المســـألة في [كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية: صـــ١٢٦-١٢٧].

(٢) [كتاب الإيمان لابن تيمية: صـــ ٤٢].



ألا ترى إلى قول النبي ﷺ : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[1] الحديث ، يريد: مستكمل الإيمان ، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك) [2].

فإذا تبين الفرق بين: **المعصية** – وهي ما لم يوضع على مضاهاة التشريع من المخالفات الشرعية كالسرقة والزنا والكذب كما قال تعالى:﴿ **وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران:١٥٢].

وبين **البدعة** وهي ما قصد به المبتدع مضاهاة الشريعة فيما ليس فيه دليل بشبهة دليل لهوى في نفسه مع التزامه برد الأمر إلى الله ورسوله، كما قال : « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » [3].

كبدعة الاحتفال بالموالد التي ابتدعتها الصوفية أو بدعة إخراج الأعمال من مسمى الإيمان كما ابتدعتها المرجئة، أو بدعة التكفير بالكبيرة كما ابتدعتها الخوارج،وبين التشريع المطلق: وهو تحليل الحرام المجمع عليه أو تحريم الحلال المجمع عليه، كما قال تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ** ﴾ [الشورى:٢١]، وقال سبحانه:﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾ [التوبة:٣١].كما يفعله مشرعي القوانين الوضعية ومجالس التشريع الذين نصبوا من أنفسهم أربابا يحلون ويحرمون بأهوائهم مصرحين بأن الأمة مصدر السلطات معرضين عن شريعة الله مهدرين لحقه سبحانه في التشريع.

فمن تبين له هذه الفروق زالت عنه الشبهة في هذا الباب ونجا من الإفراط والتفريط بإذن الله.

---

(١) رواه البخاري: [٢٢٩٥/كتاب المظالم والغصب/باب: النهي عن النهب والمثلة] .

(٢) [الإيمان لابن تيمية: ص ١٩٦].

(٣) رواه البخاري: [٢٤٩٩/كتاب الصلح/باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود] .



٤. أن التحكيم مقدم على الحكم والتحاكم :

التحكيم مقدم على الحكم والتحاكم لأنه واجب مشترك بين جميع المكلفين سواء كانوا حكاماً أو محكومين، ولا يصح إيمان المكلف إلا بتحكيم شرع الله وقبول حكمه والإذعان له جملة وعلى الغيب، فقبول الحكام قبل الدخول في آحاد الأعمال.

قال تعالى:﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء:٦٥].

يقول ابن حزم :

(هذا نص لا يحتمل تأويلاً، ولا جاء نص آخر يخرجه عن ظاهره أصلاً، ولا جاء برهان بتخصيصه في بعض وجوه الإيمان) [١].

وللناس ثلاثة أحوال في حالة غياب تحكيم شرع الله:

١. من أنكر فقد سلم

٢. ومن كره فقد برئ

٣. ومن رضي وتابع فقد هلك

قال رسول الله ﷺ : « **إنه يُستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع** » [٢].

وقال النبي ﷺ:« **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان** »[٣] .

---

(١) [الفصل في الملل والنحل: ٣/٢٤٩].

(٢) رواه مسلم : [١٨٥٤/كتاب الإمارة/باب: وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع] ، وفي لفظ: « **فمن أنكر فقد برىء ومن كره فقد سلم** ».

(٣) رواه مسلم:[٤٩/كتاب الإيمان/باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان] .



وعن عبد الله بن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ قال: « **ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنهم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** » (١).

وقال النبي ﷺ: « **إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى تعمل الخاصة بعمل تقدر العامة أن تغيره ولا تغيره فذلك حين يأذن الله في هلاك العامة والخاصة**»(٢).

وإليك أقوال أهل العلم في هذه الأحاديث:

يقول الإمام النووي :

(فأما رواية من روى: « **فمن كره فقد برئ** » فظاهرة ، ومعناها: من كره ذلك المنكر فقد برئ من إثمه وعقوبته وهذا حق من لا يستطيع إنكاره بيده ولا بلسانه فيكرهه بقلبه وليبرأ .

وأما من روى: « **فمن عرف فقد برئ** » فمعناه : والله أعلم فمن عرف المنكر ولم يشتبه عليه فقد صارت له طريق إلى البراءة من إثمه وعقوبته بأن يغيره بيده أو بلسانه فإن عجز فليكرهه بقلبه، وقوله ﷺ « **ولكن من رضي وتابع** » معناه : ولكن الإثم والعقوبة على من رضي وتابع، وفيه دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم لمجرد السكوت بل إنما يأثم بالرضى به أو بأن لا يكرهه) (٣).

---

(١) رواه مسلم: [٥٠/كتاب الإيمان/باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان] .

(٢) حديث حسن: رواه الطبراني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٦٨/٧]: رجاله ثقات وله شواهد في شرح السنة [٣٤٦/١٤]، ويراجع [مشكاة المصابيح: ١٤١٤/٣ برقم:٥١٤٧].

(٣) [شرح النووي لصحيح مسلم: ٢٤٣/١٢] .



يقول الإمام القرطبي :

(المسألة الرابعة : أجمع المسلمون فيما ذكره ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلي الأذى فإن ذلك لا ينبغي أن يمنعه من تغييره فإن لم يقدر فبلسانه فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك .

قال ابن عبد البر: والأحاديث عن النبي ﷺ في تأكيد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كثيرة جداً ولكنها مقيدة بالاستطاعة) [١].

يقول ابن حجر الهيثمي :

(فإن لم يستطع الإنكار بيده إن خشي إلحاق ضرر ببدنه أو أخذ مال له، وليس من عدم الاستطاعة مجرد الهيبة وعلى ذلك يُحمل خبر الترمذي وغيره : « **ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه** ») [٢].

يقول ابن عطية الغرناطي الأندلسي:

(إن النهي عن المنكر واجب لمن أطاقه ونهى بمعروف وأمن الضرر عليه وعلى المسلمين فإن تعذر على أحد النهي لشيء من هذه الوجوه ففرض عليه الإنكار بقلبه وأن لا يخالط ذا المنكر) [٣].

يقول أبو بكر الجصاص:

(وهذا أيضاً على معنى الحديث الأول في الاقتصار على إنكار المنكر بالقلب دون اليد واللسان للتقية والخوف على النفس ولعمر الله إن أيام عبد الملك والحجاج

---

(١) [تفسير القرطبي : ٢/١٢٩٠].

(٢) [الفتح المبين في شرح الأربعين لابن حجر الهيثمي : صـــ٢٤٥] [ط . الحلبي] .

(٣) [المحرر الوجيز لابن عطية : ٥/١٦٦].



والوليد وأضرابهم كانت من الأيام التي سقط فيها فرض الإنكار عليهم بالقول واليد لتعذر ذلك وللخوف على النفس) [١].

يقول ابن تيمية :

(وصارت تلك الآيات –أي آيات الصفح والعفو– في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله بيده ولا بلسانه فينتصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه، وصارت آية الصغار على المعاهدين في حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر الله ورسوله بيده أو لسانه، وبهذه الآيات ونحوها كان المسلمون يعملون في آخر عمر رسول الله ﷺ وعلى عهد الخلفاء الراشدين ، وكذلك هو إلى يوم قيام الساعة، لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام.

فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف ، أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذون الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) [٢].

ويقول – رحمه الله :

(فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار لم يكن عليه أن يجاهد بيده مع عجزه، ولكن إن أمكن بلسانه وإلا فبقلبه) [٣].

(١) [أحكام القرآن للجصاص: ٤٨٧/٢] .

(٢) [الصارم المسلول:صـــ٢٢١]

(٣) [منهاج السنة: ٢٢٦/٦].



يقول الإمام الصنعاني:

(ثالثهما : الإنكار بالقلب عند عدم الاستطاعة فالتغيير باليد واللسان فإن انتفى أحدهما لم ينتف الآخر، ومثاله: مرور فرد من أفراد علماء الدين بأحد المكاسين وهو يأخذ أموال المظلومين فهذا الفرد من علماء الدين لا يستطيع التغيير على هذا الذي يأخذ أموال المساكين باليد ولا باللسان لأنه يكون سخرية لأهل العصيان، فانتفى شرط الإنكار بالوظيفتين و لم يبق إلا الإنكار بالقلب الذي هو أضعف الإيمان .

فيجب على من رأى ذلك العالم ساكتاً عن الإنكار مع مشاهدة ما يأخذ ذلك الجبار أن يعتقد أنه تعذر عليه الإنكار باليد واللسان وأنه قد أنكر بقلبه فإن حسن الظن بالمسلمين أهل الدين واجب والتأويل لهم ما أمكن ضربه لازب ...) [1].

---

(١) [تطهير الاعتقاد:صـــ ٣٨،٣٩] .



ثالثاً: توحيد النسك والشعائر

١- تعريف النسك و الشعائر

أ- لغة:

النسك: العبادة والقربة، والناسك العابد، والتنسك التعبد وهذا هو المعنى العام.

وقد يقصد بالنسك: الحج، وقد يقصد به الذبح على وجه التقرب.

يقول ابن تيمية في قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢]:

(أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين وهما الصلاة والنسك) [١].

وعليه فقوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢] أي: إن صلاتي وذبحي كقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ أو على المعنى العام فتكون من باب ذكر العام بعد الخاص للتنبيه على شرف الخاص و أهميته

والشعائر لغة: (جمع شعيرة على وزن فعيلة، وقال ابن فارس: ويُقال للواحدة شعارة وهو أحسن، والشعيرة: البُدْنة تُهدى، وإشعارها أن يُجز سنامها حتى يسيل منه الدم فيُعلم أنها هدي، والإشعار: الإعلام من طريق الإحساس. يقال أشعر هَدْيه أي جعل له علامة ليُعرف أنه هدي، ومنه المشاعر المعالم واحدها مشعر ...

فالشعائر: على قول: ما أُشعر من الحيوانات لتُهدى إلى بيت الله، وعلى قول: جميع مناسك الحج قاله ابن عباس، وقال مجاهد: الصفا والمروة والهدي والبُدن كل ذلك من الشعائر ...

(١) [مجموع الفتاوى: ١٦/٥٣١].



وقال عطاء بن رباح: شعائر الله جميع ما أمر الله به ونهى عنه، **وقال الحسن:** دين الله كله كقوله تعالى:﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ** ﴾ [الحج:٣٢] أي؛ دين الله.

قلت [أي القرطبي-رحمه الله] :وهذا القول هو الراجح الذي يقدم على غيره لعمومه) (١).

والمحصلة:

أن **النسك لفظ يرد على معنيين:**

أحدهما عام والآخر خاص :

فأما العام فكقوله تعالى: ﴿ **لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ** ﴾ [الحج:٦٧].

وأما الخاص فكقوله تعالى:﴿ **فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ** ﴾ [البقرة:١٩٦] .

وكذلك **الشعائر لفظ يرد على معنيين:**

أحدهما عام والآخر خاص:

فأما العام فكقوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ** ﴾ [الحج:٣٢] .

وأما الخاص فكقوله تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ** ﴾ [المائدة:٢] .

فيكون التعريف: **النسك** بالمعنى العام **والشعائر** بالمعنى الخاص من باب ذكر الخاص بعد العام ومثاله في القرآن قوله تعالى:﴿ **حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ** ﴾ [البقرة:٢٣٨] أو **النسك** بالمعنى الخاص و**الشعائر** بالمعنى العام من باب

---

(١) [تفسير القرطبي: ٦/ ٤١٥،٤١٦]. [ط.دار الحديث]



ذكر الخاص قبل العام ومثاله في القرآن قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [نوح:٢٨].

أو كلاهما على المعنى العام ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ [البقرة:٥٣] فتكون من باب عطف المترادفين، والله أعلم.

ب – شرعا: هو إفراد الله بالنية والإرادة والقصد في كل عبادة ظاهرة أو باطنة ، قولية أو فعلية.

والأدلة على ذلك:

قوله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر:٢]

﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ [الزمر:١٤]

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة:١٣٨-١٣٩]

قال قتادة:

(كلمتان يُسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فيسأل عن المعبود وعن العبادة) (١).

يقول ابن تيمية :

(والعبادة تجمع غاية الحب وغاية الذل فيحبون الله بأكمل محبة ويذلون له أكمل ذل ولا يعدلون به ولا يجعلون له أندادا ولا يتخذون من دونه أولياء ولا شفعاء) (٢)

---

(١) [إغاثة اللهفان: ص١٠٨].

(٢) [منهاج السنة: ٣/١٢٦].





٢. أنواع العبادة وأدلتها:

أولا: أنواع العبادة

تنقسم العبادة إلى عبادات ظاهرة وعبادات باطنة

أ- **العبادات الظاهرة** مثل: الدعاء والذبح والنذر والطواف والسجود ...

ب- **العبادات الباطنة** مثل: الخوف والتوكل والرغبة والرهبة والرجاء ...

ويقسمها بعض أهل العلم إلى:

(عبادة اعتقادية وعبادة لفظية وعبادة بدنية وعبادة مالية) [(١)].

ثانيـــــا: دليل كل نوع:

دليـــل الدعـــــاء

قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠]

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧]

---

(١) انظر [رسالة: تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني: صـــ٢٥-٢٦].



﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٦-١٠٧]

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥-٦]

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]

وفي الحديث الصحيح: « **الدعاء هو العبادة** » (١) .

أقسام الدعاء:

الدعاء نوعان:

١- **دعاء المسألة:** وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضرر، إذ الذي يُدعى لابد أن يكون مالكا للنفع والضر.

٢- **ودعاء العبادة والثناء:** هو ما يقصد به العبد ثناءً على الله تعالى بما هو أهله تذللا له وانكسارا بين يديه سبحانه وتعالى.

ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة وهما متلازمان لابد من اجتماعهما ولا يكفي أحدهما من الآخر.

---

(١) رواه الترمذي [ح٢٨٩٥] ، وقال: حديث حسن صحيح.وصححه الحاكم:[١/٤٩٠] ووافقه الذهبي.
انظر [صحيح سنن الترمذي للألباني رقم: ٢٦٨٥-٢٥٩٠].





حكم دعاء المخلوق:

يقول الشيخ ابن عثيمين :

(ودعاء المخلوق ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: جائز، وهو أن تدعو مخلوقاً بأمر من الأمور التي يمكن أن يدركها بأشياء محسوسة معلومة، فهذا ليس من دعاء العبادة، بل هو من الأمور الجائزة، قال ﷺ: « وإذا دعاك فأجبه » [(١)] .

الثاني: أن تدعو مخلوقاً مطلقاً، سواء كان حياً أو ميتاً فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا شرك أكبر لأنك جعلته نداً لله فيما لا يقدر عليه إلا الله، مثل: يا فلان! اجعل ما في بطن امرأتي ذكراً.

الثالث: أن تدعو مخلوقاً ميتاً لا يجيب بالوسائل الحسية المعلومة، فهذا شرك أكبر أيضاً لأنه لا يدعو من كان هذه حاله حتى يعتقد أن له تصرفاً خفياً في الكون) [(٢)].

قال ابن تيمية :

(والدعاء من جملة العبادات، فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم – مع أن هذا أمر لم يأمر به الله ولا رسوله أمر إيجاب ولا استحباب – كان مبتدعًا في الدين ، مشركا برب العالمين ، متبعًا غير سبيل المؤمنين) [(٣)].

---

(١) رواه مسلم: [٢١٦٢/ كتاب السلام/ باب من حق المسلم للمسلم رد السلام].

(٢) [القول المفيد:١/١٠٠].

ومن أعجب ما سمعت قول قائل منهم: [اليوم مولد السيد البدوي المهاب الذي إذا دُعي في البر والبحر أجاب] فنعوذ بالله من كفر هو أشد من كفر أبي جهل ومن كل سوء.

فإن الله أخبر عن المشركين فقال سبحانه:﴿ **فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ وهؤلاء يشركون برا وبحرا.

(٣) [مجموع الفتاوى: ١/٣١٢].



ودليل الذبح:

قوله تعالى:

﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام:١٦٢]

﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ [الكوثر:٢]

وفي الحديث الصحيح: « **لعن الله من ذبح لغير الله** » [1].

أقسام الذبح:

الذبح قد لا يتعلق به معنى القربة لذاته وقد يتعلق به معنى القربة لذاته

١- **ما لا يتعلق به معنى القربة لذاته:** كالذبح للأكل أو البيع أو الهبة ويُسمى الذبح للحم، فهو مباح في ذاته وقلنا لذاته لأن المباح قد يصير مستحبا لما يتعلق به كإكرام الضيف، أو واجباً؛ كإطعام من أشرف على الموت:

كما قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام :﴿ **فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ** ﴾ [الذاريات:٢٦-٢٧]ولا يُطلق عليه نسكا.

٢- **ما يتعلق به معنى القربة لذاته:** كما قال الله تعالى: ﴿ **لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ** ﴾ [الحج:٣٧]وكما قال الله تعالى:﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ** ﴾ [المائدة:٢٧]

ويُطلق عليه نسكاً، قال الله تعالى:﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام:١٦٢]

فإن كان لله فهو عبادة، وإن كان لغير الله فهو شرك بالله .

---

(١) رواه مسلم: [١٩٧٨/ كتاب الأضاحي/ باب: تحريم الذبح لغير الله].



فالمقصود:

كون النية والإرادة والقصد لله :﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ** ﴾ [الكوثر:٢] ثم قد يكون هَدياً أو أُضحية أو كفارة أو نذراً أو عقيقة أو وليمة.

تنبيه: يفرق العلماء بين من ذبح لغير الله ومن ذبح لله في مكان يُعبد فيه غير الله.

فالصورة الأولى شرك أكبر لصرف النية والإرادة والقصد لغير الله، والثانية حرام لنهي رسول الله ﷺ وسداً لذريعة الشرك، فقد قال عندما سأله رجل أن يذبح إبلا ببوانة ، فقال ﷺ : « **أكان فيه صنم يُعبد؟ قال: لا، قال: أكان فيه عيد من أعياد الجاهلية؟ قال: لا، قال فوف بنذرك** ... » ولم يكن شركا أكبر لتخلف وصف خارج عن الإرادة والقصد.

يقول ابن تيمية :

(إن المتقرب بالهدايا والضحايا، سواء قال: أذبحه لله أو سكت، فإن العبرة بالنية، وتسميته الله على الذبيحة غير ذبحها لله، فإنه يُسمي على ما يُقصد به اللحم، وأما القربان فيُذبح لله سبحانه، ولهذا قال النبيﷺ: « **اللهم منك ولك** » بعد قوله:

« **بسم الله والله أكبر** » لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام:١٦٢]، والكافرون يصنعون بآلهتهم كذلك، فتارة يسمون بآلهتهم على الذبائح، وتارة يذبحونها قرباناً إليهم، وتارة يجمعون بينهما، وكل ذلك – والله أعلم- يدخل فيما أُهل لغير الله به، فإن من سمى غير الله فقد أهل به لغير الله، فقوله: [باسم كذا] استعانة به، وقوله: [لكذا] عبادة له، ولهذا جمع الله بينهما في قوله:﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة:٥]) (١).

---

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم: ٢١٩]. [ط. دار الحديث] .



حكم الذبح لغير الله :

الذبح لغير الله شرك أكبر.

يقول الشيخ صديق حسن خان:

(قال العلماء: لو ذبح مسلم ذبيحة وقصد بذبحه التقرب بها إلى غير الله تعالى صار مرتدا وذبيحته ذبيحة مرتد. انتهى كلام الزواجر

وقال صاحب الروض: إن المسلم إذا ذبح للنبي ﷺ كفر. انتهى

قال الشوكاني في الدرر النضيد: وهذا القائل من أئمة الشافعية وإذا كان الذبح لسيد الرسل ﷺ كفرا عنده فكيف الذبح لسائر الأموات. انتهى) (١).

وسئل الشيخ ابن باز: ما حكم التقرب بذبح الذبائح في (٢) أضرحة الأولياء الصالحين؟

فأجاب – رحمه الله:

من المعلوم بالأدلة من الكتاب والسنة أن التقرب بالذبح لغير الله من الأولياء أو الجن أو الأصنام أو غير ذلك من المخلوقات– شرك بالله ومن أعمال الجاهلية والمشركين ، قال الله عز وجل: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام:١٦٢]والنسك هو: الذبح ، بيَّن سبحانه في هذه الآية أن الذبح لغير الله شرك بالله كالصلاة لغير الله ، **قال تعالى**: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ [الكوثر:١-٢] أمر الله سبحانه نبيه في هذه

---

(١) [الدرر البهية شرح الروضة الندية لصديق حسن خان: ٣/٥٨]

(٢) هكذا بالأصل: ولعل السؤال بلغ الشيخ (للأضرحة)، لأن الذبح (في أضرحة الأولياء) لفظ يحتمل أن يكون لغير الله ويتترل عليه فتوى الشيخ –رحمه الله–، أو أن يكون لله في مكان لا يحل فيه الذبح فيه فلا يكون شركا كما بيَّنا، أو لعل الشيخ يعلم من حال السائل أنه يسأل عن الأول فأجابه على مراده لا على لفظه والله أعلم.



السورة الكريمة أن يصلي لربه وينحر له ، خلافا لأهل الشرك الذين يسجدون لغير الله ويذبحون لغيره. وقال تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ** ﴾ [الإسراء:٢٣]وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ** ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والذبح من العبادة ، فيجب إخلاصه لله وحده، وفي صحيح مسلم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: « **لعن الله من ذبح لغير الله** ») [١].

(١) [فتاوى علماء البلد الحرام: ص١٣].



دليل النذر :

قوله تعالى:

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾[الإنسان:٧]

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[البقرة:٢٧٠]

وفي الحديث الصحيح: « **من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه** » [(١)] .

(١) رواه البخاري: [٦٢٠٦/كتاب الأيمان/ باب: النذر فيما لا يملك وفي المعصية].



١- أقسام النذر:

يقول الشيخ ابن عثيمين :

(أقسام النذر:

الأول: ما يجب الوفاء به ، وهو نذر الطاعة ، لقوله ﷺ: **« من نذر أن يطيع الله، فليطعه »**.

الثاني: ما يحرم الوفاء به ، وهو نذر المعصية ، لقوله ﷺ: **« ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه »** ، وقوله: **« فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله »** [(١)].

الثالث: ما يجري مجرى اليمين ، وهو نذر المباح ، فيخير بين فعله وكفارة اليمين ، مثل لو نذر أن يلبس هذا الثوب ، فإن شاء لبسه وإن شاء لم يلبسه ، وكفر كفارة يمين.

الرابع: نذر اللجاج والغضب، وسمي بهذا الاسم، لأن اللجاج والغضب يحملان عليه غالباً، وليس بلازم أن يكون هناك لجاج وغضب، وهو الذي يقصد به معنى اليمين، الحث، أو المنع، أو التصديق، أو التكذيب.

مثل لو قال: حصل اليوم كذا وكذا، فقال الآخر: لم يحصل، فقال: إن كان حاصلاً، فعلي لله نذر أن أصوم سنة، فالغرض من هذا النذر التكذيب، فإذا تبين أنه حاصل، فالناذر مخير بين أن يصوم سنة، وبين أن يكفر كفارة يمين، لأنه إن صام فقد وفى بنذره، وإن لم يصم حنث، والحانث في اليمين يكفر كفارة يمين.

الخامس: نذر المكروه، فيكره الوفاء به، وعليه كفارة يمين.

(١) رواه مسلم: [١٦٤١ /كتاب النذر/ باب لا وفاء لنذر في معصية الله] بلفظ [لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك العبد] وفي رواية ابن حجر [لا نذر في معصية الله].



السادس: النذر المطلق، وهو الذي ذكر فيه صيغة النذر، مثل أن يقول: لله علي نذر، فهذا كفارته كفارة يمين كما قال النبي ﷺ : « **كفارة النذر إذا لم يسم كفارة يمين** » [1]) [2].

٢- شروط نذر الطاعة لله :

يقول صاحب معارج القبول الشيخ حافظ الحكمي:

(ومن شرط النذر لله تعالى:

أ- أن يكون طاعة .

ب- وأن يكون مما يطيقه العبد .

ج- وأن يكون فيما يملك .

د- وأن لا يكون في موضع كان يعبد فيه غير الله تعالى أو ذريعة إلى عبادة غير الله تعالى.

ه- ولمن كان معلقا بحصول شيء فلا يعتقد تأثير النذر في حصوله) [3].

(١) صحيح : رواه ابن ماجة والترمذي وصححه ، وأصله في مسلم.

(٢) [القول المفيد: ١/١٤٨-١٤٩].

(٣) [معارج القبول: ١/٣٣٢].



٣- حكم النذر لغير الله:

النذر لغير الله شرك أكبر

يقول ابن تيمية :

(ولا يجوز أن ينذر أحد إلا طاعة، ولا يجوز أن ينذرها إلا لله فمن نذر لغير الله فهو مشرك، كمن صام لغير الله وسجد لغير الله، ومن حج إلى قبر من القبور فهو مشرك، بل لو سافر إلى مسجد لله غير المساجد الثلاثة ليعبد الله فيها كان عاصيا لله ورسوله فكيف إذا سافر إلى غير الثلاثة ليشرك بالله)(١).

ويقول الشوكاني :

(وكذلك النحر للأموات عبادة لهم، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم، والتعظيم عبادة لهم، كما أن النحر للنسك وإخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله عز وجل بلا خلاف، ومن زعم أن ثم فرقا بين الأمرين فليُهده إلينا)(٢).

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

(فيه مسائل: الأولى: وجوب الوفاء بالنذر، والثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غير الله شرك)(٣).

---

(١) [منهاج السنة: ٢/١٩٥].

(٢) [الدرر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، وضمن الرسائل السلفية: ص٢٠،٢١].

(٣) [عن القول المفيد: ١/١٥٥].



٤- الفرق بين نذر الشرك ونذر المعصية :

يقول الشيخ ابن عثيمين :

(والفرق بين نذر الشرك وبين نذر المعصية: أن النذر لغير الله ليس لله أصلاً، ونذر المعصية لله ، ولكنه على معصية من معاصيه، مثل أن يقول: لله على نذر أن أفعل كذا وكذا من معاصي الله، فيكون النذر والمنذور معصية، ونظير هذا الحلف بالله على شيء محرم، والحلف بغير الله، فالحلف بغير الله مثل: والنبي، لأفعلن كذا وكذا، ونظيره النذر لغير الله، والحلف بالله على محرم، مثل: والله، لأسرقن، ونظيره نذر المعصية، وحكم النذر لغير الله شرك، لأنه عبادة للمنذور له، وإذا كان عبادة، فقد صرفها لغير الله، فيكون مشركاً)[١].

(١) [القول المفيد: ١٥٣/١].



٥- الفرق بين النذر المستحب والنذر المكروه :

النذر المستحب: هو كل نذر طاعة لله و لم يعلقه صاحبه بشرط، كقوله تعالى:﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ﴾ [آل عمران:٣٥]كما يقول أحدنا: نذرت لله صيام ثلاثة أيام.

والنذر المكروه: هو ما كان طاعة لله ولكن علقه صاحبه على حدوث شيء أو تحقيق شرط، كأن يقول: لو نجحت لتصدقت بكذا وكذا.

وهو ما يتزل عليه حديث رسول الله ﷺ : « **إنه لا يرد شيئا إنما يستخرج به من البخيل**».

تنبيه: من العلماء من يطلق العبارة بكراهة النذر ووجوب الوفاء ، ومقصودهم والله أعلم النذر المشروط لا النذر المطلق، وذلك لأن نقلهم عن الفقهاء، والفقهاء يهتمون بالنذر المشروط لتعلقه بأحكام فقهية ولا يهتمون بالنذر غير المشروط إلا ما اشترك فيه مع المشروط من وجوب الوفاء به، أو لأن النذر المشروط هو الغالب، والحكم للغالب الأعم لا القليل النادر.

والوفاء بالنذر سواء كان مستحبا أو مكروها واجب.

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا** ﴾ [الإنسان:٧]:

(﴿ **يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ** ﴾ أي بما ألزموا به أنفسهم من النذور والمعاهدات، وإذا كانوا يوفون بالنذر وهو لم يجب عليهم إلا بإيجابهم على أنفسهم كان فعلهم وقيامهم بالفروض الأصلية من باب أولى وأحرى) (١).

(١) [تفسير السعدي: ص٩٠١].



دليل السجود :

قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت:٣٧]

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾ [الرعد:١٥]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج:١٨]

﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾ [النجم:٦٢]

يقول ابن تيمية:

(وكان ابـن الراوندي [الضال] يزعم أن الكفر هو الجحد، والإنكار والستر والتغطية، وليس يجوز أن يكون الكفر إلا ما كان في اللغة كفرًا، ولا يجوز إيمان إلا ما كان في اللغة إيمانًا، وكان يزعم أن السجود للشمس ليس بكفر، ولا السجود لغير الله كفر، ولكنه علم على الكفر، لأن الله بين أنه لا يسجد للشمس إلا كافر) (١).

(١) [كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية: ص٧٦].



يقول الشيخ ابن عثيمين:

(وكذا يوجد في بعض البلدان الإسلامية من يصلي ويزكي ويصوم ويحج، ومع ذلك يذهبون إلى القبور يسجدون لها ويركعون، فهم كفار غير موحدين، ولا يقبل منهم أي عمل، وهذا من أخطر ما يكون على الشعوب الإسلامية، لأن الكفر بما سوى الله عندهم ليس بشيء، وهذا جهل منهم، وتفريط من علمائهم، لأن العامي لا يأخذ إلا من عالمه، لكن بعض الناس -والعياذ بالله - عالم دولة لا عالم ملة) (1).

الفرق بين سجود العبادة وسجود التحية:

سجود العبادة كما بينت الآيات، وحقيقته: وضع الرأس على الأرض لمن يسجد له خضوعا وإذلالا وتعظيما، لذلك أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، والسجود لغير الله بهذا المعنى حرام وشرك في جميع الرسالات و لم يأذن فيه قط.

ويأتي السجود بمعنى الانحناء كما في قوله تعالى: ﴿ **ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا** ﴾[النساء:١٥٤] ؛ أي منحنين ، وقيل: أي خاضعين أذلاء.

أما سجود التحية فقد كان مشروعا في الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿ **وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا** ﴾ [يوسف:١٠٠] ثم صار محرما بنسخ ذلك في شريعتنا.

يقول ابن كثير :

(وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ، و لم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام ، فحرم هذا في هذه الملة) (٢).

---

(١) [القول المفيد: ١/٩٥].

(٢) [تفسير ابن كثير: ٢/ ٤٩١].



فهل كان جائزا في الأمم السابقة من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام سجود العبادة لغير الله حتى يزعم زاعم أنه لا فرق بين سجود العبادة وسجود التحية فيُلبِّس على الناس أمر دينهم ؟!

يقول الشيخ عبد العزيز العبد اللطيف:

(سجود العبادة القائم على الخضوع والذل والتسليم والإجلال لله وحده هو من التوحيد الذي اتفقت عليه دعوة الرسل، وإن صرف لغيره فهو شرك وتنديد، ولكن لو سجد أحدهم لأب أو عالم ونحوهما وقصده التحية والإكرام فهذه من المحرمات التي دون الشرك، أما إن قصد الخضوع والقربة والذل له فهذا من الشرك، ولكن لو سجد لشمس أو قمر أو قبر فمثل هذا السجود لا يتأتى إلا عن عبادة وخضوع وتقرب فهو سجود شركي)[١].

(١) [النواقض القولية والعملية: ص٢٧٨-٢٧٩].





دليل الطواف :

قوله سبحانه:

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[الحج:٢٩]

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٥٨]

وروي في الحديث: « **الطواف بالبيت صلاة** ».

حكم الطواف بغير الكعبة:

يقول ابن تيمية :

(وأما الطواف بالأنبياء والصالحين فحرام بإجماع المسلمين، ومن اعتقد ذلك دينا فهو كافر سواء طاف ببدنه أو بقبره) [١].

وفي فتوى للجنة الدائمة جاء فيها:

(الطواف بالقبور حرام،وإن قصد التقرب إلى من فيها من الموتى فهو شرك أكبر يخرج من الإسلام،لأن الطواف عبادة لقوله تعالى: ﴿ **وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ [الحج:٢٩] وصرف العبادة أو شيء منها إلى غير الله شرك) [٢].

فالطواف عبادة إن صُرفت لغير الله كانت شركاً، وإن كانت لله في غير محلها حيث محلها البيت العتيق فهي بدعة محرمة وذريعة للشرك، لأن الله لم يشرع لنا الطواف إلا بالكعبة المشرفة. فالمراد بالطواف الذي يكون شركا هو الطواف بغير الكعبة مع قصد التقرب لغير الله تعالى.

---

(١) [مجموع الفتاوى: ٢/٣٠٨] .

(٢) [فتاوى اللجنة الدائمة: فتوى ٨٠٨٦].، وانظر فتوى[١٩٢٦].



دليل الاستغاثة:

قوله سبحانه:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢]

والاستغاثة أخص من الدعاء، فالدعاء في جلب منفعة أو دفع مضرة، أما الاستغاثة فطلب الغوث لكشف مكروه وقع، فإن كان متوقعاً سُميت استعاذة، قال تعالى:﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ** ﴾ [النحل:٩٨]

وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من نزل منزلاً، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك** »[1]. وإن كان الدعاء لجلب منفعة كانت استعانة.

والاستغاثة نوعان:

١. استغاثة لا يقدر عليها إلا الله ولا تطلب إلا منه وحده، وطلبها من غيره شرك.

٢. استغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه ويتمكن من فعله والقيام به بمقتضى الأسباب ، فهذه ليست شركاً، كاستغاثة الغريق بمن ينقذه ممن يسمعه ويستطيع إنقاذه من جهة الأسباب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ** ﴾ [القصص:١٥]

---

(١) رواه مسلم: [٢٧٠٨/ الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب: في التعوذ من سوء القضـــاء ودرك الشـــقاء وغيره].





دليل الخوف:

قوله سبحانه:

﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥]

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:٨١]

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم:١٤]

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:٤٦]

(والخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال) (١).

والخوف أقسام :

(**الأول** : خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع ، وهو ما يسمى بخوف السر.

وهذا لا يصلح إلا لله – سبحانه – ، فمن أشرك فيه مع الله غيره ؛ فهو مشرك شركاً أكبر ، وذلك مثل : مَن يخاف من الأصنام أو الأموات ، أو من يزعمونهم أولياء ويعتقدون نفعهم وضرهم ؛ كما يفعله بعض عباد القبور : يخاف من صاحب القبر أكثر مما يخاف الله .

الثاني : الخوف الطبيعي والجبلي ؛ فهذا في الأصل مباح، لقوله تعالى عن موسى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:٢١] .

---

(١) [مختصر منهاج القاصدين:ص٢٩٩].



وقوله عنه أيضاً : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [القصص:٣٣] ، لكن إن حمل على ترك واجب أو فعل محرم؛ فهو محرم، وإن استلزم شيئاً مباحاً كان مباحاً)[١].

الفرق بين الخوف والخشية:

(والخشية نوع من الخوف ، لكنها أخص منه ، والفرق بينهما :

١. أن الخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر:٢٨] ، والخوف قد يكون من الجاهل .

٢. أن الخشية تكون بسبب عظمة المخشي ، بخلاف الخوف ، فقد يكون من ضعف الخائف لا من قوة المخوِّف)[٢].

---

(١) [القول المفيد:٢/١٧].

(٢) [القول المفيد:٢/٢٠].



دليل الرجاء:

قوله تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف:١١٠]

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣]

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧]

﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت:٥]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٨]

وفي الصحيح عن جابر ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول:

« لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه ».

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: « **يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي ...** »

(**الرجاء:** طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال تتريلاً له مترلة القريب. والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل، وصرفه لغير الله شرك؛ إما أصغر وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي.واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمنٍ مذموم) [(١)].

---

(١) [شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين: ص٣٧-٣٨].



يقول ابن قدامة :

(وإن كان خطر ببالك شيء في الاستقبال وغلب على قلبك سمي انتظارا وتوقعا.

فإن كان المنتظر محبوبا سمي رجاءً، وإن كان مكروهاً سمي خوفا.

فالرجاء: ارتياح لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المتوقع لابد له من سبب حاصل، فإن لم يكن بسبب معلوم الوجود ولا معلوم الانتفاء سمي تمنيا لأنه انتظار من غير سبب.

ولا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه، فأما ما يقطع به فلا إذ لا يقال: أرجو طلوع الشمس وأخاف غروبها، لأن ذلك مقطوع به عند طلوعها وغروبها.ولكن يقال: أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه) [١].

---

(١) [مختصر منهاج القاصدين:ص٢٩٣].[ط.دار الدعوة] .



دليل التوكل:

قوله تعالى:

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران:١٢٢]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩]

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣]

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق:٣]

وفي الحديث: « **يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بلا حساب ولا عذاب ... هم الذين لا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون** » [(١)].

يقول ابن قدامة:

(فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الموكل ولا يتوكل الإنسان على غيره إلا إذا اعتقد فيه أشياء: الشفقة والقوة والهداية، فإذا عرفت هذا فقس عليه التوكل على الله سبحانه، وإذا ثبت في نفسك أنه لا فاعل سواه، واعتقدت مع ذلك أنه تام العلم والقدرة والرحمة، وأنه ليس وراء قدرته قدرة، ولا وراء علمه علم، ولا وراء رحمته رحمة، اتكل قلبك عليه وحده لا محالة و لم يلتفت إلى غيره بوجه) [(٢)].

---

(١) رواه البخاري: [٥٢٧٠/كتاب الطب/ باب: من اكتوى أو كوى غيره].ومسلم: [٢١٨/ كتاب الإيمان/ باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب].

(٢) [مختصر منهاج القاصدين:ص٣٢٩].[ط.دار الدعوة] .



والتوكل ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

(**الأول** : توكل عبادة وخضوع ، وهو الاعتماد المطلق على من توكل عليه ، بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع ودفع الضر ، فيعتمد عليه اعتماداً كاملاً ، مع شعوره بافتقاره إليه ، فهذا يجب إخلاصه لله تعالى ، ومن صرفه لغير الله ، فهو مشرك شركاً أكبر ، كالذين يعتمدون على الصالحين من الأموات والغائبين ، وهذا لا يكون إلا ممن يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون ، فيعتمد عليهم في جلب المنافع ودفع المضار .

الثاني : الاعتماد على شخص في رزقه ومعاشه وغير ذلك ، وهذا من الشرك الأصغر ، وقال بعضهم : من الشرك الخفي ، مثل اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه ، ولهذا تجد الإنسان يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا اعتماد افتقار ، فتجد في نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر ، فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب ، بل جعله فوق السبب .

الثالث : أن يعتمد على شخص فيما فوض إليه التصرف فيه ، كما لو وكلت شخصاً في بيع شيء أو شرائه ، وهذا لا شيء فيه ، لأنه اعتمد عليه وهو يشعر أن المترلة العليا له فوقه، لأنه جعله نائباً عنه ، وقد وكل النبي ﷺ على بن أبي طالب أن يذبح ما بقي من هديه[١]، ووكل أبا هريرة على الصدقة[٢]، ووكل عروة بن الجعد أن يشتري له أضحية) [٣].

---

(١) رواه مسلم: [١٢١٨/ كتاب الحج/ باب: حجة النبيﷺ].

(٢) رواه البخاري تعليقا: [٢٣١١/كتاب الوكالة]، وقال الحافظ في الفتح: وصله النسائي والإسماعيلي وأبو نعيم .أ.هـ

(٣) [القول المفيد: ٢٩/٢]. وانظر [شرح العقيدة الواسطية:ص١١٩].



دليل الرغبة والرهبة والخشوع :

قوله تعالى:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠]

وفي الحديث الصحيح: « **اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك** » (١) .

يقول ابن القيم:

(الخشوع في أصل اللغة: الانخفاض والذل والسكون، قال تعالى: ﴿ **وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا** ﴾ [طه:١٠٨] أي سكنت وذلت وخضعت...

والخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل ....

وقيل: الخشوع الانقياد للحق وهذا من موجبات الخشوع، فمن علاماته أن العبد إذا خولف ورُد عليه الحق استقبل ذلك بالقبول والانقياد، وقال الجنيد: الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب ...) (٢).

---

(١) رواه البخاري: [٧٤٨٨/كتاب التوحيد/باب: قول الله تعالى: ﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾]

(٢) مدارج السالكين لابن القيم: ١/٥٢٠ باختصار.



٣. هل يجتمع إفراد الله بالعبادة واتخاذ الوسائط؟

لا يجتمع إفراد الله بالعبادة واتخاذ الوسائط .

قال تعالى:

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨]

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الزمر:٤٣]

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:٥١]

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨]

يقول ابن تيمية:

(فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين)[١].

ويقول – رحمه الله:

(ولا يجوز أن يقول لملك ولا نبي ولا شيخ ـــ سواء كان حياً أو ميتاً ـــ: اغفر ذنبي، ولا انصرني على عدوي، ولا اشف مريضي، ولا عافني أو عاف أهلي أو دابتي،وما أشبه ذلك. ومن سأل ذلك مخلوقا كائناً من كان، فهو مشرك بربه، من

---

(١) [مجموع الفتاوى: ١٢٤/١].

جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصوروها على صورهم، ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦]، وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١])[(١)].

ويقول – رحمه الله:

(والمقصود هنا: أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية، فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عُبّاد الأوثان كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله)[(٢)].

ويقول – رحمه الله:

(فليس لأحد أن يدعو شيخًا ميتًا أو غائبًا، بل ولا يدعو ميتًا ولا غائبًا: لا من الأنبياء ولا غيرهم، فلا يقول لأحدهم: يا سيدي فلان! أنا في حسبك أو في جوارك، ولا يقول: بك أستغيث، وبك أستجير، ولا يقول: إذا عثر: يا فلان ! ولا يقول: محمد! وعلي ! ولا الست نفيسة ولا سيدي الشيخ أحمد، ولا الشيخ عدي، ولا الشيخ عبد القادر، ولا غير ذلك، ولا نحو ذلك مما فيه دعاء الميت والغائب، ومسألته، والاستغاثة به، والاستنصار به، بل ذلك من أفعال المشركين، وعبادات الضالين)[(٣)].

---

(١) [زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور: ص١١-١٢].

(٢) [مجموع الفتاوى: ١/١٣٥].

(٣) [مجموع الفتاوى: ١/٤٩٩-٥٠٠].

ويقول – رحمه الله:

(وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه – كالحجاب الذين بين الملك ورعيته – بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس، لقربهم منهم، والناس يسألونهم، أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج. فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه، فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل) [1].

ويقول – رحمه الله:

(والمشركون كانوا يقرون بهذا التوحيد الذي هو نفي خالقين. لم يكن مشركو العرب تنازع فيه ولهذا قال الله لهم: **﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾** [النحل:١٧] فكانوا يعترفون بأن آلهتهم لا تخلق، و لم يكن إشراكهم أنهم جعلوهم خالقين بل أن جعلوهم وسائط في العبادة فاتخذوهم شفعاء وقالوا إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، كما قال الله تعالى عنهم: **﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾** [يونس:١٨]) [2].

---

(١) [مجموع الفتاوى: ١/١٢٦].

(٢) [منهاج السنة النبوية: ٣/١٤٢-١٤٣]. [ط. دار الحديث] .



يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

(وإنا لا نكفر إلا من كفَّره الله ورسوله من المشركين عُبّاد الأصنام كالذين يعبدون الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما، أما الذين آمنوا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وجاهدوا في الله حق جهاده فهم إخواننا في الدين وإن لم يهاجروا إلينا فكيف نكفر هؤلاء ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم!!) (١)

---

(١) نقلا عن [التقديس والتأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ص٨٨-٨٩].



حكم التوسل بالأموات :

(التوسل بالميت على ثلاث مراتب:

إحداها: أن يدعو غير الله وهو ميت أو غائب، سواء كان من الأنبياء والصالحين أو غيرهم فيقول: يا سيدي فلان، أغثني، أو أنا أستجير بك، أو أستغيث بك، أو انصرني على عدوي، ونحو ذلك فهذا هو الشرك بالله ...

الثانية: أن يقال للميت أو الغائب من الأنبياء والصالحين: ادع الله لي، أو ادع لنا ربك، أو اسأل الله لنا، كما تقول النصارى لمريم وغيرها - فهذا أيضًا لا يستريب عالم أنه غير جائز ،وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من سلف الأمة ...

الثالثة: أن يقال: أسألك بفلان، أو بجاه فلان عندك ونحو ذلك، الذي تقدم عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما أنه منهي عنه.

وتقدم أيضًا أن هذا ليس بمشهور عن الصحابة، بل عدلوا عنه إلى التوسل بدعاء العباس وغيره)[1].

وقد أكثرت في النقل عن الإمام ابن تيمية في بيان خطورة هذا الشرك وهو شرك الوسائط لتلبيس بعض الجهال على العوام هذا النوع وزعمهم أنه من مقتضيات محبة الأولياء والصالحين، وكذلك التباسه على بعض طلبة العلم فظنوا أن ذلك من باب البدع المحدثة ولم يفرقوا بين دعاء المقبور طلبا للنفع أو دفعا للضر وهو من الشرك الأكبر، وبين التوسل بجاه المقبور وهو من البدع المحدثة .

---

(١) [زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور: ص١١-١٢].





فاعلم – رحمك الله- أنك عبد لله، والعبودية الحقة لا تكون إلا بشرع، والشرع لا يكون إلا من عند الله وحده، ولا يحملك على التزام شرعه سبحانه إلا استقرار محبته في وجدانك، ولا يزيد المحبة إلا معرفة الخالق بأسمائه وصفاته.

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته كيف لا يحبه ، ومن أحبه كيف لا يلتزم شرعه وحده، ومن التزم شرعه وحده كيف يتوجه بالعبادة إلى غيره؟



البَابُ الرَّابِعُ

نواقض التوحيد





نواقض التوحيد :

تتمثل نواقض التوحيد في الشرك الأكبر بأنواعه وفى الكفر الأكبر بأنواعه سواء كان قولا أو فعلا أو تركًا أو شكًا اعتقادًا .

أما الشرك فلقوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ** ﴾[الزمر:٦٥]

وأما الكفر فلقوله تعالى:﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْأَـٰخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ** ﴾[المائدة:٥]

قال ابن بطة في تفسير قوله تعالى:﴿ **وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** ﴾[البقرة:١٩٣]:

(الفتنة: الشرك بالله العظيم، والكفر بعد الإيمان)[١].

(١) [الإبانة الصغرى لابن بطة: ١/٢٦٩].



أولاً: الفرق بين الكفر والشرك:

١. ذهب بعض أهل العلم إلى أن الشرك أخص من الكفر، فكل مشرك كافر وليس كل كافر مشركاً.

يقول أبو هلال العسكري:

(الكفر اسم يقع على ضروب كثيرة من الذنوب فمنها الشرك بالله ومنها الجحد للنبوة ومنها استحلال ما حرم الله ...

والفرق بين الكفر والشرك أن الكفر خصال كثيرة على ما ذكرنا وكل خصلة منها تضاد خصلة من الإيمان لأن العبد إذا فعل خصلة من الكفر فقد ضيع خصلة من الإيمان، والشرك خصلة واحدة؛ وهو إيجاد ألوهية مع الله أو دون الله، واشتقاقه ينبئ عن هذا المعنى ثم كثر حتى قيل لكل كفر شرك على وجه التعظيم له، والمبالغة في صفته وأصله كفر النعمة ونقيضه الشكر، ونقيض الكفر الإيمان، و إنما قيل مضيع الإيمان كافر لتضييعه حقوق الله تعالى وما يجب عليه من شكر نعمه، فهو بمترلة الكافر لها ونقيض الشرك في الحقيقة الإخلاص) [(١)].

٢. وذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن كل كافر مشرك لأنه اتخذ إلهه هواه أو أنه أشرك شيطانه الذي دعاه، **وكل مشرك كافر** لأنه ستر الفطرة التي فطره الله عليها والشرعة التي أرسل الله بها الرسل وأنزل بها الكتب ، وأن كل منهما يحل محل الآخر في التتريل، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴾ [المائدة:٥]

وقال سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴾[الزمر:٦٥]

---

(١) [الفروق اللغوية: ص ١٩١].





واحتجوا أيضا بقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾[الكهف:٣٧-٣٨]

قال ابن حزم :

(وقال آخرون الكفر والشرك سواء وكل كافر فهو مشرك وكل مشرك فهو كافر وهو قول الشافعي وغيره) ورجح ذلك ابن حزم(١) .

والراجح – والله أعلم– ما ذهب إليه فريق من أهل العلم من أن المشرك والكافر لفظان كلفظي الفقير والمسكين، إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا فإن أطلق أحدهما شمل الآخر، وإن اجتمعا دل كل منهما على معنى خاص به.

يقول السيوطي:

(الفقير والمسكين حيث أطلق أحدهما شمل الآخر، فإذا ذكرا اختص كل بمعناه.

قال البلقيني: ونظير ذلك: الكافر والمشرك ...ومن نظائر ذلك أيضاً: الإيمان والإسلام) (٢).

قال تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[البقرة:١٠٥]

وقال سبحانه: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾[البينة:١]

وقال سبحانه: ﴿ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾ [غافر:٤٢]

---

(١) [الفصل لابن حزم: ٣/١٢٤] .

(٢) [الأشباه والنظائر للسيوطي: ص ٩٠٣]. [ط. دار السلام] .



ثانياً: بيان نواقض التوحيد:

١. الشـــرك

أ- تعريف الشرك

لغة: من الشراكة، وهي النصيب والقسمة، سواء قلت أو كثرت كما كانت العرب قبل الإسلام تقول في تلبيتها: [لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك] ، وقال سبحانه: ﴿ **ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلاًۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ** ﴾[الزمر:٢٩]

قال ابن فارس:

(وهو أن يكون الشيء بين اثنين، لا ينفرد به أحدهما، يقال: شاركت فلاناً في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلاناً: إذا جعلته شريكا لك)[١].

وشرعا: اتخاذ شريك لله في خصائص ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته وهو الشرك الأكبر، أو مراعاة غير الله في بعض الأمور وهو الشرك الأصغر[٢].

يقول ابن تيمية :

(وأصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئا من المخلوقات في جميع الأمور)[٣].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٣/٣٦٥، وانظر مختار الصحاح: ٤/١٥٩٣-١٥٩٤، ولسان العرب: ١٠/ ٤٤٩-٤٥٠.

(٢) انظر المفردات للراغب الأصفهاني: ص٢٦٠.

(٣) الاستقامة لابن تيمية: ص١٩٣.





ب- الشرك هضم لحق الربوبية وتنقيص لعظمة الإلهية وسوء ظن برب العالمين:

(قال تعالى:﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح:٦]

فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الشرك فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به، ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده، ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره في ثلاثة مواضع من كتابه(•)وكيف يقدره حق قدره من جعل له عدلا وندا يحبه ويخافه ويرجوه ويذل له ويخضع له ويهرب من سخطه ويؤثر مرضاته **قال تعالى** : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] **وقال تعالى** : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١] أي يجعلون له عدلا في العبادة والتعظيم)[١].

(•)المواضع الثلاثة هي على الترتيب :

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:٩١]

﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٧٤]

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧]

(١) [إغاثة اللهفان لابن القيم: ٨٢/١-٨٣].



يقول ابن القيم في نونيته مصوراً كيف دبَّ الشرك في أهل الإسلام:

ولقد رأينا من فريق يدعي الإ سلام شركا ظاهر التبيـــان

جعلوا له شركاء والوهم وسو وهم به في الحب لا السلطان

والله ما ساووهـــــم بالله بل زادوا لهم حبا بلا كتمـــان

والله ما غضبوا اذا انتهكت محا رم ربهم في السر والإعــلان

حتى إذا ما قيل في الوثن الذي يدعونه ما فيه من نقصـــان

فأجارك الرحمن من غضب ومن حرب ومن شتم ومن عــدوان

وأجارك الرحمن من ضرب وتعـــ ـــزير ومن سب ومن تسجـــان

يشرح الشيخ محمد خليل هراس هذه الأبيات فيقول:

(يقصد المؤلف بهذا الفريق طوائف القبوريين عُبَّاد الأضرحة الذين يدَّعون الإسلام كذبا وزوراً، مع أن شركهم ظاهر مفضوح لا يستطيعون ستره ولا كتمانه وإن شئت دليلا على ذلك فاذهب إلى أحد هذه الأضرحة لترى العجب .

ترى أسرابا من الناس رجالاً ونساءً يطوفون به كما يطوف الحجاج ببيت الله، وتراهم قد تعلقوا بالمقصورة يوسعوها تقبيلاً ولثماً، وينتزعون من بين فراغها البركة انتزاعاً، وتتمتم شفاههم بكلمات الاستغاثة والدعاء ذلة وتضرعا، وكم جادت منهم الجيوب ببدار الأموال توضع في صناديق النذور، وكم سيقت الذبائح وحُملت الأطعمة وشُدت الرحال يتسابق في ذلك النساء والرجال والشيوخ والأطفال، ليشهدوا ما يُقام عند هذه الأضرحة من مهرجانات وأحفال، وكم خرت أذقان على العتبات، وكم ضجت بالبكاء والدعاء أصوات، هذا يطلب النظرة والمدد، وهذا





يستمنح النسل والولد، وهذا يطلب النصر على الخصم الألد، وهذه عانس طال على تعنيسها الأمد، فجاءت للشيخ مفرج الكروب وحلال العقد!!!

وكم وكم مما لا أستطيع حصره ومما يذيب القلوب أسى وحسرة على ما أصاب الإسلام ممن يدعي محبته ونصره، وهو لم يترك له منجنيقاً إلا كسره، فلا حول ولا قوة إلا بالله، إليه المشتكى وهو المستعان به والمستغاث وعليه التكلان .

فهؤلاء القبوريون قد جعلوا أصحاب هذه الأضرحة شركاء لله يوالونهم ويتقربون إليهم بأنواع القرابين من الذبائح والنذور ويسوونهم بالله –عز وجل– في المحبة؛ بل هم لهم أشد حباً وبهم أكثر تعلقاً، كما تدل على ذلك أحوالهم وتنبي عنه فعالهم، فإن أحدهم لا يغار ولا يغضب إذا انتُهكت حرمات الله وعُمل بمعصيته في السر والعلانية ولكن إذا سمع من أحد الموحدين أنه يتعرض لوثنه الذي يدعوه ويعكف عليه وأنه يصفه بما هو فيه من عجز ونقص حتى ولو كان هذا الوصف مأخوذاً من القرآن استشاط لذلك غضباً وأخذته حمية الجاهلية وهب للانتقام والأخذ بالثأر ولم يرع في هذا الموحد إلًّا ولا ذمة بل ولا حسن جوار، فلا تسل عما يناله من هذا المجرم الأثيم وتنثال عليه الألسن بالشتم والسب ولا سيما إذا كان هذا المجرم من أصحاب النفوذ والسلطان فإنه يمعن في التنكيل ويسرف في العدوان ويلقى بذلك الموحد في غيابات السجون)[١].

(١) [شرح النونية لمحمد خليل هراس: ١٣٩/٢–١٤٠]. [ط. دار الكتب العلمية] .



جـ - أنـــواع الشـــــــرك :

(والشرك نوعان: أكبر وأصغر .

فالأكبر : لا يغفره الله إلا بالتوبة منه وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار:﴿ **تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ** ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨] مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم) [١].

(وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله كما ثبت عن النبي ﷺأنه قال: « **من حلف بغير الله فقد أشرك** »[٢] ، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب قائله ومقصده) [٣].

---

(١) [تهذيب مدارج السالكين: ١٣٩].

(٢) صحيح: وقد سبق تخريجه.

(٣) [تهذيب مدارج السالكين: ١٤٣].





والشرك الأصغر قسمان:

(**القسم الأول**: ظاهر على اللسان والجوارح وهو ألفاظ وأفعال:

أ- فالألفاظ: كالحلف: بغير الله، قال رسول الله ﷺ: « **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** ».

وقوله: ما شاء الله وشئت ... وقول: لولا الله وفلان، ومالي إلا الله وأنت ...

ب - وأما الأفعال: فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم خوفا من العين وغيرها .

أو اعتقاد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه، فهذا شرك أصغر لأن الله لم يجعل هذه أسبابا.

أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر لأنه تعلق بغير الله.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإرادات والنيات كالرياء والسمعة...

قال النبي ﷺ : « **أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** » قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: « **الرياء** »[١])[٢].

(١) رواه أحمد في [المسند: ٥/٤٢٨،٤٢٩].والطبراني في[الكبير: ٤٣٠١].

(٢) [مجموعة رسائل في التوحيد للشيخ صالح الفوزان:ص٢٢٤]باختصار .



وأنواع الشرك الأكبر :

١. الشرك في الربوبية ٢. الشرك في الألوهية ٣. الشرك في الأسماء والصفات

لأنه لما كان التوحيد - كما بينا - هو إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات كان الشرك مقابلا له.

وتفصيل ذلك:

١. الشرك في الربوبية :

قال تعالى:﴿ **وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران:٨٠] ﴿ **ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة:٣١]

والشرك في الربوبية هو:

اعتقاد أن غير الله عز وجل يخلق أو يرزق أو يدبر شيئا في هذا الكون من دون الله عز وجل أو مع الله عز وجل - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

صور شرك الربوبية :

١- **شرك أهل التعطيل:** كالدهريين قديماً والشيوعيين حديثاً والفلاسفة والذين يقولون بقدم العالم .

٢- **شرك الاستقلال:** كالمجوس الذين يقولون بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة .

٣- **شرك التبعيض:** كالنصارى الذين يقولون أن الله سبحانه ثالث ثلاثة أو أن المسيح ابن الله أو هو الله أو هما إلهين أو كما تقول الصوفية: الأقطاب الأربعة [



الشاذلي ، والدسوقي ، والبدوي ، والرفاعي] ، لكل منهم جزء مقسوم من الدنيا يتصرف فيها كما يشاء – تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً .

٤- **شرك التنديد:** كمن جعل نفسه ندا لله في التشريع، أو اعتقد أن سوى الله شريكا لله في التشريع ، فإن أطاعه في تحليله وتحريمه فهذا شرك في الألوهية.

يقول الشيخ الشنقيطي :

(قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾ [الأنعام:١٢١] ، هو قسم من الله أقسم به – جل وعلا – في هذه الآية الكريمة على أنه من أطاع الشيطان في تشريعه تحليل الميتة أنه مشرك وهو شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية بإجماع المسلمين) [١].

يقول الشيخ الفوزان:

(تشريع الأحكام التي يسير عليها العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر شئونهم والتي تفصل النزاع بينهم وتنهى الخصومات حق لله تعالى رب الناس وخالق الخلق :﴿ **أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [الأعراف:٥٤] وهو الذي يعلم ما يصلح عبادة فيشرعه لهم، فبحكم ربوبيته لهم يشرع لهم، وبحكم عبوديتهم له يقبلون أحكامه والمصلحة في ذلك عائدة إليهم، قال تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ [النساء:٥٩] ، وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾[الشورى:١٠] واستنكر سبحانه أن يتخذ العباد مشرعا غيره، فقال: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ** ﴾ [الشورى:٢١] ...

(١) تمام النعمة بالدين الكامل: ص١٩.

فصارت طاعتهم في التحليل والتحريم من دون الله عبادة لهم وشركاً، وهو شرك أكبر ينافي التوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله، فإن من مدلولها أن التحليل والتحريم حق له تعالى) [١].

---

(١) كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان : صـ ٤٢ باختصار. وانظر مجموعة رسائل التوحيد :صـ ٢٨٣-٢٨٥ للشيخ صالح الفوزان .



٢.الشرك في الألوهية:

قال تعالى:

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٤-٢٥]

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٨]

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾. [المؤمنون:١١٧]

يقول الشيخ عبد العزيز ناصر الجليل :

(الشرك في الألوهية:

هو اتخاذ شريك لله تعالى في الإلهية والطاعة والعبادة، وهو شرك الجاهلية في القديم والحديث وهذا النوع من الشرك له صور كثيرة لا تخرج في مجملها عن الأنواع الآتية:

أ - **الشرك في العبادة والنسك:**

ومنها الخوف والرجاء والنذر والذبح والركوع والسجود والدعاء وغير ذلك مما يصرفه المشركون إلى أوليائهم من الأحياء والأموات.

ب - **الشرك في الطاعة والاتباع:**

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة:٣١]
وقد جاء تفسير الآية أنهم أطاعوهم في تحليل ما حرم الله تعالى ، وتحريم ما أحل الله تعالى فكانوا بذلك متخذين أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله تعالى وأوضح مثال



لذلك في زماننا، ما يقوم به الطواغيت المشرِّعون من دون الله تعالى من وضع دساتير يظلمون بها عباد الله يحكمون بها في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وفيها ما يضاد شرع الله عز وجل فمن رضى بها وأطاعهم فيما يعلم فقد أشرك واتخذهم أرباباً من دون الله عز وجل.

ج – **الشرك في الولاية والمحبة:**

وذلك بعدم البراءة من الشرك وأهلة أو محبتهم محبة قلبية لدينهم أو نصرهم على المسلمين ، كل ذلك مما يوقع في الشرك الأكبر والظلم الأكبر والظلم الأعظم **قال الله تعالى:﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِين ﴾** [الأنعام:١٤] وقال تعالى عن اليهود والنصارى: **﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾** [المائدة:٥١])[١]

(١) [مجلة البيان: العدد ١٣٢] .

٣ – الشرك في الأسماء والصفات [الإلحاد فيها] :

قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف:١٨٠]

وللإلحاد فى الأسماء صورتان:

١ – التشبيه　　　　　　٢ – التعطيل

يقول الشيخ حافظ الحكمى عن إلحاد التشبيه:

(إلحاد المشبهة الذين يكيفون صفات الله عز وجل و يشبهونها بصفات خلقه مضادة له تعالى وردا لقوله عز وجل: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ** ﴾ [الشورى:١١] ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا** ﴾ [؟؟؟:؟؟] وهو مقابل إلحاد المشركين ، فأولئك جعلوا المخلوق بمترلة الخالق وسووه به و هؤلاء جعلوا الخالق بمترلة الأجسام المخلوقة و شبهوه بها تعالى و تقدس عن إفكهم) [١]

ويقول – رحمه الله– عن الحاد التعطيل:

(وقسم لم يتستروا بما تستر به إخوانهم بل صرحوا بنفي الأسماء و ما تدل عليه من المعاني و استراحوا من تكلف أولئك و صفوا الله تعالى بالعدم المحض الذي لا اسم له و لا صفة وهم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاته تعالى مكذبون بالكتاب وبما أرسل الله به رسله) [٢].

---

(١) [معارج القبول:١/٧٤].

(٢) [معارج القبول: ١/٧٥].

يقول ابن تيمية :

(فالنافي معطل ، والمعطل يعبد عدماً ، والمشبه ممثل والممثل يعبد صنماً ، ومذهب السلف إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل) [١].

قال نعيم بن حماد شيخ البخاري :

(من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه) . [٢]

---

(١) [الفتاوي: ٤٣٢/٨].

(٢) [معارج القبول: ٢٦٧/١].

٢- الكفر وأنواعه:

أ- **تعريفه:**

لغة: الستر والتغطية .

يقول الإمام البغوي:

(أصله من الستر ومنه سمَي الليل كافراً لأنه يستر الأشياء بظلمته وسمَي الزارع كافراً لأنه يستر الحب بالتراب، والكافر يستر الحق بجحوده ...) (١).

شرعاً: عدم الإيمان .

يقول ابن تيمية:

(الكفر ضد الإيمان ، فإن الكفر عدم الإيمان بالله ورسوله سواء كان معه تكذيب ، أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب و إعراض عن هذا كله حسداً و كبراً أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة وإن كان المكذب أعظم كفراً وكذلك الجاحد والمكذب حسداً مع استيقان صدق الرسل) (٢).

يقول ابن الجوزي:

(ذكر أهل التفسير أن الكفر في القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: الكفر بالتوحيد، ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ** ﴾ [البقرة:٦]

والثاني: كفر نعمة، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ** ﴾ [البقرة:١٥٢]

---

(١) [تفسير البغوي١/٢١].وانظر [لسان العرب:٥/١٤٤-١٤٥]، و[المفردات للأصفهاني: ص٦٥٣]، و[غريب القرآن لابن قتيبة:١/١٣-١٤].

(٢) [مجموع الفتاوى: ١٢/٣٣٥].



والثالث: التبرؤ، ومنه قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ** ﴾ [العنكبوت:٢٥]

والرابع: الجحود، ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ** ﴾ [البقرة:٨٩]

والخامس: التغطية، ومنه قوله تعالى: ﴿ **أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ** ﴾ [الحديد:٢٠] يريد الزرَّاع الذين يغطون الحب)[١].

ب- والكفر يقابل الإيمان من كل وجه :

فأصل الكفر يقابله أصل الإيمان ، وشعب الكفر يقابلها شعب الإيمان.

يقول ابن تيمية :

(لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير بها كافراً الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمناً حتى يقوم به أصل الإيمان وحقيقته)[٢].

ويقول - رحمه الله :

(والكفر عدم الإيمان باتفاق المسلمين سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أو لم يعتقد شيئا و لم يتكلم)[٣].

(١) [نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي: ١٣٩/٢-١٤٠].

(٢) [اقتضاء الصراط المستقيم:صـ٦٧].

(٣) [مجموع الفتاوى: ٨٦/٢٠].





ج- أنواع الكفر:

الكفر نوعان : كفر أكبر وكفر أصغر .

الكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار .

(والكفر الأصغر : موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود كما في قوله تعالى- وكان مما يتلى فنسخ لفظه-: « **لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم** »[(١)]. وقوله في الحديث الصحيح: « **اثنتان من أمتي هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة** »[(٢)]، وقوله في السنن: « من أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد »[(٣)])[(٤)].

د- وأنواع الكفر الأكبر هي:

١- **كفر التكذيب**: قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾ [الأنعام:٢١]

٢- **كفر الجحود**: قال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾ [النمل:١٤]

٣- **كفر الإباء**: قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۝١١٦ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ** ﴾[طه:١١٦-١١٧]

---

(١) رواه البخاري: [٦٢٧٠/الفرائض/باب: من ادعي إلى غير أبيه] ورواه مسلم: [٦١/الإيمان / بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم] بلفظ (لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر) .

(٢) رواه مسلم [٦٧/ الإيمان / باب: إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة] بلفظ (اثنتان في الناس ...)

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود [٣٩٠٤/ الطب] والترمذي [١٣٥/ الطهارة /باب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض]، وصححه الألباني في [صحيح الجامع: ٥٩٤٢] .

(٤) [تهذيب مدارج السالكين:صـ١٣٧].



٤- **كفر الاستكبار**: قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأحقاف:١٠]

٥- **كفر النفاق**: قال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون:١-٣]

٦- **كفر الشك**: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ:٢٠-٢١]

٧- **كفر السب**: قال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [؟؟؟؟؟:؟؟]

٨- **كفر الاستهزاء** : قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]

٩- **كفر الإعراض**: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف:٣] .



لأن الشخص إن أعرض عن الحق لا يتعلمه ولا يعمل به فهو معرض، فإن سمع الحق و لم يصدق فهو مكذب، فإن صدق بقلبه وأنكر بلسانه فهو جاحد، فإن أقر بلسانه وامتنع عن قبوله فهو آب، فإن زعم القبول و لم يلتزم وينقاد فهو مستكبر، فإن انقاد ظاهراً وارتاب باطناً فهو شاك، فإن كرهه فهو منافق فإن تمكن النفاق منه جاهر بالسب والاستهزاء ما أمكنه.

أعاذنا الله والمسلمين من كل ما يسخط ربنا عز وجل .

تنبيهات :

١ – هل للمشرك حجة أو برهان على شركه ؟

من تدبر آيات الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – تتريل من حكيم حميد– كما أمره الله تعالى حيث قال:﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ** ﴾ [محمد:٢٤] ، وقال سبحانه: ﴿ **كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾ [ص:٢٩] علم أنه ليس للمشرك حجة ولا برهان على شركه وبيان ذلك في أربع نقاط:

١- الشرك لم يتزل الله به سلطانا

٢- الشرك تخرص بغير علم

٣- الشرك محض افتراء على الله

٤- الإضلال ليس حجة لصاحب الشرك.

وإليك تفصيل ما أجملت:



أولا: الشرك لم يترل الله به سلطانا: (١)

السلطان: الحجة والبرهان .

يقول ابن القيم:

(قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾ [إبراهيم:٢٢] قال:

ما كان لي من حجة أحتج بها عليكم أي: ما أظهرت لكم حجة :﴿ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾ وصدقتم مقالتي واتبعتموني بلا برهان ولا حجة) (٢).

الأدلة على ذلك:

١. قال تعالى:﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران:١٥١]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره(٣):

(﴿ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ أي : ذلك بسبب ما اتخذوا من دونه من الأنداد والأصنام التي اتخذوها على حسب أهوائهم وإرادهم الفاسدة من غير حجة ولا برهان) (٤).

٢. وقال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٤٤]

---

(١) ذكرت كلمة سلطان أو مشتقاقا في تسعة وثلاثين موضعا في كتاب الله ذكرت منها ما يتعلق بالشرك.

(٢) [إغاثة اللهفان: ص١٢٧].

(٣) اقتصرت على تعليقات الشيخ ناصر السعدي لثلاثة أمور: ١- لسلامة معتقده ٢- لانتشار تفسيره بين الناس ٣- لسهولة لغته وبساطته.

(٤) [تفسير السعدي: ص١٥٢].



يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ أي : حجة واضحة على عقوبتكم . فإنه قد أنذرنا وحذرنا منها ، وأخبرنا بما فيها من المفاسد . فسلوكها – بعد هذا – موجب للعقاب . وهذه الآية ، دليل على كمال عدل الله ، وأن الله لا يعذب أحدا؛ قبل قيام الحجة عليه . وفيه التحذير من المعاصي ؛ فإن فاعلها يجعل لله عليه سلطانا مبينا) [١].

٣. وقال سبحانه:﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:٨١]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ﴾ أي: إلا بمجرد اتباع الهوى) [٢].

٤. وقال سبحانه:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ﴾ أي: حجة ، بل أنزل الحجة والبرهان على التوحيد) [٣].

---

(١) [تفسير السعدي: صـ٢١١].

(٢) [تفسير السعدي: صـ٢٦٣].

(٣) [تفسير السعدي: صـ٢٨٧].





٥. وقال سبحانه:﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٖ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف:٧١]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٖ ﴾ فإنها لو كانت صحيحة لأنزل الله بها سلطانا، فعدم إنزاله له دليل على بطلانها، فإنه ما من مطلوب ومقصود - وخصوصا الأمور الكبار - إلا وقد بين الله فيها من الحجج، ما يدل عليها، ومن السلطان، ما لا تخفى معه)(١).

٦. وقال سبحانه:﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يونس:٦٨]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنِۭ بِهَٰذَآ ﴾ أي: هل عندكم من حجة وبرهان يدل على أن لله ولدًا، فلو كان لهم دليل لأبدوه، فلما تحداهم وعجزهم عن إقامة الدليل، علم بطلان ما قالوه. وأن ذلك قول بلا علم، ولهذا قال: ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾)(٢).

٧. وقال سبحانه:﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءٗ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٤٠]

(١) [تفسير السعدي: صـ٢٩٤] .

(٢) [تفسير السعدي: صـ٣٦٩].



يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ بل أنزل الله السلطان بالنهي عن عبادها وبيان بطلانها، وإذا لم يترل الله بها سلطانا، لم يكن طريق ولا وسيلة ولا دليل لها) (١).

٨. وقال سبحانه:﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨٠-٨١]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ أي: حجة ظاهرة، وبرهانًا قاطعًا على جميع ما آتيه وما أذره.

وهذا أعلى حالة يترلها الله العبد، أن تكون أحواله كلها خيرًا ومقربة له إلى ربه، وأن يكون له -على كل حالة من أحواله- دليلاً ظاهرًا، وذلك متضمن للعلم النافع، والعمل الصالح، للعلم بالمسائل والدلائل.

وقوله: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ والحق هو ما أوحاه الله إلى رسوله محمد ﷺ ، فأمره الله أن يقول ويعلن، قد جاء الحق الذي لا يقوم له شيء، وزهق الباطل أي: اضمحل وتلاشى.

﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ أي: هذا وصف الباطل، ولكنه قد يكون له صولة وروجان إذا لم يقابله الحق فعند مجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقى له حراك.

ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بآيات الله وبيناته) (٢).

---

(١) [تفسير السعدي: ص ٣٩٨].

(٢) [تفسير السعدي: ص ٤٦٥].





٩. وقال سبحانه:﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۢ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ [الكهف:١٥]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۢ بَيِّنٖ ﴾ أي: بحجة وبرهان، على ما هم عليه من الباطل، ولا يستطيعون سبيلا إلى ذلك، وإنما ذلك افتراء منهم على الله وكذب عليه، وهذا أعظم الظلم) (١).

١٠. وقال سبحانه:﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴾ [الحج:٧١]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(يذكر تعالى حالة المشركين به، العادلين به غيره، وأن حالهم أقبح الحالات، وأنه لا مستند لهم على ما فعلوه، فليس لهم به علم، وإنما هو تقليد تلقوه عن آبائهم الضالين، وقد يكون الإنسان لا علم عنده بما فعله، وهو -في نفس الأمر- له حجة ما علمها، فأخبر هنا، أن الله لم يترل في ذلك سلطانا، أي: حجة تدل عليه وتجوزه، بل قد أنزل البراهين القاطعة على فساده وبطلانه) (٢).

---

(١) [تفسير السعدي: صـ٤٧٢].

(٢) [تفسير السعدي: صـ٥٤٥] .



١١. وقال سبحانه:﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم:٣٥]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا ﴾ أي: حجة ظاهرة ﴿ فَهُو ﴾ أي: ذلك السلطان، ﴿ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾ ويقول لهم: اثبتوا على شرككم واستمروا على شككم فإن ما أنتم عليه هو الحق وما دعتكم الرسل إليه باطل.فهل ذلك السلطان موجود عندهم حتى يوجب لهم شدة التمسك بالشرك؟ أم البراهين العقلية والسمعية والكتب السماوية والرسل الكرام وسادات الأنام، قد نهوا أشد النهي عن ذلك وحذروا من سلوك طرقه الموصلة إليه وحكموا بفساد عقل ودين من ارتكبه؟

فشرك هؤلاء بغير حجة ولا برهان وإنما هو أهواء النفوس، ونزغات الشيطان) (١).

١٢. وقال سبحانه:﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الصافات:١٥٦-١٥٧]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: حجة ظاهرة على قولكم، من كتاب أو رسول.

وكل هذا غير واقع، ولهذا قال: ﴿ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ فإن من يقول قولا لا يقيم عليه حجة شرعية، فإنه كاذب متعمد، أو قائل على الله بلا علم) (٢).

---

(١) [تفسير السعدي: صـ٦٤٢].

(٢) [تفسير السعدي: صـ٧٠٨] .





١٣. وقال سبحانه:﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾ [غافر:٣٥]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ التي بينت الحق من الباطل، وصارت –من ظهورها– بمترلة الشمس للبصر، فهم يجادلون فيها على وضوحها، ليدفعوها ويبطلوها ﴿ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ ﴾ أي: بغير حجة وبرهان، وهذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله، فإنه من المحال أن يجادل بسلطان، لأن الحق لا يعارضه معارض، فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي أصلا) [١].

١٤. وقال سبحانه:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [غافر:٥٦]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(يخبر تعالى أن من جادل في آياته ليبطلها بالباطل، بغير بينة من أمره ولا حجة، إن هذا صادر من كبر في صدورهم على الحق وعلى من جاء به، يريدون الاستعلاء عليه بما معهم من الباطل، فهذا قصدهم ومرادهم.

ولكن هذا لا يتم لهم وليسوا ببالغيه، فهذا نص صريح، وبشارة، بأن كل من جادل الحق أنه مغلوب، وكل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل) [٢].

---

(١) [تفسير السعدي: صـ٧٣٨] .

(٢) [تفسير السعدي: صـ٧٤٠] .



١٥. وقال سبحانه:﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الطور:٣٨]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم ﴾ المدعي لذلك ﴿ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ وأنى له ذلك؟

والله تعالى عالم الغيب والشهادة، فلا يظهر على غيبه [أحدا] إلا من ارتضى من رسول يخبره بما أراد من علمه.

وإذا كان محمد ﷺ أفضل الرسل وأعلمهم وإمامهم، وهو المخبر بما أخبر به، من توحيد الله، ووعده، ووعيده، وغير ذلك من أخباره الصادقة، والمكذبون هم أهل الجهل والضلال والغي والعناد، فأي المخبرين أحق بقبول خبره؟ خصوصا والرسول ﷺ قد أقام من الأدلة والبراهين على ما أخبر به، ما يوجب أن يكون خبره عين اليقين وأكمل الصدق، وهم لم يقيموا على ما ادعوه شبهة، فضلا عن إقامة حجة) (١).

١٦. وقال سبحانه:﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾ [النجم:٢٣]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ أي: من حجة وبرهان على صحة مذهبكم، وكل أمر ما أنزل الله به من سلطان، فهو باطل فاسد، لا يتخذ دينا، وهم -في أنفسهم- ليسوا بمتبعين لبرهان، يتيقنون به ما ذهبوا إليه، وإنما دلهم على قولهم، الظن الفاسد، والجهل الكاسد، وما تهواه أنفسهم من الشرك، والبدع الموافقة لأهويتهم، والحال أنه لا موجب لهم يقتضي اتباعهم الظن، من فقد العلم والهدى، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾ أي: الذي

(١) [تفسير السعدي: صـ٨١٧] .



يرشدهم في باب التوحيد والنبوة، وجميع المطالب التي يحتاج إليها العباد، فكلها قد بينها الله أكمل بيان وأوضحه، وأدله على المقصود، وأقام عليه من الأدلة والبراهين، ما يوجب لهم ولغيرهم اتباعه، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة من بعد البيان والبرهان)[١].

---

(١) تفسير السعدي: ص٨٢٠ .



ثانيا: الشرك تخرص بغير علم:

فإن كان الشرك كما بين الله في كتابه أنه لم يُنزل به سلطانا أي – حجة ولا برهان– فهو قول بغير علم وتخرص بسوء ظن والآيات على ذلك كثيرة أشهرها:

١. قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [الأنعام:١٠٠]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(أي : ائتفكوا ، وافتروا من تلقاء أنفسهم لله ، بنين وبنات ، بغير علم منهم . ومن أظلم ممن قال على الله بلا علم ، وافترى عليه أشنع النقص، الذي يجب تتريه الله عنه ؟!) [١].

٢. ويقول سبحانه:﴿ **وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ** ﴾ [الأنعام:١١٩]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ **وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم** ﴾ أي : بمجرد ما تهوى أنفسهم ﴿ **بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ** ﴾ ولا حجة . فليحذر العبد من أمثال هؤلاء ، وعلامتهم – كما وصفهم الله لعباده – أن دعوتهم ، غير مبنية على برهان ، ولا لهم حجة شرعية . وإنما يوجد لهم شبه ، بحسب أهوائهم الفاسدة ، وآرائهم القاصرة . فهؤلاء ، معتدون على شرع الله ، وعلى عباد الله ، والله لا يحب المعتدين . بخلاف الهادين المهتدين ، فإنهم يدعون إلى الحق والهدى

---

(١) [تفسير السعدي: صـ٢٦٧].





، ويؤيدون دعوتهم بالحجج العقلية والنقلية ، ولا يتبعون في دعوتهم إلا رضا ربهم ، والقرب منه) [(١)].

٣. ويقول سبحانه: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٣-١٤٤]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في قولكم ودعواكم، ومن المعلوم أنهم لا يمكنهم أن يقولوا قولا سائغا في العقل، إلا واحدا من هذه الأمور الثلاثة [أي المذكورة في الآية] وهم لا يقولون بشيء منها. إنما يقولون: إن بعض الأنعام التي يصطلحون عليها اصطلاحات من عند أنفسهم، حرام على الإناث دون الذكور، أو محرمة في وقت من الأوقات، أو نحو ذلك من الأقوال، التي يعلم علما لا شك فيه أن مصدرها من الجهل المركب، والعقول المختلة المنحرفة، والآراء الفاسدة، وأن الله، ما أنزل -بما قالوه- من سلطان، ولا لهم عليه حجة ولا برهان) [(٢)].

---

(١) [تفسير السعدي: صـ٢٧١] .

(٢) [تفسير السعدي: صـ٢٧٧].



٤. ويقول سبحانه: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٨-١٤٩]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾ فلو كان لهم علم - وهم خصوم ألداء- لأخرجوه، فلما لم يخرجوه علم أنه لا علم عندهم. ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ ومَنْ بنى حججه على الخرص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي والعناد والشر والفساد؟ ومنها [أي: أوجه الرد على احتجاج المشركين بالقدر]: أن الحجة لله البالغة، التي لم تبق لأحد عذرا، التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل، لأن نقيض الحق، لا يكون إلا باطلا) [(١)].

٥. ويقول سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الحج:٣-٤]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(أي: ومن الناس طائفة وفرقة، سلكوا طريق الضلال، وجعلوا يجادلون بالباطل الحق، يريدون إحقاق الباطل وإبطال الحق، والحال أنهم في غاية الجهل ما عندهم من العلم شيء، وغاية ما عندهم، تقليد أئمة الضلال، من كل شيطان مريد، متمرد على

---

(١) [تفسير السعدي: صـ٢٧٨-٢٧٩].





الله وعلى رسله، معاند لهم، قد شاق الله ورسوله، وصار من الأئمة الذين يدعون إلى النار.

﴿ كُتِبَ ﴾ أي: قدر على هذا الشيطان المريد ﴿ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ ﴾ أي: اتبعه ﴿ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ ﴾ عن الحق، ويجنبه الصراط المستقيم ﴿ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ ... فهذا الذي يجادل في الله، قد جمع بين ضلاله بنفسه، وتصديه إلى إضلال الناس، وهو متبع، ومقلد لكل شيطان مريد، ظلمات بعضها فوق بعض، ويدخل في هذا، جمهور أهل الكفر والبدع، فإن أكثرهم مقلدة، يجادلون بغير علم) (١).

٦. ويقول سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج:٨-٩]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(المجادلة المتقدمة للمقلد، وهذه المجادلة للشيطان المريد، الداعي إلى البدع، فأخبر أنه ﴿ يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ ﴾ أي: يجادل رسل الله وأتباعهم بالباطل ليدحض به الحق، ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ صحيح ﴿ وَلَا هُدًى ﴾ أي: غير متبع في جداله هذا من يهديه، لا عقل مرشد، ولا متبوع مهتد، ﴿ وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ أي: واضح بين، أي: فلا له حجة عقلية ولا نقلية ، إن هي إلا شبهات، يوحيها إليه الشيطان ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ ﴾ ... ﴿ لِيُضِلَّ ﴾ الناس، أي: ليكون من دعاة الضلال، ويدخل تحت هذا جميع أئمة الكفر والضلال) (٢).

(١) [تفسير السعدي: صـ٥٣٣] باختصار.

(٢) [تفسير السعدي: صـ٥٣٤]. باختصار





٧. ويقول سبحانه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت:٨]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ وليس لأحد علم بصحة الشرك باللّه، وهذا تعظيم لأمر الشرك)[١].

٨. ويقول سبحانه: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ [الروم:٢٨-٢٩]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ﴾ بتوضيحها بأمثلتها ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ الحقائق ويعرفون، وأما من لا يعقل فلو فُصِّلَت له الآيات وبينت له البينات لم يكن له عقل يبصر به ما تبين ولا لُبٌّ يعقل به ما توضح، فأهل العقول والألباب هم الذين يساق إليهم الكلام ويوجه الخطاب.

إذا علم من هذا المثال أن من اتخذ من دون اللّه شريكا يعبده ويتوكل عليه في أموره، فإنه ليس معه من الحق شيء فما الذي أوجب له الإقدام على أمر باطل توضح له بطلانه وظهر برهانه؟ لقد أوجب لهم ذلك اتباع الهوى، فلهذا قال: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ هويت أنفسهم الناقصة التي ظهر من نقصانها ما

---

(١) [تفسير السعدي: صـــ٦٢٧].



تعلق به هواها، أمرا يجزم العقل بفساده والفطر برده بغير علم دلهم عليه ولا برهان قادهم إليه) [(١)].

٩. ويقول سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان:٢٠]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ ﴾ أي: يجادل عن الباطل؛ ليدحض به الحق؛ ويدفع به ما جاء به الرسول من الأمر بعبادة اللّه وحده، وهذا المجادل على غير بصيرة، فليس جداله عن علم، فيترك وشأنه، ويسمح له في الكلام ﴿ وَلَا هُدًى ﴾ يقتدي به بالمهتدين ﴿ وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [غير مبين للحق فلا معقول ولا منقول ولا اقتداء بالمهتدين] وإنما جداله في اللّه مبني على تقليد آباء غير مهتدين، بل ضالين مضلين) [(٢)].

١٠. ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر:٤٠]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(فإذا لم يخلقوا شيئا، و لم يشاركوا الخالق في خلقه، فلم عبدتموهم ودعوتموهم مع إقراركم بعجزهم؟ فانتفى الدليل العقلي على صحة عبادتهم، ودل على بطلانها ثم ذكر الدليل السمعي، وأنه أيضا منتف، فلهذا قال: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا ﴾ يتكلم بما كانوا

(١) [تفسير السعدي: صـ ٦٤٠].

(٢) [تفسير السعدي: صـ ٦٤٩-٦٥٠].



به يشركون، يأمرهم بالشرك وعبادة الأوثان. ﴿ فَهُمْ ﴾ في شركهم ﴿ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ ﴾ من ذلك الكتاب الذي نزل عليهم في صحة الشرك؟

ليس الأمر كذلك؟ فإنهم ما نزل عليهم كتاب قبل القرآن، ولا جاءهم نذير قبل رسول اللّه محمد ﷺ ، ولو قدر نزول كتاب إليهم، وإرسال رسول إليهم، وزعموا أنه أمرهم بشركهم، فإنا نجزم بكذبهم، لأن اللّه قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ فالرسل والكتب، كلها متفقة على الأمر بإخلاص الدين للّه تعالى، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾

فإن قيل: إذا كان الدليل العقلي، والنقلي قد دلا على بطلان الشرك، فما الذي حمل المشركين على الشرك، وفيهم ذوو العقول والذكاء والفطنة؟

أجاب تعالى بقوله: ﴿ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ أي: ذلك الذي مشوا عليه، ليس لهم فيه حجة، فإنما ذلك توصية بعضهم لبعض به، وتزيين بعضهم لبعض، واقتداء المتأخر بالمتقدم الضال، وأمانيّ مَنَّاها الشيطان، وزين لهم سوء أعمالهم، فنشأت في قلوبهم، وصارت صفة من صفاتها، فعسر زوالها، وتعسر انفصالها، فحصل ما حصل من الإقامة على الكفر والشرك الباطل المضمحل) [(١)].

١١. ويقول سبحانه: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾ [غافر:٤١-٤٢]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ أنه يستحق أن يُعبد من دون الله، والقول على الله بلا علم من أكبر الذنوب وأقبحها) [(٢)].

(١) [تفسير السعدي: صــ٦٩١].

(٢) [تفسير السعدي: صــ٦٩١].





١٢. ويقول سبحانه: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:١٩-٢٢]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(فإن اللّه تعالى أبطل الاحتجاج به [أي القدر]، ولم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله، فإن اللّه تعالى قد أقام الحجة على العباد، فلم يبق لأحد عليه حجة أصلا، ولهذا قال هنا: ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ أي: يتخرصون تخرصا لا دليل عليه، ويتخبطون خبط عشواء.

ثم قال: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ يخبرهم بصحة أفعالهم، وصدق أقوالهم؟ ليس الأمر كذلك، فإن اللّه أرسل محمدا نذيرا إليهم، وهم لم يأتهم نذير غيره، أي: فلا عقل ولا نقل، وإذا انتفى الأمران، فلا ثَمَّ إلا الباطل.

نعم، لهم شبهة من أوهى الشُّبَه، وهي تقليد آبائهم الضالين، الذين ما زال الكفرة يردون بتقليدهم دعوة الرسل) (١).

(١) [تفسير السعدي: صـــ٧٦٤].



١٣. ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف:٤]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(... فهذا دليل عقلي قاطع على أن كل من سوى الله فعبادته باطلة.

ثم ذكر انتفاء الدليل النقلي فقال: ﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ ﴾ الكتاب يدعو إلى الشرك ﴿ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ موروث عن الرسل يأمر بذلك. من المعلوم أنهم عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك، بل نجزم ونتيقن أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم ونهوا عن الشرك به، وهي أعظم ما يؤثر عنهم من العلم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ وكل رسول قال لقومه: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ فعلم أن جدال المشركين في شركهم غير مستندين فيه على برهان ولا دليل وإنما اعتمدوا على ظنون كاذبة وآراء كاسدة وعقول فاسدة)[1].

(١) [تفسير السعدي: صـ٧٧٩].





ثالثا: الشرك محض افتراء على الله:

وهذا العنصر بمثابة النتيجة للمقدمتين السابقتين ، فإن كان الشرك لم ينزل الله به سلطانا وكان تخرصا بغير علم فهو محض افتراء على الله والآيات في ذلك كثيرة، أشهرها:

١. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء:٤٨]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾ أي: افترى جرما كبيرا، وأي: ظلم أعظم ممن سوى المخلوق – من تراب ، الناقص من جميع الوجوه، الفقير بذاته من كل وجه ، الذي لا يملك لنفسه فضلا عمن عبده نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا – بالخالق لكل شيء، الكامل من جميع الوجوه، الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، الذي بيده النفع والضر والمنع، الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا منه تعالى . فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟) (١).

٢. ويقول سبحانه: ﴿ **مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾ [المائدة:١٠٣-١٠٤] .

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(فكل هذه مما جعلها المشركون محرمة بغير دليل ولا برهان. وإنما ذلك افتراء على الله، وصادرة من جهلهم وعدم عقلهم، ولهذا قال: ﴿ **وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ**

---

(١) [تفسير السعدي: صـــ١٨٢].



عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ فلا نقل فيها ولا عقل، ومع هذا فقد أعجبوا بآرائهم التي بنيت على الجهالة والظلم.

فإذا دعوا ﴿ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ أعرضوا فلم يقبلوا، و ﴿ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ من الدين، ولو كان غير سديد، ولا دينًا ينجي من عذاب الله.

ولو كان في آبائهم كفاية ومعرفة ودراية لهان الأمر. ولكن آباءهم لا يعقلون شيئا، أي: ليس عندهم من المعقول شيء، ولا من العلم والهدى شيء. فتبا لمن قلد من لا علم عنده صحيح، ولا عقل رجيح، وترك اتباع ما أنزل الله، واتباع رسله الذي يملأ القلوب علما وإيمانا،وهدى،وإيقانا) [(١)].

٣. ويقول سبحانه: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ [الأنعام:٢١-٢٤]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(أي: لا أعظم ظلما وعنادا، ممن كان فيه أحد الوصفين، فكيف لو اجتمعا، افتراء الكذب على الله، أو التكذيب بآياته، التي جاءت بها المرسلون، فإن هذا أظلم الناس، والظالم لا يفلح أبدا.

ويدخل في هذا، كل من كذب على الله، بادعاء الشريك له والعوين، أوزعم أنه ينبغي أن يعبد غيره أو اتخذ له صاحبة أو ولدا، وكل من رد الحق الذي جاءت به الرسل أو مَنْ قام مقامهم) [(٢)].

---

(١) [تفسير السعدي: صـــ246].

(٢) [تفسير السعدي: صـــ253].



٤. ويقول سبحانه: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[الأنعام:١٣٦-١٤٠]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ أي: دعهم مع كذبهم وافترائهم، ولا تحزن عليهم، فإنهم لن يضروا الله شيئا. ومن أنواع سفاهتهم أن الأنعام التي أحلها الله لهم عموما، وجعلها رزقا ورحمة، يتمتعون بها وينتفعون، قد اخترعوا فيها بِدعًا وأقوالا من تلقاء أنفسهم، فعندهم اصطلاح في بعض الأنعام [والحرث] ... وكل هذا بزعمهم لا مستند لهم ولا حجة إلا أهويتهم، وآراؤهم الفاسدة ... ﴿ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: كذبا يكذب به كل معاند كَفَّار. ﴿ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ أي: قد ضلوا ضلالا بعيدا، و لم يكونوا مهتدين في شيء من أمورهم)[١].

---

(١) [تفسير السعدي: ص 276-275] باختصار.



٥. ويقول سبحانه:﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:٣٧]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(أي: لا أحد أظلم ﴿ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بنسبة الشريك له ، أو النقص له ، أو التقول عليه ما لم يقل ...) [١].

٦. ويقول سبحانه :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٢]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ فكل مفتر على اللّه، كاذب على شرعه، متقول عليه ما لم يقل، فإن له نصيبا من الغضب من اللّه، والذل في الحياة الدنيا ...) [٢].

٧. ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس:٥٩-٦٠] .

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(يقول تعالى - منكرًا على المشركين، الذين ابتدعوا تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه -: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ يعني أنواع الحيوانات المحللة، التي جعلها الله رزقا لهم ورحمة في حقهم. قل لهم - موبخا على هذا القول الفاسد-:

---

(١) [تفسير السعدي: ص ٢٨٨].

(٢) [تفسير السعدي: ص 304].





﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ ومن المعلوم أن الله لم يأذن لهم، فعلم أنهم مفترون. ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أن يفعل الله بهم من النكال، ويحل بهم من العقاب) [١].

٨. ويقول سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[هود:١٨]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(يخبر تعالى أنه لا أحد ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ ويدخل في هذا كل من كذب على الله، بنسبة الشريك له، أو وصفه بما لا يليق بجلاله، أو الإخبار عنه، بما لم يقل، أو ادعاء النبوة، أو غير ذلك من الكذب على الله، فهؤلاء أعظم الناس ظلما) [٢].

٩. ويقول سبحانه: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾[هود:٥٠]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(أي: أمرهم بعبادة الله وحده، ونهاهم عما هم عليه، من عبادة غير الله، وأخبرهم أنهم قد افتروا على الله الكذب في عبادتهم لغيره،وتجويزهم لذلك، ووضح لهم وجوب عبادة الله، وفساد عبادة ما سواه) [٣].

---

(١) [تفسير السعدي: ص 367].

(٢) [تفسير السعدي: صـــ379].

(٣) [تفسير السعدي: صـــ383].



١٠. ويقول سبحانه:﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل:٥٦]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(يخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم وافترائهم على الله الكذب، وأنهم يجعلون لأصنامهم التي لا تعلم ولا تنفع ولا تضر نصيبا مما رزقهم الله وأنعم به عليهم، فاستعانوا برزقه على الشرك به، ... ﴿ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ ويقال: ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ۗ ﴾ فيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة) (١).

١١. ويقول سبحانه:﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل:١١٦]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ ﴾ أي: لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم، كذبا وافتراء على الله وتقولا عليه.

﴿ لِّتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة) (٢).

---

(١) تفسير السعدي: ص ٤٤٢،٤٤٣.

(٢) تفسير السعدي: ص٤٥١.

رابعا: الإضلال عقوبة وليس حجة لصاحب الشرك

إن كان الشرك كما أخبرنا الله سبحانه أنه لم يترل به سلطانا وصاحبه لا علم له به وإنما هو محض افتراء على الله فإن احتج بالاقتداء بالآباء والأجداد والسادة والكبراء لم يكن ذلك نافع له ولا حجة له فيه والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

١. يقول سبحانه:﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾[الأعراف:٣٨-٣٩]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا ﴾ أي: اجتمع في النار جميع أهلها، من الأولين والآخرين، والقادة والرؤساء والمقلدين الأتباع.

﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ ﴾ أي: متأخروهم، المتبعون للرؤساء ﴿ لِأُولَىٰهُمْ ﴾ أي: لرؤسائهم، شاكين إلى اللّه إضلالهم إياهم: ﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ أي: عذبهم عذابا مضاعفا لأنهم أضلونا، وزينوا لنا الأعمال الخبيثة.

﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ ﴾ أي: الرؤساء، قالوا لأتباعهم: ﴿ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ أي: قد اشتركنا جميعا في الغي والضلال، وفي فعل أسباب العذاب، فأي: فضل لكم علينا؟ ﴿ قَالَ ﴾ اللّه ﴿ لِكُلٍّ ﴾ منكم ﴿ ضِعْفٌ ﴾ ونصيب من العذاب. ﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ ... فهذه الآيات ونحوها، دلت على أن سائر أنواع

المكذبين بآيات اللّه، مخلدون في العذاب، مشتركون فيه وفي أصله، وإن كانوا متفاوتين في مقداره، بحسب أعمالهم وعنادهم وظلمهم وافترائهم) (١).

٢. ويقول سبحانه:﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الشعراء:٩١-٩٩]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ ﴾ عن طريق الهدى والرشد ودعانا إلى طريق الغي والفسق ﴿ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ وهم الأئمة الذين يدعون إلى النار) (٢).

١. ويقول سبحانه:﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴾ [القصص:٦٢-٦٤]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ الرؤساء والقادة، في الكفر والشر، مقرين بغوايتهم وإغوائهم: ﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ التابعون ﴿ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ أي: كلنا قد اشترك في الغواية، وحق عليه كلمة العذاب ...) (٣).

---

(١) [تفسير السعدي: ص٢٨٨].

(٢) [تفسير السعدي: ص٥٩٣-٥٩٤].

(٣) [تفسير السعدي: ص ٦٢٢].





٢. ويقول سبحانه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[الأحزاب:٦٤-٦٨]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾ وقلدناهم على ضلالهم، ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ كقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ ﴾ الآية.

ولما علموا أنهم هم وكبراءهم مستحقون للعقاب، أرادوا أن يشتفوا ممن أضلوهم، فقالوا: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾)[1].

٣. ويقول سبحانه:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ:٣١-٣٣]

(١) [تفسير السعدي: ص٦٧٣].



يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(لما ذكر تعالى أن ميعاد المستعجلين بالعذاب،لا بد من وقوعه عند حلول أجله، ذكر هنا حالهم في ذلك اليوم،وأنك لو رأيت حالهم إذا وقفوا عند ربهم،واجتمع الرؤساء والأتباع في الكفر والضلال،لرأيت أمرا عظيما وهولا جسيما، ورأيت كيف يتراجع،ويرجع بعضهم إلى بعض القول، فـ ﴿ **يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ** ﴾ وهم الأتباع ﴿ **لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ** ﴾ وهم القادة: ﴿ **لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ** ﴾ ولكنكم حُلْتُم بيننا وبين الإيمان،وزينتم لنا الكفر[ان]،فتبعناكم على ذلك، ومقصودهم بذلك أن يكون العذاب على الرؤساء دونهم.

﴿ **قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ** ﴾ مستفهمين لهم ومخبرين أن الجميع مشتركون في الجرم: ﴿ **أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم** ﴾ أي: بقوتنا وقهرنا لكم. ﴿ **بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ** ﴾ أي: مختارين للإجرام،لستم مقهورين عليه،وإن كنا قد زينا لكم، فما كان لنا عليكم من سلطان.

﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا** ﴾ أي: بل الذي دهانا منكم،ووصل إلينا من إضلالكم،ما دبرتموه من المكر،في الليل والنهار،إذ تُحَسِّنون لنا الكفر،وتدعوننا إليه ، وتقولون: إنه الحق،وتقدحون في الحق وتهجنونه ، وتزعمون أنه الباطل، فما زال مكركم بنا،وكيدكم إيانا،حتى أغويتمونا وفتنتمونا.

فلم تفد تلك المراجعة بينهم شيئا إلا تبري بعضهم من بعض،والندامة العظيمة،ولهذا قال: ﴿ **وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ** ﴾) (١).

---

(١) [تفسير السعدي: صـ٦٨١].



ويقول سبحانه:﴿ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الصافات:٢٢-٣٤]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(لما جمعوا هم وأزواجهم وآلهتهم، وهدوا إلى صراط الجحيم، ووقفوا، فسئلوا، فلم يجيبوا، وأقبلوا فيما بينهم، يلوم بعضهم بعضا على إضلالهم وضلالهم.

فقال الأتباع للمتبوعين الرؤساء: ﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾ أي: بالقوة والغلبة، فتضلونا، ولولا أنتم لكنا مؤمنين.

﴿ قَالُوا ﴾ لهم ﴿ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: ما زلتم مشركين، كما نحن مشركون، فأي: شيء فضلكم علينا؟ وأي: شيء يوجب لومنا؟

﴿ وَ ﴾ الحال أنه ﴿ مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ﴾ أي: قهر لكم على اختيار الكفر ﴿ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴾ متجاوزين للحد

﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا ﴾ نحن وإياكم ﴿ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴾ العذاب،.أي: حق علينا قدر ربنا وقضاؤه، أنا وإياكم سنذوق العذاب، ونشترك في العقاب ﴿ فَ ﴾ لذلك ﴿ أَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴾ أي: دعوناكم إلى طريقتنا التي نحن عليها، وهي الغواية، فاستجبتم لنا، فلا تلومونا ولوموا أنفسكم) [١].

(١) [تفسير السعدي: ص٧٠٢].



٤. ويقول سبحانه:﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾[غافر:٤٧-٤٨]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾ يحتج التابعون بإغواء المتبوعين، ويتبرأ المتبوعون من التابعين، ﴿ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ ﴾ أي: الأتباع للقادة ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ ﴾ على الحق، ودعوهم إلى ما استكبروا لأجله. ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ أنتم أغويتمونا وأضللتمونا وزينتم لنا الشرك والشر، ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ أي: ولو قليلاً.

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ ﴾ مبينين لعجزهم ونفوذ الحكم الإلهي في الجميع: ﴿ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾) [(١)].

٥. ويقول سبحانه:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت:٢٩]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي: الأتباع منهم، بدليل ما بعده، على وجه الحنق، على من أضلهم: ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ أي: الصنفين اللذين، قادانا إلى الضلال والعذاب، من شياطين الجن، وشياطين الإنس، الدعاة إلى جهنم.

﴿ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ أي: الأذلين المهانين كما أضلونا، وفتنونا، وصاروا سببًا لنزولنا. ففي هذا، بيان حنق بعضهم على بعض، وتبرِّي بعضهم من بعض) [(١)].

---

(١) [تفسير السعدي: ص٧٣٩].



٦. ويقول سبحانه:﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف:٣٦-٣٩]

يقول الشيخ ناصر السعدي في تفسيره :

(﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي: الصراط المستقيم، والدين القويم. ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ بسبب تزيين الشيطان للباطل وتحسينه له، وإعراضهم عن الحق، فاجتمع هذا وهذا.

فإن قيل: فهل لهذا من عذر، من حيث إنه ظن أنه مهتد، وليس كذلك؟قيل: لا عذر لهذا وأمثاله، الذين مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر اللّه، مع تمكنهم على الاهتداء، فزهدوا في الهدى مع القدرة عليه، ورغبوا في الباطل، فالذنب ذنبهم، والجرم جرمهم.

فهذه حالة هذا المعرض عن ذكر اللّه في الدنيا، مع قرينه، وهو الضلال والغيّ، وانقلاب الحقائق،وأما حاله، إذا جاء ربه في الآخرة، فهو شر الأحوال ...) [٢].

(١) [تفسير السعدي: ص٧٤٨].

(٢) تفسير السعدي: ص٧٦٦



﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [الأنعام:١٤٩]حيث لم يجعل للمشرك بابا يحتج به إلا وسده دونه فلم يجعل سبحانه على الشرك حجة ولا برهان ولا سلطان ولا علم ولا آثارة من علم بل جعل على التوحيد آيات وبراهين وأدلة وشواهد عقلية وسمعية وفطرية في أوضح بيان وأبين حجة وأرسل إليهم ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥] فلا نجاة له ولا فلاح ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].



٢- الفرق بين عجز الطالب وعجز المعرض:

يقول ابن القيم :

(وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٣٦-٣٧] فأخبر سبحانه أن من ابتلاه بقرينه من الشياطين وضلاله به إنما كان بسبب إعراضه وعشوه عن ذكره الذي أنزله على رسوله، فكان عقوبة هذا الإعراض أن قيض له شيطانا يقارنه فيصده عن سبيل ربه وطريق فلاحه وهو يحسب أنه مهتد حتى إذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه وعاين هلاكه وإفلاسه قال: ﴿ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ [الزخرف:٣٨] .

وكل من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فلا بد أن يقول هذا يوم القيامة فإن قيل فهل لهذا عذر في ضلاله إذا كان يحسب انه على هدى كما **قال تعالى** :﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:٣٠] ، قيل لا عذر لهذا وأمثاله من الضلال الذين منشأ ضلالهم الإعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول ولو ظن انه مهتد فإنه مفرط بإعراضه عن اتباع داعي الهدى فإذا ضل فإنما أُتي من تفريطه وإعراضه وهذا بخلاف من كان ضلاله لعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول إليها فذاك له حكم آخر والوعيد في القرآن إنما يتناول الأول وأما الثاني فإن الله لا يعذب أحدا إلا بعد إقامة الحجة عليه، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء:١٥] ، وقال تعالى : ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥]) (١).

---

(١) [مفتاح دار السعادة لابن القيم : صـــ٥٧] .

ويقول – رحمه الله:

(لا بد في هذا المقام من تفصيل به يزول الإشكال، وهو الفرق بين مقلد تمكن من العلم ومعرفة الحق فأعرض عنه، ومقلد لم يتمكن من ذلك بوجه ، والقسمان واقعان في الوجود، فالمتمكن المعرض مفرط تارك للواجب عليه لا عذر له عند الله، وأما العاجز عن السؤال والعلم الذي لا يتمكن من العلم بوجه فهم قسمان أيضاً أحدهما مريد للهدى مؤثر له محب له، غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم من يرشده، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات، ومن لم تبلغه الدعوة. الثاني: معرض لا إرادة له، ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه.

فالأول يقول: يا رب لو أعلم لك ديناً خيراً مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه ولا أقدر على غيره، فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي. والثاني: راض بما هو عليه لا يؤثر غيره عليه ولا تطلب نفسه سواه ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته، وكلاهما عاجز وهذا لا يجب أن يلحق بالأول لما بينهما من الفرق: فالأول كمن طلب الدين في الفترة و لم يظفر به فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه عجزاً وجهلاً، والثاني كمن لم يطلبه، بل مات في شركه وإن كان لو طلبه لعجز عنه، ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض) [(١)].

يقول الشيخ سليمان بن سحمان النجدي في جوابه عن الإعراض:

(الجواب أن نقول إن هذه المسألة قد ذكر أهل العلم أن الإعراض نوعان: نوع يخرج من الملة ونوع لا يخرج من الملة فأما الذي يخرج من الملة فهو الإعراض عن دين الله لا يعلمه ولا يتعلمه كما هو مذكور في نواقض الإسلام العشرة.

---

(١) [طريق الهجرتين: صـ٣٩١]. [ط.دار التقوى] .





وأما الذي لا يخرج من الملة فهو المعرض العاجز عن السؤال والعلم الذي يتمكن به من المعرفة مع إرادته للهدى وإيثاره ومحبته له لكنه غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم المرشد) (١).

(١) [إرشاد الطالب: صـ١١-١٢].



٣- الكفر يكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد:

وعليه قد يطلق عليه الكفر القولي أو العملي أو الاعتقادي باعتبار محله: اللسان أو الجوارح أو القلب.

ولابد من التنبيه على اصطلاح بعض أهل العلم في تقسيمهم الكفر إلى كفر عملي وكفر اعتقادي ثم يجعلون الكفر العملي ما يرادف الكفر الأصغر، والكفر الاعتقادي ما يرادف الكفر الأكبر، وعليه الكفر العملي لا ينقل عن الملة إلا بشرط الاستحلال كسائر الذنوب والمعاصي.

والأصل أنه لا مشاحة في الاصطلاح غير أن المقصود من الاصطلاح هو رفع الالتباس وتيسير الأمر، وهذا التقسيم قد يورث التباسا.

بعض طلبة العلم يظن أن الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد ولا يكون بالقول أو العمل وهذا أمر باطل ولم يقصده ولاشك أصحاب هذا التقسيم، فالإجماع منعقد على أن الكفر يكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد، ، والأولى الإعراض عن كل تقسيم يورث اللبس لفظه، وإن كان قصد صاحبه صحيحا والتزام ما شاع بين أهل العلم وهو تقسيم الكفر إلى أكبر وأصغر، والله أعلم.



٤- الشرك الأكبر والكفر الأكبر منافيان للا إله إلا الله، والكفر الأصغر والشرك الأصغر وسائر الذنوب ينافي كمالها الواجب:

يقول الشيخ ابن باز:

(وأما الفرق بين الأعمال التي تنافي هذه الكلمة وهي لا إله إلا الله ، والتي تنافي كمالها الواجب ، فهو :

أن كل عمل أو قول أو اعتقاد يوقع صاحبه في الشرك الأكبر فهو ينافيها بالكلية ويضادها . كدعاء الأموات والملائكة والأصنام والأشجار والأحجار والنجوم ونحو ذلك ، والذبح لهم والنذر والسجود لهم وغير ذلك، فهذا كله ينافي التوحيد بالكلية ، ويضاد هذه الكلمة ويبطلها وهي : لا إله إلا الله ، ومن ذلك استحلال ما حرم الله من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة والإجماع كالزنا وشرب المسكر وعقوق الوالدين والربا ونحو ذلك ، ومن ذلك أيضا جحد ما أوجب الله من الأقوال والأعمال المعلومة من الدين بالضرورة والإجماع كوجوب الصلوات الخمس والزكاة وصوم رمضان وبر الوالدين والنطق بالشهادتين .

أما الأقوال والأعمال والاعتقادات التي تضعف التوحيد والإيمان وتنافي كماله الواجب فهي كثيرة ومنها : الشرك الأصغر كالرياء والحلف بغير الله ، وقول ما شاء الله وشاء فلان ، أو هذا من الله ومن فلان ونحو ذلك ، وهكذا جميع المعاصي كلها تضعف التوحيد والإيمان وتنافي كماله الواجب ، فالواجب الحذر من جميع ما ينافي التوحيد والإيمان أو ينقص ثوابهما) [١].

(١) [فتاوى العقيدة لابن باز: صـــ٢٨-٢٩]



على المسلم أن لا ينظر إلي صغر المعصية فيتجرأ عليها ولكن ينظر إلي عظم من عصاه فيستحي منه يستحي أن يلقاه وهو عليه غضبان، في يوم تشيب فيه الولدان، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم.

فالبدار البدار، إلي التوبة والاستغفار، وصالح الأعمال قبل فناء الأعمار.

أسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وأن يجعلنا من الموحدين المخلصين الصادقين إلي أن نلقاه وهو راضٍ عنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الخاتمة

اعلم – رحمك الله – أن قضية التوحيد هي أعظم القضايا وأخطرها وما تنكبت أمة من الأمم إلا بإعراضها عن توحيد ربها، وما أصاب أمتنا من ضعف وهوان وذل وانكسار فصرنا كالقصعة المستباحة إلا بسبب بعدنا عن تحقيق العبودية لله.

ولقد علم أعداء الإسلام أن قوة المسلمين في عقيدتهم فأعدوا لذلك كل عدة واتخذوا لذلك كل سبيل.

تارة بصرف الناس عن الغاية التي من أجلها خلقوا إلي متاع الحياة الدنيا وزينتها وزخرفها وفتح أبواب اللهو والترف والتنافس في ذلك.

وتارة بتشويه حقائق الدين وثوابته وسلب كلمة التوحيد كل معنى ومحتوى حتى تبقى مجرد كلمة لا أثر لها في حياة الناس.

وتارة بحرب الدعاة والقائمين على نشر التوحيد بين الناس والحيلولة دون وصول الحق إلى الخلق.

فعلى كل موحد رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولا أن يتفطن لمخططات عدوه وأن لا تشغله الدنيا بزينتها فتهجم عليه الشهوات فتفسد عليه عقله وقلبه.

وليتخذ من العلم الشرعي سبيلاً يدفع به عن نفسه شبهات عدوه ووساوس الشياطين من الإنس والجن وإلا تسربت إليه الشبهات فأفسدت عليه دينه.

وليتخذ من الصبر عدة ولا يجزع وليعلم أن وعد الله حق ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ** ﴾ [النور:٥٥].



وليجعل الشهادة في سبيل الله نصب عينيه:

(فإن الله ابتعث محمدا ﷺ إلى الثقلين وحتَّم على المشتغلين بأعباء شريعته دعوتين:

إحداهما: الدعوة المقرونة بالأدلة والبراهين والمقصود منها إزالة الشبهات وإيضاح البينات في الدعاء إلى الحق بأوضح الدلالات.

والأخرى: الدعوة القهرية المؤيدة بالسيف المسلول على المارقين الذين أبوا واستكبروا بعد وضوح الحق المبين) (١).

(لأنه إذا خلت الديار عن الجنود المعقودة والأنصار، استجرأ الكفار، وتمادى الفساد في الانتشار، وعمَّ الشر والضرّ، وظهر الخبال في البر والبحر، فكم من دماء لو أفضى الأمر إلى ذلك تُسفك، وكم من حرمات تهتك، وكم من حدود تضيع وتُهمل، وكم ذريعة في تعطيل الشريعة تُعمل، وكم من مناظم للدين تدرس وكم معالم تُمحق وتُطمس، وقد يتداعى الأمر إلى أصل الملة، ويفضي إلى عظائم تستأصل الدين كله، إذا لم ينتهض من يحمل عناء الإسلام وكلَّه) (٢).

والله المستعان وعليه التكلان.

(١) [غياث الأمم في التياث الظلم للجويني:ص٩٥].

(٢) [المصدر السابق: ص٥٠]. [كلَّه: أي أعباءه وأثقاله] .





المراجع

أولا : القرآن وعلومه :

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر
القرآن الكريم	....	....
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير	دار الشعب
جامع البيان	الطبري	دار الغد العربي
عمدة التفسير	لأحمد شاكر	دار المعرفة
تفسير أضواء البيان	للشنقيطي	أولي النهى
تفسير تيسير الكريم الرحمن	ناصر السعدي	دار الحديث
التبيان في أقسام القرآن	لابن القيم	المطبعة السلفية – القاهرة



ثانيا : السنة وشروحها

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر
فتح الباري	لابن حجر	دار القلم – بيروت
صحيح مسلم النووي	للإمام النووي	دار إحياء التراث العربي
سنن أبي داود	لأبي داود	دار الكتب العلمية
سنن الترمذي	لأبي عيسى الترمذي	دار الكتب العلمية
سنن النسائي	للنسائي	دار الكتب العلمية
سنن ابن ماجة	لابن ماجة	دار الكتب العلمية
المسند	لأحمد بن حنبل ت أحمد شاكر	دار المعارف
المعجم الكبير	للطبراني	الوطن العربي
إرواء الغليل	للألباني	المكتب الإسلامي
صحيح الجامع الصغير	للألباني	المكتب الإسلامي
ضعيف الجامع الصغير	للألباني	المكتب الإسلامي
السلسلة الصحيحة	للألباني	المكتب الإسلامي
جامع العلوم والحكم	لابن رجب	دار الحديث





ثالثا: كتب اللغة

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر
الفروق اللغوية	لأبي هلال العسكري	المكتبة التوفيقية
لسان العرب	لابن منظور	دار صادر
القاموس المحيط	للفيروز آبادي	طبع الخيرية
النهاية في غريب الحديث	لابن الأثير	



رابعاً: كتب العقيدة

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر
الرد علي الزنادقة	أحمد بن حنبل	المطبعة السلفية
أصول السنة	أحمد بن حنبل	دار السلام
خلق أفعال العباد	البخاري	الدار السلفية
الرد علي الجهمية	الدارمي	الدار السلفية
اعتقاد أئمة الحديث	أبو بكر الإسماعيلي	دار العاصمة
إحياء علوم الدين	أبو حامد الغزالي	دار التراث
لمعة الاعتقاد	لابن قدامة المقدسي	دار وهدان
الأسماء والصفات	للبيهقي	دار الكتاب العربي
الاعتقاد والهداية إلي سبيل الرشاد	للبيهقي	دار الفضيلة
مجموع الفتاوى	لابن تيمية	مكتبة التقوى
درء تعارض العقل والنقل	لابن تيمية	جامعة ابن سعود
الإيمان	لابن تيمية	دار الحديث
الإيمان الأوسط	لابن تيمية	دار ابن الجوزى
اقتضاء الصراط المستقيم	لابن تيمية	دار الحديث
الصارم المسلول	لابن تيمية	مكتبة الإيمان
منهاج السنة النبوية	لابن تيمية	دار الرسالة
شرح أصول اعتقاد أهل السنة	للالكائي	دار البصيرة
مدارج السالكين	لابن القيم	دار الكتاب العربي
تهذيب مدارج السالكين	تهذيب عماد البارودي	مكتبة التوفيقية





شرح القصيدة النونية لابن القيم	شرح خليل هراس	دار الكتب العلمية
الصواعق المرسلة	لابن القيم	دار العاصمة
اجتماع الجيوش الإسلامية	لابن القيم	دار الكتب العلمية
جلاء الأفهام	لابن القيم	دار الكتب العلمية
مفتاح دار السعادة	لابن القيم	دار الحديث
بدائع الفوائد	لابن القيم	دار الفكر
طريق الهجرتين	لابن القيم	دار التقوى للتراث
الفوائد	لابن القيم	دار القلم للتراث
كتاب الصلاة	لابن القيم	دار التقوى للتراث
إغاثة اللهفان	لابن القيم	دار إحياء الكتب
لوامع الأنوار البهية	للسفاريني	المكتب الإسلامي
شرح العقيدة الطحاوية	شرح ابن أبي العز	المكتب الإسلامي
٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة	للحافظ الحكمي	دار العقيدة للتراث
معارج القبول	للحافظ الحكمي	المكتبة التوفيقية
تيسير العزيز الحميد	لسليمان بن عبد الله	المكتب الإسلامي
حاشية الأصول الثلاثة	لعبد الرحمن بن قاسم	مكتبة الحرمين
الإقليد للأسماء والصفات	للشنقيطي	مكتبة ابن تيمية
تمام النعمة بالدين الكامل	للشنقيطي	جامعة ابن سعود
تنبيهات هامة علي ما كتبه الصابوني	لابن باز	دار الحرمين
بيان معني كلمة لا إله إلا الله	لابن باز	مكتبة الصفا
فتاوى العقيدة	لابن باز	مكتبة السنة
تعليق علي متن الطحاوية	لابن باز	مكتبة السنة





	لابن باز	دار الألباني
العقيدة الصحيحة وما يضادها	لابن عثيمين	مكتبة الصفا
أصول الإيمان	لابن عثيمين	دار ابن الهيثم
فتاوى العقيدة	لابن عثيمين	دار القدس
شرح عقيدة أهل السنة والجماعة	لابن عثيمين	مكتبة السنة
شرح العقيدة الواسطية	لابن عثيمين	مكتبة العلم
القول المفيد	لابن عثيمين	مكتبة العلم
القواعد المثلي	لابن عثيمين	مكتبة الرشد
شرح كشف الشبهات	لابن عثيمين	مكتبة الرشد
الإرشاد إلي صحيح الاعتقاد	لبكر أبو زيد	مكتبة السنة
هجر المبتدع	محمد بن عبد الوهاب	تجميع دار التراث
متون العقيدة	محمد المحمود النجدي	مكتبة الإمام الذهبي
النهج الأسمى	علي بن عبد العزيز	دار الوطن
التنبيه على المخالفات في فتح الباري	عصام بن عبد المنعم	دار ابن رجب
المطلب الأسنى	جمع عماد البارودي	المكتبة التوفيقية
أسماء الله الحسنى	سعيد بن وهف	مكتبة العلم
شرح أسماء الله الحسنى	عبد الرحمن عبد الخالق	المكتب الإسلامي
أثر الأحاديث الضعيفة والموضوعة	عبد الرحمن بن قاسم	دار الدعوة
الدرر السنية في الأجوبة النجدية	مجدي الهلالي	دار الأندلس الخضراء
الإيمان أولاً	صلاح الصاوي	سلسلة عن مجلة البيان
الثوابت والمتغيرات		





الفهرس

